
بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر
معهد الآثار

القيم الجمالية في عمارة الرافدين

(السومرية ، الأكدية ، البابلية ، الآشورية)

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الآثار القديمة وتاريخ الفن

إعداد الطالب :
سعد جهاد عطية

إشراف أ . د :
عبد العزيز الأعرج

السنة الجامعية .2007 – 2008

المقدمة

شهدت أرض الرافدين حضارات متعاقبة في العصور القديمة ، وشكلت بعمارتها وفنونها نسيجاً حضارياً وتراثياً إمتد زمناً طويلاً ، وتركت هذه الحضارات الكثير من المنتجات الفنية التي كونت رصيداً فنياً متنوعاً في محتواه ، ولاشك أن جميع الفنون ومنها المعمارية هي إنعكاس وتعبير عن ما يدور في فكر الإنسان ووجدانه ، في جميع الأزمنة والعصور .

وقد إستقطب وادي الرافدين شعوباً كثيرة إستوعبتها أرضه ، وتفاعلت مع طبيعته وبيئته . وساهمت في تشكيل محطاته الحضارية ، ومنتجاته الفنية والمعمارية التي تراكمت عبر العصور لتتحول في العصور الحديثة الى قواعد وقوالب ورموز ودلالات ، تردد صداها إنتاج الفنان والمعمار العراقي المعاصر ، وانعكس هذا على أغلب الأعمال الفنية من عمارة وتشكيل لفنانين عراقيين وغير عراقيين في عصرنا الحاضر .

لقد أبدع الإنسان العراقي قديماً في الرسم والنحت والعمارة ، وكذلك في كتابة الشعر والملاحم تجسد لنا في ماتركه من آثار ظهرت فيها المهارة والإبداع وتأثيرات الطبيعة والمناخ ، إمتازت هذه الآثار الفنية بقدرة إبداعية رائعة للإنسان العراقي القديم ، وبقيمة أعماله الفنية ومقوماتها الجمالية المتمثلة بإدراك الإحساس الإنساني في إمتزاج جميل بين الفنان وطبيعته

وتنوعت الفنون بأشكالها في حضارة الرافدين ، فأخذَ فن العمارة أشكالاً متعددة خلالَ الحقب التاريخية المتعاقبة ، وكانت بدايتها تفكير الإنسان في بناء بيت يسكنه بعد مرحلة السكن في الكهوف ، الذي تطور بعد ذلك الى تجمعات سكانية ، ومانتج عنها من مرافق وأماكن للعبادة وأخذَ الشكل المعماري يتطور بتطور العقل البشري ، وأصبحت الحاجة للترف والرفاهية تدفع الإنسان الى المزيد من التطور في الأشكال الفنية .

تطلب البحث في هذه التفاصيل دراسة ميدانية ونظرية وأكاديمية ، وكلها جرت في ظروف شديدة الصعوبة .

فمن الناحية النظريه فإن هذا البحث لم يكن وليد مرحلة قريبة ، بل هو يرتبط بأصل التكوين والنشأة التي كانت بالقرب من مواقع الآثار السومرية ، الوركاء وأور وتللو ، وقد تركت الرحلات الدراسية ذكريات وإنطباعات عن زقورة الوركاء عندما صعدنا الزقورة أول مرة ، وقد أدهشني ذلك البناء الذي يعانق الشمس ويمتد مع الصحراء إمتداد رقعة الآثارعلى

مساحات مترامية ، مما ترك في نفسي الرغبة والفضول في زيارة المواقع الأثرية الأخرى لبلاد الرافدين في بابل وآشور ، فولد ذلك حب لعلم الآثار والعمارة والفنون التشكيلية عموماً

كان إهتمامي بالعمارة وقيمها الجمالية ، والمعاني والدلالات الفنية منذ أن كنت طالباً في المرحلة الثانوية ، وكبر معي هذا الإنشغال نظراً للعلاقة الوطيدة بين الفنون التشكيلية، وهي مجال دراستي وإختصاصي وبين ميدان الآثار ،

ومع تخطي عتبة السنة أولى ماجستير، تجددت رغبتي في التواصل مع الموضوع والإطلاع على خفاياه من خلال بحث أعده وأتعايش من خلاله مع مظاهر ورموز حضارة الرافدين ذات العمق التاريخي ، التي ضمنتها منتجاتي من اللوحات والمنحوتات ،

أجد أن فرصتي تحققت بإعداد رسالة ماجستير، بإشراف أساتذة وباحثين في وطني الجزائر. تطلب القيام بهذا البحث أول الأمر بدراسة مجموعة من الكتب والمصادر والمجلات المتوفرة (قدر المستطاع) للحصول على المادة العلمية ، ومن جانب آخر فإنه العمل الميداني الذي قادني للقيام بزيارة وطني العراق مرتين في ظروف بالغة الصعوبة والتعقيد، (كاد البحث أن يأخذ عنواناً آخر) .

الأولى : كانت أثناء فترة الحصار الظالم المضروب على العراق والشعب يعيش حالة من الحرمان وصعوبة العيش والعوز والحاجة لكل شئ ومنها الكتب والمراجع ، وقد بدت عليه آثار الحروب التي أنهكته ، وإرهاصات القادم المجهول بعد أن بلغ التهديد صوره النهائية

أكملت عملي بزيارة بعض المناطق في أور وبابل ، وحملت مجموعة من كتب شارع المتنبي (الشهيد)،[1]وقد تم كل شئ على عجالة نظراً لتعقد الوضع .

وأثناء زيارة المواقع صادفتُ فريق عمل من الجزائر كان مهتماً بتصوير المواقع الأثرية في بلاد الرافدين ، وكان ذلك في شهر أفريل عام 2002 .

ومن شرفة فندق فلسطين المطل على نهر دجلة[2]، الشاهد على تاريخ بغداد ، كنت أردد مع نفسي، ترى ماذا سيحدث لبلاد الرافدين ؟ وهل بقي لهذا الشعب شئ من القوة ليدخل في

1- شارع المتنبي نسبة الى الشاعر المتنبي ،وهو مشهور ببيع الكتب والمخطوطات والمطابع . ويجد في الإنسان مايريد من الكتب القديمة والحديثة ،في عام 2004 ، توسع هذا الشارع وكثرة فيه أنواع الكتب نظراً للحرية والإنفتاح ، في 2007 استهدفَ بسيارة مفخخة وبطريقة همجية (هولاكية) لأن الثقافة والعلم نقيض الإرهاب والإحتلال .

2- (لونه هولاكو باللون الأزرق لون الحبر ، ويلونه الإحتلال الأمريكي باللون الأحمر لون الدم).

مغامرات أخرى هو في غنى عنها بعد أن أنهكته سنين الحروب الطويلة والعقوبات الحصار الظالم الذي طال البطون والعقول ؟

تركتَ العراق بعد أن تشبعت من عبق الرافدين ، ودعواتي الى ا سبحانه وتعالى أن يحفظ هذا البلد من أي مكروه .

الزيارة الثانية ، وكانت في أوت 2003 ، وقد وقعت الحرب ومر على إحتلال العراق ثلاثة أشهر تقريبا، وكان كل شئ مستباح والبلد تعيش حالة من الترصد والإنتظار والفوضى السياسية ، وكثير من الناس يجهلون ما يحدث ، لا وجود للدولة ، وديكور شوارع العراق يرسمه جنود الإحتلال ، وكنت في حالة من الذهول ، لقد سرقت القصور الرئاسية والمكاتب وحرقت المكتبات ، واستبيح كل شئ ودخلَ الناس في دوامة الحرية الفوضوية ، بعد أن كانوا يعيشون نظاماً صارماً،

استشهد المتحف العراقي الذي يحمل كنوز حضارة الرافدين وهي في النتيجة إرث إنساني، وذاكرة لبدايات البناء الحضاري للإنسان .

أصبح السواد الناتج عن الحرائق يلف جوهرة العرب بغداد ، وكأنها تعرضت الى تدمير منظم إستنجدت خجلاً بعمالقة البناء الحضاري **،** وبحثت عن نبوخذ نصر وآشور بانيبال .. أين كلكامش وعشتار والآخرون ، من يحمي هذا التراث الإنساني المهدور؟ شعرت إننا ضعفاء ومخربون أمامَ بناة حضارة الرافدين.

في جانب آخر وجدت بعض اللصوص يبحثون كالجرذان ، في مواقع سومرية عن قطعة أثرية أو ختم إسطواني أوحتى قطعة من الحجر، وقد عرضت عليَ بعضها من قبل بعض الشبان الذين يمتهنون التجارة هذه اللقى في(زمن الحواسم)[1] ، وكأنهم بذلك يسقطون كل مفاهيم الوطنية والحفاظ على تراث غني ومقدس ، ويخربون بيوتهم بأيديهم .

ذهبت الى بابل فوجدتها قد احتلت تماماً من قبل القوات البولونية ، وأصبح الموقع الأثري للمدينة عبارة عن ثكنة عسكرية ، وكان الجنود يعبثون بآثارها مما إستدعى المنظمات الإنسانية الدولية والأمم المتحدة للتدخل من أجل حماية آثار بابل وجنائنها المعلقة وقصر نبو خذنصر وإبعاد الجنود عن المواقع الأثرية .

1- اطلق هذا الإسم على تلك الفترة التي تلت الحرب مباشرة . نسبة الى الإسم الذي اطلق على الحرب نفسها. التي تلت الإحتلال (**ام الحواسم**) . وهو زمن من الفوضى وضياع الأمن وكثرة السرقات أمام أعين جنود الإحتلال .

وكان السفر الى نينوى محفوفاً بالمخاطر،ويتكرر نفس المشهد ومدينة آشورالأثرية ومتحفها شبه مغلقان نتيجة للحواجز ونقاط التفتيش، وأصبح التفكير في أمور ليس لها علاقة بالبحث نفسه
وعند هذا ترسخ لي مقدار وأهمية وغنى هذه الحضارة والأرض التي تحملها ، وما هذه المعاول التي تعاونت على تحطيمها منذ الغزو المغولي الى يومنا هذا، الا دليل على أهميتها وقدرتها على الصمود والصبر .

وقد إستفدت من هاتين الزيارتين ، من مشاهداتي ودراستي الوصفية والتحليلية للمعالم والنماذج المدروسة ، سواء المستقات من المعالم أو المتاحف ، مثلما يشاهد في ملحق الصور
(ص 234 – 238) .

لكني عرفت من خلال هذا البحث أنه وكأي كائن تمر المدن والحضارات بدورات من الرقي والضعف والإهمال والسقوط ، وكذلك بغداد التي طالماَ مرت بحالات وأعراض من والتدهور والإنحطاط لكنها كانت في كل مرة تنهض من بين الأنقاض والأوجاع لتعاود الإقلاع والإرتقاء ، مثلما تبرز عشتار من العالم السفلي بعد إطلالة الربيع .
وحضارة الرافدين بعمقها التاريخي قادرة على التجدد والنهوض [1]

إشـكالية الموضـوع :

فإلى أي مدى نستطيع أن نتعرف على المعاني الجمالية التي جاءت بها حضارة الرافدين ؟ وماذا أضافت هذه الحضارة الى مجموع الحضارات الإنسانية ؟ وهل كان الفنان العراقي المعاصر إمتداداً فكرياً ووريثاً لحصيلة الفنون الرافدية ؟ .
وهذه محاولة للتعرف على الأسس الجمالية في عمارة الرافدين ، ونوعية المواد المركبة لتلك الأسس من حيث إستخداماتها وعلاقتها بالإنسان وطبيعته ، ومن ثم الإنتقال الى محاولة تشخيص العناصر المعمارية المكونة لجمالية تلك العمارة في مختلف فتراتها.

المنهـجية :

إعتمدت في هذه الدراسة على منهجِ تاريخي ، تتبعت من خلاله المراحل المختلفة التي مر بها وادي الرافدين مشخصاً المظاهر الحضارية التي حققها كل شعبِ من الشعوب التي إستوطنته ،

1- يذكرني هذا بسورة (**قريش**) فقد كان الجوع في الرحلة الأولى ، وكان الخوف في الرحلة الثانية .

كما إعتمدت على منهج وصفي تحليلي ، حاولت من خلاله إبراز المظاهر المعمارية من كتل وعناصر وما أضفي عليها من روح الفن والجمال سواء في التكسيات الجدارية الداخلية والخارجية أو فيما يتصل بالعمارة من منحوتات مسطحة أو مجسمة .

وقد حاولت من خلال التحليل والمقارنة إستجلاء مظاهر القيم الجمالية في العمارة الرافدية مبرزاً روح الإبداع فيها والإستمرارية في تناولها الخلف عن السلف ، وتواصل الفن والفنان العراقي معها فيما يخرجه من أعمالٍ فنية وجمالية .

هيـكلة المـوضوع :

حاولت أن أقسم البحث الى أربعة فصول حسب التسلسل التاريخي والأهمية على الأسس التالية:

الفصل الأول/ البيئة الطبيعة والعوامل المؤثرة في التطورالحضاري: الإسم ، البيئة ، والإنسان يستعرض هذا الفصل بيئة وادي الرافدين بخصائصها الطبيعية والمناخية والجيولوجية، وماتوفر فيها من شروط ومواد لقيام حضارة ، ثم إسم البقعة التي ولدت عليها الحضارة ، ودور الإنسان في بنائها .

الفصل الثاني / التطورالتاريخي لبلاد الرافدين : الدول المتعاقبة .

ونستعرض فيه تاريخ ومسيرة المجموعات البشرية المتعاقبة التي شكلت البناء الحضاري لأرض الرافدين ، وأهمها الجماعات : السومرية ، الآكادية ، لبابلية ، الآشورية وكانت هذه الجماعات تعيش متوازية تقريباً مع الحضارة الفرعونية في مصر، وهذه المراحل الحضارية التي أسست لتاريخ العراق والبشرية كونت رصيداً فنياً وثقافياً تميزت كل واحدة منها بإنجازات كبيرة وإضافات لما سبقها،التي كونت بمجموعها الرصيد الحضاري لوادي الرافدين

الفصل الثالث / ونعرض فيه للمنشآت المعمارية من حيث :

1- دراسة العوامل المؤثرة في العمارة العراقية القديمة
2- دراسة وصفية وتحليلية لمنشآت المعمارية المتنوعة كالمعابد والقصور التي تميزت بها عمارة الرافدين ، فضلاً عن نماذج معمارية أخرى من بنايات مختلفة من وادي الرافدين التي أثرت بدورها على شكل المنشآت المعمارية .

3- كما نعرض لمواد البناء الأساسية وكيفية إستعمالها .

الفصل الرابع / فنية المنشآت المعمارية في وادي الرافدين وجماليتها .

وسوف أستعرض في الفصل :

دراسة وتحليل للأشكال والعناصر المعمارية والنقوش والزخارف والألوان المستعملة فيها، وسيعتمد هذا على تحليل للظاهرة الجمالية أو الإحساس وتذوق الفن ، وعلاقة الإنسان بذلك منذ بدايات وعيه الأول وأعرض لعلاقة الإنسان بالفن و الإبداع بشكلٍ عام .

نحاول أن نتعرف على جذور الفن عند الإنسان وتركيب العملية الإبداعية ، ودراسة علاقتها بالإنسان والمواد الطبيعية ، بطريقة تأملية من خلال ماتبقي من تشكيلات عمرانية وتماثيل ونقوش ، وتأثيراتها الفنية وإنعكاساتها الجمالية خاصة وأننا أمام حضارة جديدة النشأة في القدم ، أولية الإبداع في الزمن .

وننهي البحث بالنتائج وبفهارس وملاحق .

مدخل عام

مفهوم الفن ووظيفته

هناك إتفاق عام على(إن فهم الماضي فهماً موضوعيا تقنياً يسهلُ معرفة الحاضر والتخطيط للمستقبل)

من المعروف أن دجلة والفرات ووادي النيل كانا مهداً للحضارة في الشرق الأدنى ، وهما السبب في إنتشار هذه الحضارة (المستمدة من المشرق) الى اليونان وروما ، لكن هناك تباين بين شكل هاتين الحضارتين ، فالحضارة المصرية ذات الملك الواحد والإله الواحد والنهر الواحد واللغة الواحدة والشعب الواحد ، تختلف عنها حضارة الرافدين بوجود خليطاً من الأجناس والسلالات ودويلات المدن[1] .

وعندما بزغَ وجه التاريخ في جنوب العراق قبل 3000 سنة ق. م ، كان السومريون يعيشون هناك وشاركهم الآكاديون الذين يقطنون معهم على ضفاف نهر الفرات ، وربما كانوا بدواً من الصحراء العربية ، ويتكلمون لغة سامية وهم أجداد البابليين والآشوريين ثم الآموريين والآراميين ثم العرب ، ولغاتهم كلها تنتمي الى مجموع اللغات السامية ، وإندمج هؤلاء في الجماعات المستوطنة ، ولم يكونوا هم الوحيدين الذين كونوا هذا النسيج الإجتماعي . بل كانت هنالك جماعات تعيش في المناطق الجبلية في الشمال الشرقي ، ورغم إنهم كانوا راضيين بتأكيد إستقلالهم ، الا انهم أجتاحوا جنوب العراق وحكموه مرتين في الأقل وهم الكوتيون والكيشيون[2]حوالي 1500 ق.م

تَتميز الجماعات البشرية بطابعها وتراثها الفني الخاص ، الذي َتنفرد به عن غيرها . وتكونه مجموعة من العوامل من ضمنها البيئة والمناخ والعادات والتقاليد ، ذلك منذ العصور البدائية للإنسان الذي سكن الكهوف ، وبدأ يمارس مواهبه في الرسم ، و النحت أو الرقص . الذي تحول في مراحل أخرى الى طقوس وحركات إنفعالية وتعبيرية .

مع تعدد وإختلاف النظرات الفلسفية في تفسير رغبة الإنسان في الوصول الى الإبداع ،

1- أفرام عيسى يوسف ، **ملحمة دجلة والفرات** ،ترجمة علي نجيب إبراهيم ، دار الحوار .اللآذقية . 2001 ، ص35 .

2- نيكولاس بوستغيت ، **حضارة العراق وآثاره** ، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي ، دار المأمون للطباعة والنشر . بغداد . 1991، ص.11

والهدف منه وإن ما وصلنا من رسم ونحت تعود لفترة ماقبل التاريخ ، كانت بدايتها الفنية لاتقوم إلا على الدافع التلقائي .

حين كان الإنسان يرسم أوينحتُ تلك الأشكال ، وفي أكثر الأحيان يكون بدافع مجموعة من الأفكار، نظراً للغموض الذي يلفُ الظواهر الطبيعية المحيطة به ، فتكون إما على شكل رموز طقوسية دينية ، إو إشارات سحرية وبمستوى أحسن عندما تكون لتمجيد الآلهة وعبادتها للتقرب منها من أجل نيل رضاها ، لتحميهم من الشرور التي تحيط بهم من ظواهر طبيعية أو حيوانات مفترسة أو المرض وكل مايلحق بالإنسان من سوء.[1]

إن هذه الرسوم والأشكال التي يستخدمها الإنسان القديم في تمييز الأشـياء وتعريفهـا، قـد تطورت مع الزمن وأصبحت أشكالاً رمزية مهدت الطريق لولادة الكتابة ، وهي إكتشاف حولَ حياة البشرية من الظلام الى النور.

بدأ التعايش والتفاعل مع الطبيعة ، والصراع الذي يعيشه الإنسان مع كل الظواهر الطبيعية عبر فصولها ، إلا أنه كان يصادف هذه الظواهر ويحاول أن يتلائم معها ، فتحول حالـه مـن طفولة تعيش عالة على الطبيعة الى وضع منتج بفضل إكتشافه للزراعة ، التي فرضت نمطـاً جديداً من الحياة يقوم على الإستقرار[2]

ونتيجة لذلك تطور الفن عند العراقيين القدماء ، وأصبحنا نحاول أن نتعـرف علـى المعـاني الإبداعية لتلك الحقبة من الزمن ، وهي تعكس بكل الأحوال شكل الحضارة في ذلـك الوقـت ، وتفاعل الفنان مع طبيعته الذي إنعكس بدوره على جميع الأعمال الفنية ومنها العمارة .

وحاولت أن أتناول جانب الفن وجماليته ، ومقدار تماسك العلاقة وصدقها الشعوري بين الفنان وموضوعه الفني وقيمته الجمالية ، وبين وظيفة الفن والتعبير عن غايتها سواء أكانـت دينيـة أودنيوية ، من أجل معرفة مستوى التطور الذي إرتقى اليه الإنسان العراقي القديم ، من خـلال الآثار التي إكتشفها المنقبون من أعمال فنية وعمرانية تمتاز بقدرة إبداعية وإحساس جمالي عال (حيث أن الإحساس بالجمال والتمتع بمكونات الموضوع الجمالي صفة إنسانية نمتاز بها عـن غيرنا من الكائنات الحية في عالمنا الأرضي).[3]

1- هربرت ريد ، **الفن والمجتمع** ،ترجمة فارس متري ضاهر ، دار القلم ، بيروت - لبنان1975 ، ص.25

2- **نفس المرجع** ، ص.28

3- د. عدنان مكي البدراوي" المدينة الأولى بين العصر الحجري المعدني وعصر فجر السلالات" **حضارة العـراق ، ج 3** ، دار الحرية للطباعة ، بغداد 1985 ، ص.302

و ظهر في الحضارة العراقية القديمة موضوع تخطيط المدن المتميز، الذي يتطلب معرفة إرتباط العمارة بالعلوم الميكانيكية ، وبعلم طبقات الأرض والجغرافية والعلوم الخاصة بدراسة الطقس والمناخ ، وبجانب كبير من علوم التقنية بشكل عام .

ومن هنا نرى بأن سكان العراق القديم قد توصلوا الى جزء كبير من هذه المعارف ، وكانت العمارة وإشكاليات البناء أحدى هذه المعارف .

إن تنظيم شؤون الحياة العامة في تجمع حضاري منظم يكون الفن فيه عنصراً مركزياً ، هو معيار تقدم ورقي الإنسان ، والتعرف على وظيفة الفن وقيمته المعرفية يؤدي بنا في الأخير الى الوصول للمعاني الجمالية للفن ،(حيث أن الفنان وحده قادر على تشكيل المادة وفق قوانين الجمال أي استيعاب الواقع بشكل كامل وشمولي) [1]

لقد أصبح الشكل الذي نلمس فيه تسلسلاً فنياً متطوراً في العراق القديم هو العمارة ، وإن البدايات الأولى لتأسيس المباني في العراق ربما كانت منذ العصر الحجري . وهذا في حدود الألف العاشرة قبل الميلاد تقريباً . حيث حدثت جملة تحولات مهمة من بينها إنشاء مايعرف بمستوطنات أو معسكرات الصيد ، في مرحلة يمكن تسميتها بمرحلة ماقبل الإستقرار السكاني في القرى ، حيث سكن أفراد المجتمع في بيوت من الطين ، وكانت تمثل الإرتباط النفسي والإجتماعي. فضلاً عن الإرتباط العضوي المتمثل في طريقة بناء البيوت على شكل دائري ومتصل ، وهي بداية لمفهوم التخطيط الأولي للتجمعات السكانية .

الفن المعماري القديم في بلاد الرافدين

من المعروف أن كل الحضارات التي ظهرت على أرض الرافدين كانت تعبر عن مدى قدرتها في البناء ، ومما ترك لنا من آثار يدل الى ذلك . ومثال ذلك الزيقورات المتمثلة في العمارة الدينية ، وهي صفة لازمة لكل الحضارات التي ظهرت هناك وكانت في نفس الوقت رمزاً لوحدتها الفنية ، بالرغم من التباين في الشكل المعماري والمواد الإنشائية[2]

إبتدع السومريون والآكاديون العقود والأقواس والقباب ، من الخامات المحلية وأهمها الطين المفخور نظراً لفقر المنطقة الجنوبية للحجر، و إنتقل هذا الشكل المعماري الى الحضارات اللاحقة ومنها الحضارة الإسلامية .

---

1 – هربرت ريد ، **مرجع سابق** ، ص 26.

2 - د. عدنان مكي البدراوي ، **مرجع سابق** ، ص . 303

ويبدو واضحاً أن العصر البابلي بكل مراحله سجلَ تطوراً كبيراً في إنجاز الأشكال المعمارية ، وما لحقها من تطور.

وكانت مدينة بابل تتميز بإستقامة شوارعها ، وتنظيم مرافقها وقصورها ومعابدها ، وهو دليل على تلك الإنجازات المعمارية و التطور الذي لحق بالفن المعماري ، حيث تلتقي كل الخطـوط بمركز المدينة المتمثل بباب عشتار، المزين بالرسوم البارزة الملونة والمنجزة بالآجر المزجج

وكان الفن المعماري متقدماً بشكلٍ واضح عند الآشوريين ، فأدخلَ النحـت البـارز والمـدور والخَزَف كعناصر أضافيةُ تجسد الطابع الجمالي لعمارة العراق القديمة .[1]

نشأت هذه الحضارة في المناطق ذات الأمطار الفصلية الكافية لنمو الزرع ، بالإضافة الـى وجود نهرين كبيرين كدجلة والفرات ، هذه العوامل مجتمعة ساهمت في خصوبة الأرض ، التي أصبحت ذات أهمية بالغة عند سكانها ، ذلك لتأثيرها الكبير على حياة المجتمع وزيادة الإنتاج ، كانت هذه العوامل تبدو لهم جميلة عند معيار الوفرة والعطاء والخير، الذي يكون رديفاً للجمال وقد تَجسد هذا في الأشكال النحتية التي تمثل المرأة الممتلئة ، ولها الصدر والردفين الكبيـرين وهي رمز الخصب ،

إن إختلاف تضاريس العراق ووجود نهري دجلة والفرات والفيضانات الموسمية ، التي تحصل كل سنة تقريباً ، وإرتفاع معدلات درجات الحرارة صيفاً ، تطلب شكلاً مميزاً مـن العمـارة ، إستطاعوا أن يتعايشوا ويتفاعلوا مع كل هذه العوامل، ويحولوها من أجل البناء وصنع الأوانـي والرقم الطينية وأشكال الفن الأخرى ، وذلك بفضل الجهود التي بذلوها في تطويع الطبيعة .

من المظاهر المميزة في حياة سكان وادي الرافدين شهرتهم بالزراعة وفلاحة الأرض، وقد تحدث (هيرودوتس) [2] عن وفرة المحاصيل الزراعية في هذا الإقليم ، وعليه سميت بـأرض السواد لكثرة زراعتها وخضرتها .

ومن المعروف إن فن زراعة البساتين الذي نشأ في العراق ساعد الإنسان على الإستقرار وبناء القرى والمدن في مرحلة متقدمة ، وكانت النخلة من أقدم وأهم الأشجار "على مايرجح " فـي

1- نيكولاس بوستغيت ، **مرجع سابق** ، ص . 24

2- هيرودوتس herodotus .(حوالي عام 480 – 425 ق .م) مؤرخ إغريقي أطلق عليه شيشرون لقب" أبو التاريخ " الفكرة العامة في كتابه هي الصراع بين الإغريق والإمبراطورية الفارسية ولكنه يتحدث في الأجزاء الأولى عن تاريخ الأقطار المعنية وسماتها ومنها مصر وبلاد الرافدين / انظر، نيكولاس بوستغيت ، **حضارة العراق وآثاره** ، ملحق مسرد انجليزي – عربي ، ص. 133

تاريخ العراق الزراعي ، حيث تم رسمها أو نحتها على الجدران أو الألواح الطينية ، واستعملت جذوعها في بناء السقوف والقناطر ، وهي تشكل مع الشمس والنجمة والهلال رمزاً من رمـوز حضارة الرافدين ، حيثَ ظهرت هذه النقوش في جميع المراحل الحضارية لبلاد الرافدين وعلى أمتداد رقعتها الجغرافية[1] .

إن موضوع العمارةُ مرتبط بكل النشاطات والحرف ، ومن البديهي أن يصاحب ذلك تقدم في العلوم والآداب والفن بجميع أشكاله .

َظهرت حضارات كبيرة على شكل حقب من التاريخ ساهمت في بناء الإنسان ، ونقلته نحو آفاق أوسع ، وشكلَ الجانب الفني والجمالي ركناً متميزاً في التعبير والإبداع عن هـذه الحضـارة ، ومن المعروف أن جميع النشاطات البشرية مترابطة بما فيها الفنون .

والمعروف إن وظيفة الفن اليوم مختلفة عن العصور القديمة ، أوبداية الوعي الفنـي عنـد الإنسان ، ويعكس تطور الحقبات الزمنية في حياة البشر تطور الفن نفسه عبر مراحل التـدرج التاريخي العام لحياة الإنسان ، ونحن اليوم نبتعد بحوالي خمسة آلاف سنة تقريباً عن الحضارة العراقية القديمة ، فإن تطور العصر فَرض فلسفة جديدة تعكس نشاطاته.

إن التمييز بين الفن القديم والفن الحديث ليس تميزاً شكلياً ، بل هو إختلاف فـي الوظيفـة حيث يبدأ كنشاط منعزل ثم ينمو أو يتطور في مناخ مناسب ، وظروف إجتماعيـة وتطلعـات ثقافية ، والفن هو أفضلُ طريقة للتعبير توصلَ لها الجنس البشري ، وهي أيضاً تلبيـة لحاجـة تكون ضمن رغباته وتطلعاته ، التي تدخل في سياق العواطف والإنفعالات والمعتقدات. [2]

فالإنسان البدائي فنان مبدع بنفس قدر الإبداع عند الفنان الحديث ، وكلاهما يعشق الجمال ، ويحاول من خلال الفن في جميع نشاطاته الأساسية أن يحدثنا عن شئ ما حول الكون ، حـول الإنسان أو الفنان نفسه ، إنه طريقة معرفية ، وعالم الفن ذو قيمة للإنسان شأنه في ذلك الفلسفة والعلم . وبواسطته يتوصل الفنان الى فهم بيئته ويتاح لنا تقدير أهميته في تاريخ الجنس البشري بطريقة وظيفية جمالية[3]،

1- إنطوان مورتكاد ، **تاريخ الشرق الأدنى القديم** ، تعريب توفيق سليمان ، بدون تاريخ ، ص. 198

2- دني هويمان ، **علم الجمال** ، ترجمة ظافر الحسن ، SNED ، رغاية - الجزائر 1979 ، ص. 20

3 - د . فوزي رشيد ،" **أثر المجتمع في تكوين القيم الجمالية في سومر واكد**"، مجلة فنون عربية ،العدد الأول ، بغداد 1981، ص .09 ،10

فالوظيفة في مفهوم الفن القديم تتحدد بطراز َفرضته الواجبات العقائدية ، في مفهوم السـلطة وتأثير الملك أو الإله على البشر، في إضفاء الجلال أو الهيبة على المنشآت المعمارية ، و كثيراً ماتكرس لهذا الجانب ، فهي إما عمارة تعبدية أو مدفنية حيث كرس " الإنسان المبدع" جهـوده للتعبيرعن تفاصيل الحياة ، لكن الوظيفة في الفن الحديث تقوم على مفهوم آخر، فأصبح الجمال والتعبيرعنه هو موضوع الفن الحسي، وأصبح الفنان يرسم مايحس به وليس ما يراه ، ولم يعد للطراز وجود مفروض على الفنان .

ومن جهة أخرى فإن التمييز بين ماهو جليل ، وما هو جميل يصل بنا الى وضع الفن القديم بمكان إبداعي يخضع لقوانين عقائدية وإجتماعية أكثر من خضوعه لقوانين الجمال ، ومن هنـا فإن علم الجمال القديم يقوم على أسس وظيفية ، بينما يقوم علم الجمال الجديد على أسس ذوقية ، ومن المؤكد أن الوظيفة في الفن القديم تجعله أكثر إرتباطاً بالناس ، وأوسع شـمولاً ، بينمـا نرى الذوقية في الفن الجديد أكثر خصوصية[1].

من هذه المقارنة نستنتج أن الإنسان المبدع في العصور القديمة ، كان يحمـلُ دوراً رياديـاً ومتميزاً في مجتمعه ، وكان قريباً من الآلهة أو الملك ، في حضـارة الرافـدين أو حضـارة الفراعنة ، وصانع ماهر في الحضارة الإغريقية .

فالإنسان هو المحور في بناء الحضارة ، لأنه صانع مـاهر، مبـدع للأشـكال ،ُمشـيد للصروح ، وهذا ماجعلَ الإنسان أوالفنان الحديث يرتكز على القديم ويجعله أساسـاً لتطـوره ، ومركزاً لإنطلاقه ،

إن حضارات منطقة الشرق ، التي تشملُ النيل والرافدين ، ترتبطُ منذ القديم بأواصر واضحة تظهر عليها تأثيرات البيئة وطبيعة المناخ ، وأثر المجتمع في تكوين القيم الجمالية ، ويبقى الفن في إصوله الأولى كمبدأ وفكرة عند الإنسان هو واحد ، مهما إختلفت العصور والأزمنه وكمثل بسيط على ذلك هو أن وسائط النقل المائية ، مهما تطورت مثلما هوعليـه الحـال فـي الوقت الحاضر ، فإن جوهرها المتمثل بقانون أرخميدس يبقى ثابتاً[2].

إن بلاد مابين النهرين - mesopotamia - التي تشكلت عليها الحضارات الكثيرة وتعاقبت عليها الأقوام المتنوعة ،هي أرضُ متميزة جغرافياً وقد طبع هذا التميز نهرين كبيرين بفروعهما

---

1 - د . فوزي رشيد ، مرجع سابق ، ص . 11

2- نيكولاس بوستغيت ، **مرجع سابق** ، ص . 25

المتشعبة يمتدان من الشمال الى الجنوب وهما : (دجلة والفرات) [1] حيث كانا يسميان باللغة السومرية (أدجلان و بارانون) ، ويبدو أن هذا الإسم قريباً لتسميتهما بالعربية .

وتتميز هذه الحضارة بخاصيتي هويتين أساسيتين وهما : الوحدة المكانية ، والديمومة الزمانية ، وقد إجتمعت عوامل كثيرة ساهمت في ولادتها ، و نحن اليوم بصدد دراسة جوانبها الفنية والجمالية ، للوصول الى معرفة هذه الجوانب.

ويبدو للباحث للوهلة الأولى في فن الحضارات العراقية القديمة ، إنها كانت تحملَ طابع فني جديد ، وميزته إمتزاج الواقعية بالتجريد بشكل لانلمس له حداً فاصلاً ، الذي استمر هذا في مسيرة الزمن حتى أصبحت الرمزية والتجريد في الفن من صفات الفن الإسلامي الذي يعتمد الإيحاء في طرح المواضيع.[2]

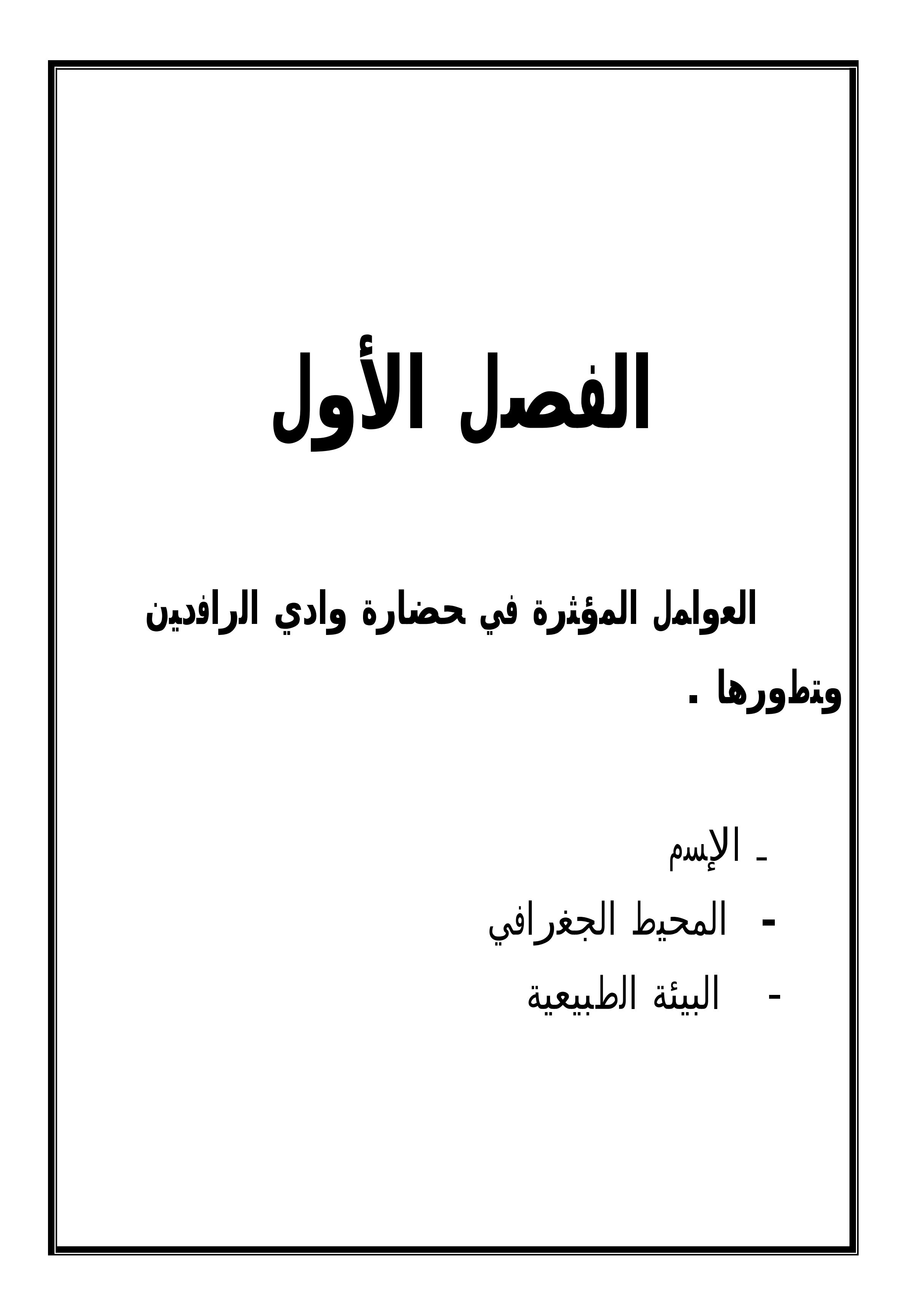
وأخيراً هل حقيقة الحضارة في العراق هي (حلم الطبيعة) كما يقول أندريه أيمار أم إنها شئ آخر كإرادة الإنسان ؟

الواقع إن الحضارة هي نتيجة لظروف موضوعية ، يحولها الإنسان من الحالة السلبية الى الحالة الإيجابية ، وهكذا تبدو حضارة العراق ، فالأرض والمناخ ليست حالة خاصة بالعراق إنما حالة طبيعية ، وهي عناصر تعملُ وتؤثر بشكل مستقل ، ولكن الإنسان فرض عليها التوازن وإخضاعها لإرادته ،فحضارة العراق إذن إنماهي[3] إرادة الإنسان

1- د. نزار الحديثي ، "المقدمة " **موسوعة حضارة العراق، ج1 ،** دار الحرية للطباعة، بغداد 1985 ، ص .10

2- د. حسن. الباشا ، **الفنون القديمة في بلاد الرافدين** ، الدار العربية للكتاب ، القاهرة ،2000، ص . 20

3- د . نزار الحديثي ، **مرجع سابق**، ص. 12



الفصل الأول

العوامل المؤثرة في حضارة وادي الرافدين وتطورها .

- الإسم
- المحيط الجغرافي
- البيئة الطبيعية

تمهـيد جغرافـي

الإسـ ـ ـ ـ ـم:

يعني إسم العراق الأرض المحصورة بين النهرين ، الذي عرفَ خلالَ تاريخـه الطويل أسماء عديدة ، وكلمة (العراق) لها معاني كثيرة ، وهناك تفسيرات كثيـرة شملت هذه التسمية ، ويعتقد بأن الكلمة هي أصلاً عربية ومعناها الشـاطئ الآخـر ، فالبلاد القريبة من البحر هي عراق ، وهي كذلك لأنها تقع على شاطئ دجلة والفرات ، ومعناها أيضاً السفح أو الجبل ، ويمكن أن يكون أصل الكلمة منـذ القدم ويرجع الى العهد السومري ، أو الأقوام التي سبقتهم وسكنت السهل الرسوبي ، وربما إشتقت من كلمة أوروك التي تعني المستوطن ، وهذه الكلمة سميت بها المدينة السومرية الوركاء وهي تدخل ضمن تراكيب لمدن قديمة مثل مدينة أور[1]

وهناك رأي آخر يقول بأن أصل الكلمة أجنبياً ، ويعني إيراء بمعنـى السـاحل وقـد عربت فأصبحت إيراقثم عراق [2]

وهذا شبيه لما ذهب اليه الباحث الآثاري هرتسفلد ، من أن عراقُ معرب من أيراك التي تعني البلاد السفلى ، ويقال بأن أول إستعمال لكلمة عراق ورد في العهد الكاشي ، في وثيقة يرجع تاريخها الى حدود القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، وجاء فيها إسـم إقليم على هيئة أريقا . ولم يطلق العراقيون القدماء إسم أوروك أوعراق على القطـر أوعلى جزء منه ، بل كان الملوك يسمون أنفسهم بلقب حاكم المدينة التي يحكمها[3] .

وفي حدود ذلك الزمن كانت بلاد سومر في الجنوب ، وبلاد أكد وبابل في الوسط ، وفي الشمال كانت بلاد آشور، وهي تسميات كانت على أساس جغرافي ، وفي الفترة مابين القرنين الرابع والثاني ق. م إستعملَ الكتاب اليونانيون والرومـان لمصـطلح ميزوبوتامية mesopotamia

---

1- د. سامي سعيد الأحمد، "**السومريون وتراثهم الحضاري** "، بغداد ،1975 ، ص.24

2- د . تقي الدين الدباغ **،** "البيئة الطبيعية والإنسان" **موسوعة حضارة العراق ، ج1** ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ،1981، ص. 14

3- د. أحمد سوسة، **تاريخ حضارة وادي الرافدين** ، بغداد ، 1985 ، ص .84

(بلاد مابين النهرين)[1] وهذه التسمية إغريقية الأصل وشاع إستعمالها عند الكتـاب الأوربين في العصر الحديث لإطلاقها على مساحة العراق بحدوده الحالية وأجزاء من سوريا وإيران أوجزء منه ، ولازالت الكلمة مستعملة حتى بعد ظهور كلمة العراق ، وقد تبلورت حدود العراق بوجه خاص خلال العهد العثماني في القرن التاسع عشـر وفي فترة الإحتلال البريطاني[2] .

ولما شاعت كلمة العراق مابين القرنين الخامس والسادس الميلاديين ، تَطـورت واتسع مدلولها عند الجغرافيين والعرب ، فقد كثر ذكر إسم العراق في الشعر الجاهلي وإقترن بالرخاء ، كما سمي السهل الرسوبي بالسواد لخضرته [3]، وكـان مصـطلح السواد [4]يرادف تسمية العراق.

الموقع

لم تكن المجالات الحضارية يوماً ما منغلقة على نفسها . بل كانت تتعايش وتستمد قوتها من ذاتها ومن بيئتها ومحيطها ،

إن معرفة الحدود الزمانية والمكانية لبحثـنا ودراسة البيئة والمحيط الذي ترعرعـت فيه حضارة الرافدين ، يوصلنا الى معرفة الأساس الجغرافي والتاريخي ، الذي بنـى عليه الإنسان حضارته منذ آلف السنين .

والعراق يقع ضمن منطقة مترابطة جغرافياً ، وهي منطقة الشرق الأدنى التـي تنقسم الى جزئين هما : بادية الشمال في الوسط يحيط بهـا مـن الغـرب والشـمال والشرق سلاسل جبلية تشكل منطقة الأناضول وإيران وهضاب الشـام وفلسـطين ،

1- من الممكن أن تكون هذه الكلمة كمصطلح جغرافي، ويقصـد بهـا تحديـد المنطقـة المحصـورة مـابين النهرين،وتتضمن السومريين والأكديين والسكان الأوائل،التي اصطلح عليها بلاد مابين النهرين السفلى،أما مـايقع وراء ذلك فهوالإمتداد الكلي للبلاد والواقع على خط منتصف دجلة ويعرف ببلاد مابين النهـرين العليـا أي بلـد آشور/ أنظر ليو أوينهايم.مابين النهرين ،ص . 497

2- د . تقي الدين الدباغ ،مرجع سابق ، ص. 18

3 – د. عبد الوهاب حميد رشيد ، **حضارة وادي الرافدين** ، بغداد ، 2004 ، ص . 25

4- أرض السواد تعني الأرض الكثيرة الخضرة والزراعة .

ويربط بينهما هلال من الأرض الخصبة ، تمتد من الخليج وحتـى مصـر، وهـي أراضي رسوبية تَشكلت من مجروفات نهري الفرات ودجلة، وقدَ عملـت فيهـا يـد الإنسان على مر العصور، رغم مناخها الحار فجعلها خصبة بتجفيفها وإروائها .

هذا التنوع الجغرافي الذي يطبع المنطقة َجعلها مركزاً لأحداث تاريخيـة كبيـرة ، وساهم سكانها في صناعة التاريخ ، الذي يبدأ ماقبلَ الألف الرابع قبل الميلاد تقريباً ، وهم شعوب مختلفة ومتباينة (1).

إن حضارة أي بلد أو مجتمع تتشكلُ من تفاعل الطبيعة والإنسان ، فضلاًعن تـأثير العوامل الجغرافية ، وهذه العوامل هي الموقـع الجغرافـي والتضـاريس والمنـاخ والأنهار وتركيبة السكان . وغيرها من العوامل الجغرافية الأخرى(2).

ولاشك أن للانسان الدور الأكبر في بناء الحضارة ، وترويض الطبيعة وتسـخيرها بالإضافة الى عوامل البيئة الطبيعية التي تؤثر في مجرى العوامل التاريخية ، وتكسب الحضارة طابعاً مميزاً لتلك البيئة أو المناخ .

لموقع العراق مكانة مهمة ومؤثرة في سير التاريخ ، ليس لكونـه مهـد الحضـارة البشرية وحسب بل لغنى ثروته الطبيعية ولأهميته العسكرية ، ويشكل موقع العراق جسراً أرضياً تلتقي فيه ثلاث قارات : أوربا، وآسيا، وأفريقيا ، وشكلَ موقعـه فـي العصور التاريخية القديمة طريقاً مهماً يصل الغرب بالشرق ، أي بين المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط

يقع العراق في الشمال الشرقي من جزيرة العرب الممتدة جنوب قارة آسيا، بـين خطي عرض 37/25 و29/5 وخطي طول 38/45 في القسم الدافئ من المنطقـة المعتدلة الشمالية ، تبلغُ مساحته 446 .438 كيلـومتر مربـع ، وفيهـا تحتـل

---

1 – د . عبد الوهاب حميد رشيد ، **مرجع سابق** ، ص .26

2 - د . جاسم محمد خلف، **جغرافية العراق الطبيعية الإقتصادية والسياسية ،** دار الحرية للطباعة -بغداد ، 1965، ص. 52

العديدمن المدن التي تقع على ضفاف نهري دجلة والفرات وفروعهمـا ، تتوسـطها مدينة بغداد عاصمة العراق[1]

يحده من الشمال تركيا ، ومن الشرق إيران وعلى إمتداد حـدوده الغربيـة سـوريا والأردن ، أما الجنوب فتحاده السعودية والكويت والخليج العربي ، ولم يكـن لـبلاد الرافدين حدود دفاعية طبيعية كما كان الحال في مصر، على هذا الأساس أصـبحت البلاد عرضة لغزوات وهجرات عديدة إستوطنت بلاد الرافدين ومـنهم السـومريون والأقوام الأخرى ، فإستقروا وتفاعلوا مع البيئة ، تواصلوا وتبادلوا مـع حضـارات المنطقة وأهمها الحضارة الفرعونية في مصر.

تبلغُ حدود العراق الشرقية مع إيران حوالي 1400 كيلو متر مـن شـماله الـى جنوبه ، وقد إنعكس هذا على شكل العلاقات التاريخية التي طبعت الأحـداث عبـر تاريخ العراق سلباً أوإيجاباً نظراً لهذا الإمتداد الجغرافي المفتوح ، حيث إن الكثير من الأحداث التي ساهمت في صنع تـاريخ العـراق كانـت بسـبب موقعـه وتكوينـه الجغرافي[2]، وكان هذا الموقع مهماً من الناحية الإقتصادية والسكانية ، نظراً لمكانته الكبيرة في التاريخ القديم والحديث

التضـاريس

تحتوي أرض العراق على الأقسام الثلاثة التي يتكون منها سطح الأرض ، وهي السهول والجبال ومابينهما كتدرج الهضاب ، ففي الشمال والشمال الشرقي تمتد سلسلة الجبال المتصلة بأوربا وآسيا إعتباراً من جبال برانس في شمال إسبانيا الـى جبـال هملايا في شمال الهند ، وفي الغرب الإمتداد الشمالي لهضبة شبه جزيرة العـرب ، وفي الوسط والشمال الشرقي توجد مناطق التلال والهضاب وبين [3] هاتين المنطقتين بين الجبال الإلتوائية الشمالية والهضبة الصحراويةيقع سهل العراق وهو وادي دجلـة

---

1 - د. خطاب العاني ونوري البرازي **، جغرافية العراق** ، بغداد ، 1979 ، ص . 12

2 - د . جاسم محمد خاف ، **مرجع سابق** ، ص . 53

3- د. تقي الدين الدباغ ، **مرجع سابق** ، ص . 20

والفرات ، وهذا السهل يكون في قسمه الجنوبي على شكل أرض منخفضة هابطة أو إلتواء مقعر . ويعتبر حديث التكوين . فهو يحتوي على صخور بركانية تحت سطحه موازياً للحدود الشرقية الإيرانية التركية وتمتد فوق سطحه ترسبات
تعود الى العصر الجليدي ، ويعتقد بأن البحر كان يغطي أرض العراق، ولكنه أخـذ بالإنحسار وأخذت تتشكل تربة العراق وظهرت الأجزاء الشمالية في أواخر الـزمن الجيولوجي الثاني تعود الى العصر الجليدي ، ويعتقد بأن البحر كـان يغطـي أرض العراق، ولكنه أخذ بالإنحسار وأخذت تتشكل تربة العراق وظهرت الأجزاء الشـمالية في أواخر الزمن الجيولوجي الثاني وبداية الزمن الجيولوجي الثالث ، واكتملت عملية تكوين دلتا النهرين أي السهل الرسوبي في قسمه الجنوبي ،

هنالك تفاوتاً في تضاريس سطح العراق ، وعلى العموم يمكن تمييز ثلاثـة أنـواع رئيسية من التضاريس تتمثل في ثلاث مناطق هي:

المنطقة الجبلية ، والهضبة الصحراوية ، والسهل الرسوبي . وقد أثر هذا التفـاوت في تضاريس سطح العراق على أحواله الطبيعية والبشرية . [1]

1- **المنطقة الجبلية**

تشمل هذه المنطقة الجبال العالية والمرتفعات شبه الجبلية ، تشغل زهاء 20% من مساحة العراق ، تقع على الحدود الشمالية والشرقية للعراق ، المتاخمة لإيران وتركيا وسوريا، وتتلاشى عند حدود السهل الرسوبي والهضبة الصـحراوية فـي الجنـوب والغرب ، وتشمل أنواع الجبال العالية يصل إرتفاعها مابين 1000 و3600 متر (وتقدر مساحة هذه الجبال بحوالي5 % من مساحة العراق)، وهي مصـدراً مـن مصادرالمياه التي تزود روافد نهر دجلة [2] ، نتيجة للأمطار والثلوج ، وتبلغ حوالي 70% من مياهه، وتخترق هذة الروافد المنطقة الجبلية وتجري بإتجاه الإنحدار العـام وتجري بصورة عمودية ، عابرةً السلسة الجبلية نحو السهل الرسوبي.

1- عبد الوهاب حميد رشيد ، **مرجع سابق** ، ص. 27

2 - د. خطاب العاني ونوري البرازي ، **مرجع سابق** ، ص.14

وتتميز المنطقة الشمالية بوفرة المياه مما يجعلها صالحة للزراعة حيث يبلغ معـدل سقوط الأمطار 60 سنتيمترا في السنة

وتشكل المنطقة شبه الجبلية 15% من مساحة العـراق. وهـي إمتـداد جنـوبي وجنوب غربي لمنطقة الجبال العالية المتاخمة لها، وتمثلُ إنتقالاً من الجبال العالية من أقصى الشمال والشمال الشرقي والسهول الواطئة في الجنوب[1] ، وهي جـزء منهـا ويتراوح إرتفاعها بين 200 الى حوالي 1000 متر وتشكل شبه سلسلة جبلية متقطعة وواطئة ، تفصل بينها سهول وأحواض.

من أشهر سهول المنطقة سهل كركوك وسهل أربيل وهي سهول إشتهرت بزراعـة الحبوب وخاصة الحنطة والشعير، التي تعتمد على الأمطار الشتوية[2]، وتنتهي عنـد الجنوب والجنوب الغربي. وتتكون هذه المنطقة من سلاسل جبلية متقطعة . ما عـدا الجبال المتفرقة كجبل حمـرين ومكحـول ، وفـي هـذه المنطقـة عـاش إنسـان العصورالحجرية القديمة في سفوح المرتفعات ، حيثُ ظهرت أولى القرى الزراعية.

2 - **منطقة الهضاب**

يتكون غرب العراق من منطقة الهضبة الصحراوية وتحتل مايقارب 60 % من مساحته وهي مرتفعات يبلغ إرتفاعها بين 100 الى 1000 متر.[3] غير أن أغلـب مساحتها يبلغ إرتفاعها 300 الى500 . ولو نظرنا الى جغرافية المنطقة نرى بأنهـا إمتدادا طبيعياً لهضبة شبه الجزيرة العربية ، والتكوين الطبيعي لسـطحها متموجـاً. وتنتشر فيها التلال والوديان الصغيرة التي تكونت نتيجة للحركات الأرضية .

1- **كتاب العراق اليوم** ، الصادرعن وزارة الإعلام ، بغداد 1979، ص.19
2- د. خطاب العاني ونوري البرازي ، **مرجع سابق** ، ص.15
3- - عبد الوهاب حميد رشيد ، **مرجع سابق** ، ص. 28

فحدثت فيها إنكسارات وإلتواءات وتعرضت لعوامل التعرية نظراً لإنحـدار الأرض، والمنطقة فقيرة للنبات الطبيعي ، لقة الأمطار التي تسقط بعنف في فترات قصيرة من السنة ، ظهرت فيها منخفضات ووديان تتجه من الغرب الى الشرق باتجـاه السـهل الرسوبي ، وتلال قليلة وصخور وكتل من الجص وكثبان رملية ‘ هذا التبـاين يميـز قسمين رئيسين هما (هضبة الجزيرة) و(هضبة البادية الغربية) ففي الأولى تكثـر المستنقعات التي تجمعت فيها المياه والأمـلاح نتيجـة عوامـل التعريـة ، وأوسـع منخفضات هضبة الجزيرة منخفض الثرثار، وهو واد طويل تنتهي اليه وديان كثيـرة تنحدر من الجبال المجاورة ، يبلغ طوله 300 كيلومتر ومعدل عرضه 45 كيلومتر ويرتفع عن سطح البحر بـ 325 مترا ، ويتراوح إنخفاض قاع البحيرة بثلاثة أمتـار عن سطح البحر، يعتقد إن هذا المنخفض نشأ عـن إنكسـار فـي قشـرة الأرض ، وهبوطها فحدث غور ثم حدثت إنكسارات أرضية باطنية أدت الى تجزئته ، وربمـا كان شكله هو الذي يدلُ على الإنكسار، تَحول هذا المنخفض في السنوات الأخيرة الى خزان مائي كبير، لخزن مياه دجلة التي كانت تتسبب في الفيضانات الموسمية ، وبه تم إنقاذ المدن والمزارع من الخطر الذي يصيب المناطق الجنوبية.

3- **السهل الرسوبي**

<u>تكوينه</u> .

يعرف سهل العراق الجنوبي بأهمية كبيرة لصلتة الوثيقة بأقدم حضـارة بشـرية معروفة لحد الآن . تلك الحضارة التي نشأت وإزدهرت في هذه المنطقـة الرسـوبية الدلتاوية ، وعن كيفية تكوين هذا السهل وعلاقته بالخليج العربي، فـإن هنـاك آراء كثيرة سنتعرض لها [1].

كان الإعتقاد السائد بأن ساحل الخليج العربي كان قبـل 4000 سـنة عنـد بلـدة هيت[2]على نهر الفرات، وعند سامراء على نهر دجلة وإن جنوب العراق إبتداء مـن هاتين المدينتين الى ساحل الخليج العربي الحالي ، كان مغموراً بالميـاه ، ثـم أخـذَ

1- عبد الوهاب حميد رشيد، **مرجع سابق** ، ص 28.

2 - مدينة هيت تقع الآن شمال بغداد على ساحل نهر الفرات عندما يدخل الأراضي العراقية من الجانب الغربـي سوريا .

الساحل يتقدم نتيجة لتراكم الغرين الذي تجلبه مياه النهرين حتى وصلَ هذا الساحل الى حده الحالي في الجنوب ، وقد إعتقد بهذا الرأي الخبير الآثاري ستيون لويد . مؤلف كتاب (الرافدان)[1] .

وهذا يعني إن ساحل الخليج العربي قد تقدم جنوباً بما يساوي 680 كيلومتر، وهي المسافة بين هيت والخليج العربي على طول نهر الفرات ، في حين أن أول حضارة نشأت على أرض السهل الرسوبي في الألف الرابعة قبل الميلاد هي حضارة العبيد الواقعة قرب أريدو ، لكن هذا يبدو مستحيلا لأن موقع أريدو الحالي يقع في جنوب العراق قريباً من مدينة الناصرية التي تبعد عن ساحل الخليج العربي ب350 كيلو متر تقريباً [2].

لكن نظرية تقدم الساحل كانت مقبولة عند الباحثين، وقد أثار هذا الإعتقاد تساؤلاً كبيراً ، الى أن نشر الإستاذان الجيولوجيان ليس lees وفالكون falcon مقالاً ذكرا فيه: (إنه لايوجد دليل تاريخي على أن راس الخليج كان يوماً ما بعيداً عن موقعه الحالي وإن نهر دجلة والفرات والكارون لم تعمل على بناء دلتا وتتقدم الى الأمام . بل كانت تعمل على توزيع رواسبها الغرينية في منخفضات القسم الجنوبي من السهل الرسوبي . وأن الحوض الذي يحتله هذا القسم قد إنخفض ولايزال مستمراً في الإنخفاض بسبب ثقل الترسبات. أو تحركات باطنية للأرض ، أعقبها إنحناء محدب أدى الى إبتلاع باطن الأرض). [3]

ربما كانت هذه النظرية الأقرب الى الواقع في عملية تشكيل السهل الرسوبي ، وهي تعتمد على أسس كثيرة منها وجود مدينة أريدو قبل 4000 سنة ق . م .

وان السومريون الذين نزحوا الى جنوب العراق وجدوا منطقة من الأرض اليابسة فإستوطنوا هناك ، ولعدم وجود أثر لأصداف بحرية بعد تحليل التربة ، فضلاً عن إكتشاف آثار عمرانية وأن المنطقة كانت تزرع بالحبوب قبل 1300 عام .

---

1 -le Grand Atlas de L΄Architetur Mondiale France 1988 .

2- د. احمد سوسة ، **فيضانات بغداد في التاريخ** .ج1، بغداد 1963 ،ص . 132

3- نشر هذا المقال في المجلة الجغرافية البريطانية عام 1952 .

مما يؤكد بأن المنطقة لم تكن مغمورة بالمياه [1] . وبهذا يناقضان النظرية التي تقول بأن السهل الرسوبي كان ممتلأً بمياه الخليج العربي.

أما الباحث الآثاري دي موركان de morgan [2] الذي حدد مياه الخليج العربي بـين مدينة أور على الفرات ومدينة العمارة على دجلة في الألف الرابعة قبـل المـيلاد ، وإستند الى نفس الأسس السابقة بإفتراض وجود بعض المدن القديمة علـى السـاحل القديم للخليج إستنادا الى نصوص ورد فيها ذكر تلك المدن ، ومثال ذلك كاراكس[3] (ميسان حالياً) التي يعتقد إن الإسكندر المقدوني بناها على بعد كيلو مترين ونصف تقريباً من ساحل البحر، وهي الآن تبعد 180 كيلو متر عن ساحل البحر ، وكـذلك مدينة أور التي تدل الدلائل على إنها كانت ميناء في زمن السومريين ، وهـذا علـى ضوء الألواح الطينية التي تشير الى النقل والتجارة عن طريق أور، ويفسر موركان تكوين اليابسة بفعل الترسبات الغرينية والحصى التي وجدت حـدوده حتـى مدينـة سامراء ، وكانت اليابسة تتكون بمعدل الكيلومترين في القرن الواحد [4].

وهناك رأي آخر وهو خلاصة جهود جيولوجية قامت بها بعثـة ألمانيـة برآسـة نوتزل notzil تعتقد أن المنطقة كانت متجمدة في العصور الجليدية الأولى حيـث تراكمت الثلوج على خطوط العرض العليا، ولما ساد الدفئ وذابت الثلوج عادت المياه الى ما كانت عليه وبدأت مناسيب البحار بالإرتفاع ، وأخذ منخفض الخليج العربـي يمتلئ الى أن وصلَ الى مستواه الحالي، لأن الأرض في جنوب العـراق منخفضـة تدريجياً حتى تصل الى الخليج العربي[5]

هذه بعض آراء الآثارين بخصوص تكوين السهل الرسـوبي وعلاقتـه بـالخليج العربي، قد تبدو هذه الآراء متناقضة ، لكنها تؤكد حقيقة أن القسم الجنوبي من العراق قد تعرض لحالة من الغمر بالمياه ، ومهما يكن من أمر فإن إنفتـاح العـراق علـى الخليج ، سهلَ عملية التبادل والإتصال مع أقطار المنطقة منذ زمن السومريين ، وقد

1- د. احمد سوسة ، **تاريخ حضارة وادي الرافدين، ج1**، بغداد ، دار الحرية للطباعة ،1983 ، ص. 84

2 -De Morghan , Memoires de la delagation en perse I , 1900.

3- ويقصد بها المدينة المحصنة باللغة الآرامية / أنظر **موسوعة حضارة العراق ج 1** ، ص 17.

4- د. احمد سوسة ، **مرجع سابق** ، ص . 85

5- د . تقي الدين الدباغ ، **مرجع سابق** ، ص . 39

وجدت بعض الآثار التي ترجع الى الحضارة العراقية القديمة على سـواحل الخلـيج العربي ، وفي جزيرة دلمون (البحرين حالياً) (الشكل-1) .

يبلغ طول هذا السهل 650 كيلو متر، وعرضه 250 كيلو متر ويمتد على شكل مستطيل من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي ، ويشغل هذا السهل حوالي 20 % من مساحة العراق ويبلغ إرتفاعه عن مستوى سطح البحر 100 متر في شماله عنـد محور مدينة تكريت ، والفلوجة لكنه يبدأ بالتناقص ويصل الى 35 متر عند مدينـة بغداد ، وينحدر جنوباً بإتجاه مدينة البصرة التي تشكل ميناء العراق الوحيد[1]، وقـد أدرك العراقيون القدماء أهمية المياه فشقوا القنوات والأنهار الصغيرة من نهر الفرات بإتجاه نهر دجلة ، وجعلوا السهل الرسوبي إبتداء من شمال بغداد– الفلوجة على شكل شبكة من مشاريع الري الكبيرة والصغيرة ، لكن الأمر يبدو مختلفاً كلما إتجهنا نحـو الجنوب الشرقي من السهل حيث ترتفع الأرض ويبدأ وادي دجلة بالإرتفاع في منطقة الكوت – ناصرية[2]، حيث يمكن إقامة مشاريع الري بين دجلة والفرات ، وفي نهاية هذه الطبقة الصخرية المرتفعة توجد الأرض الرسوبية التي تشملُ جنـوب العـراق المتكونة من إلتقاء نهري دجلة والفرات ، التي كونت أرض منخفضة هابطـة علـى شكل التواء مقعر، وكان تكوينها على مرور العصور الجيولوجية، وما زالت الأرض الرسوبية في طور التكوين نتيجة للحركات والإنكسارات فـي القشـرة الأرضـية ، وظهرت تدريجياً طبقات أرضية نتيجة للطمى الذي يحمله النهران عند إلتقائهما فـي شط العرب الذي يصب في الخليج العربي[3] ، ويتم تنظيف هذا المصب من الطمـى والأحجار بين فترة وأخرى لكي يتوقف ظهور الأراضي الجديدة على حساب إنسحاب

---

1 - عبد الوهاب حميد رشيد ، **مرجع سابق** ، ص37 .

2- حفر السومريون قناة كبيرة إمتدت من نهر دجلة الى خزان متسع كبير عند مدينة لجش الواقعة علـى نهـر الفرات وكان إسم القناة (هومادمشا) ويحتمل أن تكون القناة الحالية التي تتفرع من دجلة عند سدة الكوت وتمتـد جنوباً حتى تلو (لجش) وتسمى حالياً نهر الغراف الذي تقع عليه مدينة الشطرة ، وربما كانت نقطة التقاء دجلـة والفرات عند مدينة أور، يعتقد بأن مجرى هذا النهر هو مجرى نهر دجلة قديماً ، وكان يلتقي عند مدينة الوركاء ، أو هو النهر الذي حفره أنتنيما ليسقي مدينة الوركاء التقاء دجلة والفرات عند مدينة أور. يعتقد بأن مجـرى هـذا النهر هو مجرى نهر دجلة قديماً ، وكان يلتقي عند مدينة الوركاء ، أو هو النهر الذي حفره أنتنيما ليسقي مدينـة الوركاء .

3- د . تقي الدين الدباغ ، **مرجع سابق** ، ص.40

البحر، لكن نسبة الترسب تناقصت تدريجاً وأصبحت تساوي 10 % من المواد العالقة بنهري دجلة والفرات [1] والناتجة من تصريف الأهوار والمستنقعات المنتشـرة فـي جنوب السهل الرسوبي .

إن ظهور الأهوار[2] والمستنقعات هي ظاهرة طبيعية تصاحب تكوين دلتا الأنهار، وهذا مما يمنع تجمع الترسبات التي تحملها الأنهار والجداول ، وبالرغم من مرور فترة طويلة تقدر بـ 2500 سنة على تكوين الأهوار لكنها لـم تمـتلأ بعـد. ويرجع هذا لإمور كثيرة منها قلة الترسبات أو لقابلية الإمتصاص الكبيرة الموجـودة في تربة السهل الرسوبي . حيث تظهر المياه على سطح الأرض بين فترة وأخـرى بعد إمتصاصها بعملية تسمى (النزيز) وهي ظاهرة طفحان المـاء علـى سـطح الأرض .

ومن المشاكل التي جابهت الفلاح في الجنوب العراقي قديماً، كانت الملوحـة ولهـا أسباب عدة منها إرتفاع مستوى المياه الجوفية ، التي تحتوي على نسبة عاليـة مـن الملح ، وطريقة الإرواء الغير منتظمة التي تجعل المياه تتصـل بالميـاه الجوفيـة ، ويحتضن السهل الرسوبي عشرات الأهوار والبحيرات وتلتف حوله وتتخلله شبكة من الأنهار[3]

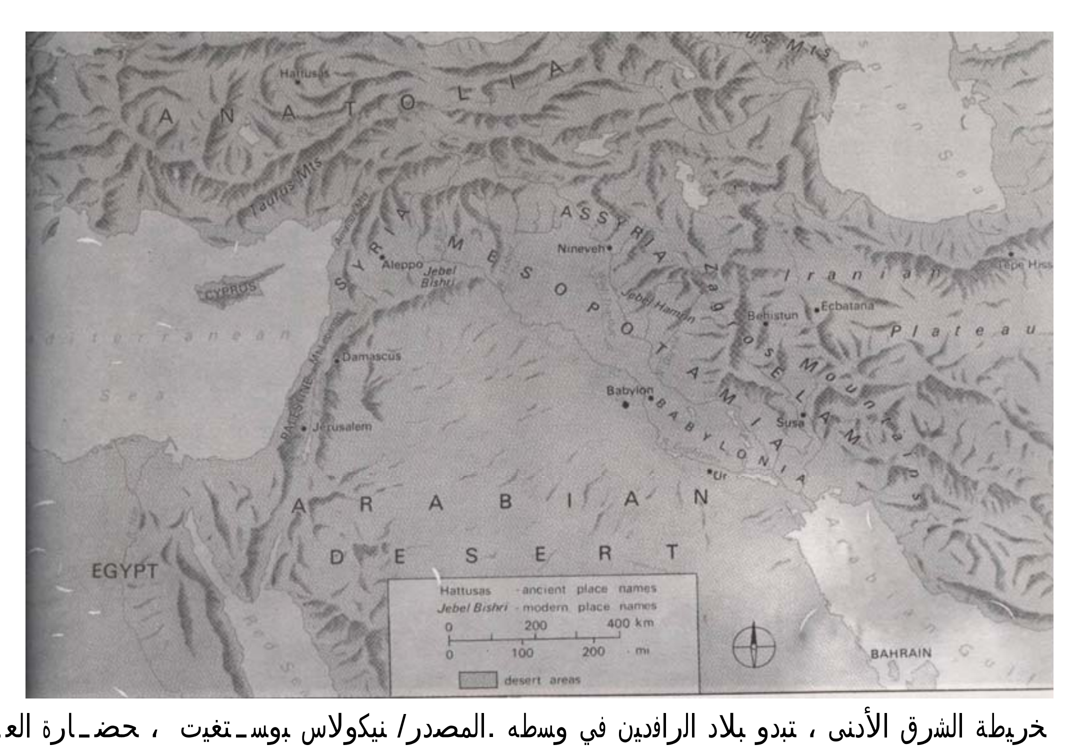
مصـادر المياه

كان قدماء العراقيين يعتبرون الماء مصدر الحياة ومنبع الخير والبركة ، لـذلك فإن أغاب آلهتهم التي يعبدونها ويقدمون لها القرابين ويتبركون فيها ، مثل إله المياه (أنكي) باللغة السومرية أو(أيا) باللغة السامية ، هو الذي يسيطر علـى اليـنابيع وبيده مصادر المياه ، ويكون مقره فيها ، وهو يحرك الفيضانات أو يوقفها حسب

1- د. سامي سعيد الأحمد ، **حضارة العراق . ج2** ، دار الحرية للطباعة ، بغداد 1985، ص 181.

2 - تعرضت منطقة الأهوار الى عملية تجفيف وإزالة تامة من خارطة العراق ، قامت بها الحكومة السابقة في فترة التسعينيات ، مما أدى الى حالة من عدم استقرار في التوازن الطبيعي للمنطقة ، التي تمثل مصدراً مهما في الاثار والسياحة، وتحتوي على ثروات كبيرة كالنفط ، والأسماك ، والطيور ، ونتيجة للتجفيف أصبحت بعض البقع الأرضية تشتعل بعض الأحيان في فصل الصيف الشديد الحرارة نظراً لصعود النفط الى سطح الأرض ، وموت الأسماك ، وفقدان انواع من الطيور المهاجرة فكان تدخل الأمم المتحدة من اجل ان تكون هذه المنطقة محميمة طبيعية ، وقد عادت اليها المياه في عام 2003 ، وهي الان في طور الإعادة والتكوين.

3- د . تقي الدين الدباغ ، **مرجع سابق** ، ص . 41



خريطة الشرق الأدنى ، تبدو بلاد الرافدين في وسطه .المصدر/ نيكولاس بوستغيت ، حضـارة العـراق وآثاره .

إرادته لغضبه أورضاه[1]، وقد أضفى العراقيون القدماء طابع التقديس والتعظيم على دجلة والفرات ، وجسدوها على منحوتاتهم ، وربطوا مصيرهم ومستقبلهم بمصـادر الخير التي تعني الخصب والجمال

ورغم ان حضارتي الشرق الأدنى القديم العظيمتين . في مصـر وبـلاد الرافـدين تقومان على ضفاف الأنهار، وتعتمدان على الري ، فإن التناقض الواضح الموجـود بينهما اليوم والمتمثل بوجود المعالم الأثرية ، لمشاهدة مصر الفرعونية اليوم يكفي أن ُنبحر في نهر النيل لزيارة المواقع الأثرية الموجودة على الضفتين ، في حين لانجـد هذا في حضارة الرافدين، بسبب تغيير مجرى النهرين ، فنجد مـدناً مزدهـرة فـي حضارة الرافدين تحولت اليوم الى خرائب منعزلة في وسط الصحراء بتأثير الظروف المناخية عليها[2].

1- د. أحمد سوسة، **مرجع سابق** ، ص. 85

2- د . تقي الدين الدباغ ، **مرجع سابق**، ص .41

وكان لنهري دجلة والفرات وروافدهما الأثر الكبير في نشوء الحضارة العراقية ، حيثُ منحا الحياة لبلاد الرافدين ، واقترن إسميهما بها وأصبح العراق هبة الرافدين ، مثلما هي مصر هبة النيل ، و شَهدت المناطق المحيطة بهما ظهـور أولـى القـرى الزراعية ، حيث كانت الزراعة المبكرة الحرفة الأساسية عند سكان العراق قـديماً ، والتي مهدت لقيام أقدم الحضارات البشرية وكانت للأنهار أهمية كبيـرة فـي الـري والمواصلات والإستقرار البشري ، وقد إعتمدَ قدماء العراقيين على النقـل بواسـطة الأنهار عامة وفي السهل الرسوبي بصورة خاصة ، نظراً لإنتشـار قنـوات الـري ولسهولة النقل النهري وقلة تكلفته ، وهو يسير بسهولة و دون مخاطر مـن أعـالي النهر وحتى مصبه ، ولهذا السبب طوروا وسائط النقل البرية ووصلوا الـى البحـر الأحمر عن طريق الخليج العربي[1] [2]، لقد شكلَ سطح العراق بتكويناتـه منخفضـاً كبيراً لتجميع المياه ، وينحدر سطحه إنحداراً تدريجياً نظراً لوجـود إلتـواءآت فـي التكوينات الرسوبية عند حافة هضبة إيران، ووجود المرتفعات والجبال فـي حـدوده الشمالية أدى هذا الهبوط في وسط التربة الى طغيان المياه في القسم الجنوبي . وكان نتيجة لهذا التكوين الأرضي تشكيل الروافد من الأنهار والبحيرات الصغيرة ، أدى في النهاية الى ظهور نهرين كبيرين هما دجلة والفرات وإن الإسمين العـربيين لدجلـة والفرات أقرب الى التسمية السومرية(أوجلان وبارانون)[3] فكانا مصدراً مهماً مـن

1- لإثبات ذلك في قام رحالة سويدي في سبعينيات القرن الماضي ببناء سفينة من القصب في جنوب العـراق ، وأبحر بها مع مجموعة من طلبة مدرسة الفنون الجميلة ، من ميناء البصرة بإتجاه الخليج العربـي نحـو البحـر الأحمر عبر مضيق هرمز، وصل الى البحر الأحمر لكن السفنينة كانت قد تحطمت نتيجة رياح قوية .

2- خطاب العاني ونوري البرازي ، **مرجع سابق** ، ص. 20

3- دجلة .أدجيلات ، ربما يكون معنى هذا السهم او السرعة ،والتي أخذت منه التسمية الغربية تايكرس، والفرات يورانون يورانونانشم في الأكدية ،وقد خصه العراقيين القدماء بقدسية وإحترام خاص حيث نظمـت فيـه التراتيـل الدينية، وبنى بداخله الإله الرب أنكي بيته/انظرد. سامي سعيد الأحمد "السومريون وتاريخهم الحضاري" بغـداد، 1975، ص. 13

حضارة العراق ، بعد أن ساهمت الجهود البشرية الشاقة في ترويض البيئة النهريـة والإستفادة منها[1] ،

شأنهم في ذلك شأن الحضارة المصرية القديمة ، حيث كان نهر النيل شريان الحياة فيها، والعراق بلد يمتاز بوجود هذين النهرين ، ويتبعهما عدد من الروافـد الكبيـرة والصغيرة وهو من البلدان القلائل الذي يحوز على ثروه مائية كبيرة بالنسبة لمساحته الصغيرة ،وهو من أغزر بقاع الأرض مياهاً ومن أكثرها خصباً لكنها تناقصت بفعل عوامل كثيرة منها ، قلة سقوط الأمطار والثلوج على مرتفعات أرمينيا ، وبناء السدود الكثيرة من قبل تركيا وسوريا،

ينحدر هذان النهران ويتجاوران وهما يقطعان سطح العراق قرباً وبعداً ، ناشرين روافدهما حد التشابك حتى يلتقيان في مدينة البصرة ،ُمشكلين شـط العـرب الـذي يصب في الخليج العربي ، ومثلما تغير مجرى النهرين عبر التاريخ ، فإننا لانستطيع أن نحدد زمن تحوله ، بيد أن وصف الرحلات التي كان يقوم بها الرجـال والآلهـة السومريون بواسطة السفن عبر الممرات المائية تبين أن المدن الكبيـرة مثـل نفـر وشروباك ولارسا وأوروك وأور كانت تقع على مجرى رئيسي للفرات وكان سـبباً في[2] توحيدها .

وتذكر النصوص المسمارية الكثير من أسماء القنوات والأنهار، ولكن من الصـعوبة معرفة مكانها بالضبط ، وقد وردت قوائم بأسمائها في مكتبـة (آشـور بانيبـال) ، فهناك قنوات سميت بأسماء الآلهة والمدن وكان الإهتمام كبيراً في إدامـة وصـيانة وحراسة القنوات والمحافظة عليها، وقد يكون مكان إلتقاء النهرين قدَ تغير كذلك لنفس العوامل المذكورة ، وربما كانت مدينة أور مكان إلتقائهما حتى وصلَ الـى مسـتواه الحالي بعد مرور فترات زمنية طويلة ، هذا على ضوء المكتشفات الأثرية والتحليـل الجيولوجي للأرض في الجزء الجنوبي من العراق ، ويمكن تفسير هذه الظاهرة حيث يجري نهرا دجلة والفرات في المناطق الجنوبية وهي منطقة غرينية ، وفـي وقـت

1- خطاب العاني ونوري البرازي ، **مرجع سابق** ، ص .22

2 - د . جاسم محمد خلف ، مرجع سابق ، ص. 58

إرتفاع المياه خلال فيضانات الربيع[1]، وقد حدثت تحولات العصور القديمـة ، أدت الى تكوين كميات كبيرة من المياه كانت من الممكن أن َتجبر الأنهار علـى تكسـير ضفافها العالية ، لإغراق مناطق واسعة في السهل المحيط بها وأن تجد لهـا ممـراً طبيعياً غير المجرى السابق ،

يبلغ طول نهر دجلة من المنبع الى المصب 1718 كيلـو متـر ، وهـو شـديد الإنحدار وكان سبباً في حدوث فيضانات موسمية غيرتا في شكل البناء والعمـارة ، ولعلَ أول الصراعات التي واجهتها هذه الحضارة كانت مع الطبيعة[2] أي مع نهري دجلة والفرات

إن عبور هذين النهرين لأراضي سومر،رغم أنهما كانا يمثلان مصـدر العـيش إلا أنهما كانا يمثلان أيضاً مصدراً للخراب والدمار والكوارث على المحاصـيل وعلـى السكان ، من خلال[3]فيضانهما الذي يحدث بشكل رئيسي مع ذوبـان الثلـوج علـى هضبة أرمينيا وجبال زاجروس ، وكان الفيضان يفاجئ الناس في تلك المنطقة، ولـم تكن هناك الوسائل التي يمكن أن تحذر الناس وتعلمهم بمقدم الفيضان، ولم يكـن لـه مواعيد وأيام محددة ،ربما إكتسب سكان وادي الرافدين خبرة في التعرف على أوقات مقدم الفيضان ، الذي يبدأ في أوائل الربيع ومع بداية ذوبان الثلـوج ، وإن إختلفـت مواعيد فيضان النهرين ، يبقى الصراع مع هذين النهرين ، الذي استمر منـذ ذلـك الوقت وحتى بداية القرن العشرين ، رغم أن السومريين ابتكروا أنظمة مميزة للـري وحاولوا التخفيفَ بقدر المستطاع من حدة فيضان النهرين [4]

وان تأثير الفيضانات أضطر سكان الرافدين الى بناء المنشآت المعمارية علـى رواب إصطناعية ، وإتخذوا المناطق الأكثر إرتفاعاً أماكن للبنـاء ، ويعتقـد أن الملوحـة والفيضان هما سر ذلك التشاؤم الذي ُيميز فلسفة سكان وادي الرافدين القدماء من جهة ، ومن جهة أخرى يكون مفيداً لإنه يترك كمية من الطين ، الذي كان ُيسـتخدم فـي البناء والنحت والأختام الإسطوانية والأواني .

---

1 - د . جاسم محمد خلف ، مرجع سابق ، ص. 58

2 - د. تقي الدين الدباغ ، **مرجع سابق** ، ص. 48

3 - د. احمد سوسة ، مرجع سابق ، ص . 102

4- د.عواد مجيد الأعظمي ،**حضارة العراق**.ج5 " الزراعة ، دار الحرية للطباعة ،بغداد 1985،ص . 259

الــري:

كانت هنك ثلاث محاولات لسقي المزارع وإروائها في العراق :

1- السقي سيحاً

2- السقي بالمطر : وهي مانطلق عليه بالأراضي الديمية

3- السقي بواسطة : وهي الآلات الأكثر أستعمالا. كالدالية ، والناعور، والدولاب

وكان للري وأساليب السقي وتوزيع المياه أهمية كبيرة نظراً لقلة الأمطار في الجزء الجنوبي من العراق، ويرجع لهم الفضل في تحويـل بيئـة وحشـية مـن الأهـوار والصحراء الى مناطق حضارية بكل ماتعنيه الكلمة[1] ،

ولم تكن حاجة سكان المرتفعات الشمالية للعراق الى وسائل إروائية لتـوفر المطـر الكافي والمناخ الملائم ، وعلى العكس من ذلك كان سكان جنوب العراق يلجأون الى وسائل عديدة لتوفير المياه بطرق إروائية ليسهل عليهم ممارسة الزراعة .

وتذكر الإسطورة أن الأله ننورتا حارب عفريتاً في الجبال وأنتصر عليه ، ما سـبب في إرتفاع المياه التي خَربت كل ماشيده البشر والآلهة ، ولم تتوقف هـذه المأسـات حتى أقام الإله حاجزاً عظيماً أوقفَ به الفيضان وساطَ المياه الزائـدة علـى دجلـة ، فأصبح الري في نظرهم يرقى الى العمل الإلهي[2]،

وقد سبب هذا تحولاً للمدن والسكان ، جعلتا سكان جنوب العراق يفكرون في إيجـاد سبل وطرق للحفاظ على المعابد والأ بنية الأخرى ، وخاصة المقدسة منهـا ، وقـد وجدوا الحل في بناء معابدهم على شكل مصاطب مرتفعة بعض الشئ عـن سـطح الأرض، وذلك منعاً لهذه المياه من التأثير على بنائهم ، وأصبح عدد المصاطب يزداد حتى بلغت أواخر الألف الثالث ق.م ثلاث مصاطب ، وكان المعبد فـي أعلاهـا ، ومثل هذه المصاطب تسمى الزقورة التي بلغت في الزمن البابلي سبع طبقات[3] .

1- د. أحمد سوسة ، مرجع سابق ، ص. 25

2- د. فوزي رشيد، **موسوعة حضارة العراق.ج1** "المعتقدات الدينية "، دارالحرية للطباعة بغـداد ،1985، ص. 181

3 - د. سامي سعيد الأحمد ،**موسوعة حضارة العراق**، ج2 ،"الزراعة والـري" دار الحريـة للطباعـة. بغـداد ،1985، ص .170

كان تأثير الفيضانات اقلُ ضرراً على المنشآت المعمارية التي بنيت على المناطق الأكثر إرتفاعاً ، وحيثُ أن هذه المنشآت ُشيدت من الطوب ، ومن خاصية الطـين أن تبنى المنشآت فوق بعضها(لذلك يعتقد بأنهم شَيدوا المدن الجديدة فوق المدن القديمة) ، ومثال على ذلك معبد (أريدو) ، الذي إكتشف المنقبون أن هذا المعبد كان قد بنـي في نفس الموقع عدة مرات حتى بلغت المعابد الُمشيدة في ذلك الموقع ثمانيـةَ عشـر معبداً ، الى أن جاءت الزقورة التي َشيدها الملك أور- نمو في أريدو بكتلتها البنائية ، التي كانت فوقها جميعاً وذلك في العصر[1]السومري الحديث .

والري هو الإسلوب الصناعي الذي يمكن بواسطته توفير المياه اللازمة للزراعة ، كما انه يشملُ جميع الطرق والوسائل التي يتم بموجبها مقاومة الفيضانات ، أو فـتح القنوات والجداول وإقامة السدود والإستفادة من المياه الزائدة ، ومشاريع الري تكـون مهمة في المناطق التي تشهد شحة أوتذبذب في الأمطار ، أو في المناطق المعرضـة لإخطار الفيضان ، وفي المناطق الجنوبية من العراق التي شَهدت أولى الحضـارات الإنسانية[2].

من المعروف أنه لاتقوم الحضارة إلا على وجود المياه وتنظيم الري ووجود الزراعة ، ويكاد أن يكون موضوع الري مرادفاً للحضارة ، والتمـدن والإسـتقرار ويعنـي الزراعة التي تعتمد على الري والماء هو مصـدر الحيـاة وبـه تنمـو وتزدهـر الحضارة[3].

يعتقد أن الحضارة القديمة في العراق بدأت عندما بدأ الإنسان القديم يكتشفُ سـبل إيصال الماء الى الأرض ، ومن تجاربه في شق الجداول وبناء السدود والخزانـات ، ورفع الماء الى مستويات عليا من الأرض ، كما هوالحال في جنائن بابل المعلقـة ، وكان هذا منشأ علم الري في التاريخ لأن مثل هذه الأعمال لاتـتم إلابمسـتوى مـن

---

1 - د. فاضل عبد الواحد ، د .عامر سليمان ، **تاريخ العراق القديم** ، بغداد 1980، ص. 120

2- د . أحمد سوسة **، مرجع سابق ،** ص.98

3 - ويفسر الدكتور أحمد سوسة معنى الحضارة ويقول (إما الحضارة فهي كلمة عربية مشـتقة مـن الحضـر والحاضرة أي القرى والأرياف والمنازل المسكونة ، فهي خلاف البدو والبداوة والحاضر هو سـاكن الحاضـرة ويعني الحي العظيم والحضارة الإقامة في الحضر) أنظر/ **نفس المرجع** ، ص .99

التمدن . وقد بدأ تنظيم الري من أجل توسيع رقعة الأراضي الزراعيـة فتـروى ، بالإضافة الى إتقان رفع المياه الى الأراضي المرتفعة ، مما أدى الى إختراع الدولاب وإستخدام الطاقة المائية والحيوانية لتدويره .

كان السكان في مرتفعات شمال العراق لايحتاجون الى وسيلة إروائيـة ، لتـوفر المطر الكافي والمناخ الملائم وعلى العكس من ذلك كان سـكان جنـوب العـراق يلجأون الى وسائل عديدة لتوفير المياه بطرق إروائية ليسهل عليهم ممارسة الزراعة ولما كان المناخ في السهل[1] الفيضي لم يتغير طيلة هذه الحقب، لذلك بدءوا في شـق القنوات والترع في حقبة عصر العبيد في الجنوب وتل الصوان وعصـر سـامراء ، حيث لوحظت آثار قنوات قديمة في المنطقة المجاورة لأريدو، التي كانت في العصور الماضية على صلة بنهر الفرات وكان أساس ثراء المدن السومرية الأولـى ، هـي خصوبة الأرض التي إعتمدت على الإرواء ولابد أن يكون الدور الأكبر في السيطرة على فيضانات الربيع بنظام واسع من السدود والقنوات (شكل – 02) ، وكان هـذا الثراء واسعاً حتى أعتبر السومريون نظام الري المتكامل من عمل اله ،

تظهر جغرافية المنطقة في قسمها الجنوبي أن نهر الفرات أقلُ إرتفاعاً من نهر دجلة ، وكان قد عثرعلى نهر مجاور لنهر الفرات ، وإن نهر الغراف الذي يتفرع من نهر دجلة ويصب في نهر الفرات عند موقع الوركاء حالياً ، ينسب الى (أنتمينـا) وهـذا النهر ينقل المياه الى مسافة 140 كيلو مترا تقريباً وكانت هذه الأراضي تسـقى مـن الفرات[2]. ربما كان هذا مكان التقاء النهرين عند مدينة أور ، فإذا كـان هـذا هـو المجرى القديم لدجلة ، فإن فيضانات الفرات هي التي أجبرت دجلة على تغيير مجراه عدة مرات ، ومن المحتمل أن يكون مجراه الحالي هو نفسه خلال الألف الأولى قبل الميلاد ، ويتفرع من دجلة عدة روافد[3] ، منها الخابور والعظَيم وديالى ، الذي بني

1- د. أحمد سوسة ، **مرجع سابق** ، ص .31

2 - د. فوزي رشيد ، **مرجع سابق** ، ص . 180

3- د نزار الحديثي ، **حضارة العراق ج1** " المقدمة " ، دار الحرية للطباعة ، بغداد 1985، ص .49.32

عليه مشروع النهروان، وقدُ شيد سد على نهر العظَيم لحجز الميـاه الكثيـرة التـي تتجمع فيه أثناء الفيضان ، وتمنع من تخريب نهر النَهروان[1]

وكان وادي الثرثار (ترتارا قديماً) كما هو الآن أوسع مجمع للمياه في العـراق ، وهو على شكل منخفض أرضي تصب فيه وديان عدة تأتي من جبال سنجار ، ويدلُ شكله الطويل الضيق وإرتفاع حافته الشرقية وإختلاف إستقامة الوديان ، تؤكد علـى إنه لابد وأن يكون تكوينه نتيجة لإنكسار في قشرة الأرض [2] وكان إنشاء هذا السـد سبباً في السيطرة على خطر الفيضان ويشكل الغرين الناتج عن الفيضانات مشـكلة كبيرة ، نظراً لنسبته الكبيرة لكنها أقل في نهر الفرات من نهر دجلة . والمعروف إن 10% من هذه النسبة تذهب الى الخليج العربي وتترسب الكمية الباقية في طريقها اليه

إتضحت دراسة مقارنة إن نهر دجلة يحمل من الغرين أثناء الفيضـان مايعـادل خمس أمثال مايحمله نهر النيل في مصر من رواسب غرينية ، مما يجعل الرواسـب الغرينية من المشاكل الكبيرة في العراق ، وتؤكد الضفاف العالية عند الجداول القديمة المتناثرة في مختلف أجزاء السهل الفيضي الجهود الضخمة التي قام بهـا العراقيـون القدامى كل سنة من أجل تطهير جداولهم من الرواسـب الغرينيـة[3]يرجـع إتقـان العراقيين القدماء لهندسة الري لتوسيع أراضيهم الزراعية ، وكانت عنـايتهم بـالري ولدرء خطر الفيضان فقد حققوا نجاحات كبيرة في هذا المجال ،وتدل الألواح الطينية على ذلك ، فقد كان حمورابي مهتماً كثيراً في هذا الجانب وفي تطهير الأنهار وشـق القنوات، وكذلك الأعمال الإروائية التي قام بها الملك الآشوري سـنحاريب ، حيـث أخبرنا(من خلال المخطوطات الطينية) [4]عن مشروعه في إرواء أربيل حين حفر في

1- عبد الوهاب حميد رشيد ، **مرجع سابق** ، ص. 28

2 - د. فوزي رشيد ، **مرجع سابق** ، ص . 181

3 - د. سامي سعيد الأحمد ، **مرجع سابق** ، ص .180

4ـ عبد الوهاب حميد رشيد ، **مرجع سابق** ، ص .29

الجبال ثلاثة أنهار وسميت هذه الأعمال بإسماء الملوك أو الالهة[1]، وهذا لايعنـي إن هذه الثروة المائية وحدها ساهمت في تكوين الحضارة،بل الجهـود البشـرية الشـاقة لترويض البيئة النهرية واستغلالها للإستفادة منها كان لها البعد الحاسم [2]

وسائل الـــري:

إستعملَ العراقيون منذُ القدم وسائلَ وآلات لنقل المياه وسقي الأراضي البعيـدة عـن ضفاف الأنهار، فقد إستعملوا الدالية ، وهي عبارة عن آلة سقي بسيطة تتكـون مـن عمود في نهايتة حجرة كبيرة ، وفي الجهة الأخرى وعاء من الجلد ويسند على حجرة في الوسط ، فإذا إرتفع العمود من جهة إنخفض من الجهة الأخرى ، حيث ينقل الماء بواسطته الى الأرض ولاترفع هذه الآلة الماء لأكثر من ستة أقدام ، وصـور نفـس شكل هذه الآلة على ختم إسطواني في عهد سنحاريب،(مازالت مستعملة في منطقـة البصرة جنوب العراق) وهناك الناعورالمائي ويعمل بقوة تيار ماء النهر،وهوعبـارة دائرة خشبية كبيرة(ربما يصل قطرها الى عشرة أمتار) [2](شـكل -03) ويـربط بمركزه قطع خشبية بأحكام ويستند الى دعامتين تشيدان عادة من الطابوق أمام مجرى النهر، ويدور بإتجاه محوره فتملأ الجرار وتفرغ بحركة دورانية يدفعها تيـار المـاء وهكذا ،

وقد ظهرت هذه الآلة في المناطق الشمالية والوسطى من العراق ،عند الآشـوريون ، نظراً لقوة التيار المائي للنهر ، وعلى العكس من ذلك في جنوب العراق فـإن قـوة التيار المائي ضعيفة فكان الناعور يدار بواسطة حيوان ، وكلا الطـريقتين مازالتـا مستعملتين الى يومنا الحاضر.[3]

---

1 - د. تقي الدين الدباغ ، **مرجع سابق** ، ص. 46

2- للإ شارة فإن البيئة العراقية تتميز بالعنف ، ومثال ذلك هوعدم إنتظام فيضان النهرين وعنف هذا الفيضان وعدم ملائمته لمواسم الزراعية ، بالمقارنة لنظام نهر النيل في مصر ، الذي يتصف بإنتظام فيضانه ، وهذا يفسر أيضاً العنف والصراع الذين رافقا عملية الخلق والتكوين المذكورة في إسطورة الخليقة البابلية ، بينما نلاحظ أن أحداث الخلق في أساطير الخليقة المصرية تمت بهدوء وبمجرد إرادة الالهة في مصر ، وكان الفرعون الهاً / أنظر، د. سامي سعيد الأحمد ، مرجع سابق ، ص . 180

3 - د. أحمد سوسة ، **مرجع سابق** ، ص .32

الفصل الثاني

التطور التاريخي لبلاد الرافدين

تمهيد تاريخي – فجر الحضارة

الحقب التاريخية والشعوب المتعاقبة على أرض الرافدين

أولاً : السومريون .

ثانياً : الآكاديون .

ثالثاً: البابليون .

رابعاً : الآشوريون .

تمهـيد تـاريخي

يبدأ تاريخ العراق كما هو معروف بالسومريين ، الذين هاجروا وسـكنوا فـي جنوب العراق غير أن حضارة العراق ترجع الى ماقبل ذلك بآلاف السنين،حيث عثر في المناطق الشمالية منه على آثار بشرية ترجع الى عصرالكهوف، وعثرعلى أقـدم الجماعات البشرية في تل حسونة وعلى عمق سبعة أمتار، حيـثُ اسـتوطنت هـذه المجموعات البشرية بلاد الرافدين بعد عصر الكهوف ، دلت الدراسات على أن هـذه المجموعات البشرية ، نزلت من الجبال المجاورة الى أعالي دجلة ويعتقـد أن هـذه المجموعات كانت من البدو[1]،حيثُ عثر على آثار تدل على بعض الأمتعة من أسلحة صخرية وأدوات عظمية وأواني فخارية بدائية.

كما عثر على شواهد لجماعات كانت تسكن في مساكن بسيطة ، وتستعمل فخـار تزينه زخارف مرسومة ، وكانت عاداتهم بعيدة عن عادات البدو، كما عثر على بقايا جماعات متحضرة بعض الشئ [2]، إذ كشفَ عن قرية مبنية بناء جيداً ويعتقد أن أهلها كانوا يمارسون الزراعة ويعيشون عليها (شكل - 04) .

ووجدت بقايا تدلُ على حضارة ترجع الى 4000 ق. م بزمن طويل وهي قريبة الى نينوى ، عثر فيها على شقافات مزخرفة برسوم وحزوز ونقوش غريبة ، ويطلق على هذه الحضارة إسم حضارة تل حلف[3]

من أقدم المراحل الحضارية في العراق هي حضارة تل العبيـد[4] التـي تشـير مخلفاتها على أنها كانت أرقى حضارة ودامت حوالي 250 سنة ، وربما كانت نتيجة لهجرة أقوام من الأناضول ، وتلتها حضارة جمدت نصر بالقرب مـن كـيش الـذي عُثرعلى مخلفات ظهرت فيها الجرار المزخرفة ، مما يرجح بـأن هـذه الحضـارة

1- نعمت إسماعيل علام ، **فنون الشرق لأوسط والعالم القديم** ، دار المعارف مصر ،1975، ص. 35

2- د.حسن الباشا ، **الفنون القديمة في بلاد الرافدين** ، الدار العربية للكتاب – القاهرة 2000، ص . 19

3- نعمت إسماعيل علام ، **مرجع السابق** ، ص. 36

4- العبيد ، تل العبيد مرتفع صغير يبعد زهاء ثلاثة أميال عن شمالي أور حيث عثـر هـول hall و وولـي wolluy على معبداً صغيرا مكرسا لنن خرساك يعود تاريخه الى عصر فجر السلالات الثالـث . وعثـر فـي الموقع ايضاً على فخار ملون من عصر ماقبل التاريخ ذي اسلوب خاص ويعرف الآن بفخـار العبيـد /أنظـر، نيكولاس بوستغيت **حضارة العراق وآثاره** . ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي بغداد 1992 ص. 112

تكونت بفعل الهجرة من المرتفعات الإيرانية ، وفي هذا العصر تقدم فن النحت والبناء ، كما إرتقت الكتابة، مما مهد لنضوج الحضارة السومرية ، من هـذا نعـرف بـأن العراق كان مهداً لحضارات قديمة ترجع الى عصور ما قبـل التـاريخ،[1] ويمكـن ترتيب هذه المراحل التاريخية على شكل حقب زمنية ، نسبةً الى ماعثر عليه من آثار أو دلائل حضارية ، لكل حقبة عاشت على أرض الرافدين التي تُعتبر هي والحضارة المصرية الفرعونية من أول الأوطان الحضارية في التاريخ .

وهكذا نجد بأن وادي الرافدين كان منطقة تـقابل بين الجماعات المختلفة ، مما جعله أشبه ببوتقة تنصهر فيها الأجناس واللغات على الرغم من إندثار جماعـات وظهـور أخرى وموت لغات وظهور أخرى [2].

كانت الحقب التاريخية تتميز بالشمولية من ناحية العبادة أوالمعتقدات نظراً لهيمنة المعبد الكهنوتي على الفرد والمجتمع ، وتتصفُ عبادتهم بأنها تتجه نحو قوى خارقـة تسكن السماء وبجانب الآلهة يوجد أشخاص ذو قوة وسلطة يتصور ولادتهم مـن أب الهي وأم بشرية ، ولم يكن أهل العراق القدماء مثل المصريين القدماء من هوات بناء القبور،حيث[3] إنهم لم يكونوا معتقدين بالحياة الأبدية ، بقدرما كان هذا الإعتقاد عنـد الفراعنة ، وعلى عكس العمارة المدفنية أقيمت المعابد وزينـت جـدرانها ، وكانـت النذورُ تقدم لها وتقام المواكب من أجل زيارتها والتبـرك بهـا، وتتميـز الحضـارة العراقية القديمة بالأساطير التي تتحدث عن الحياة الأبدية ،أوالبحث عن الخلود التـي وردت في ملحمة (كلكامش)[4]،ومواضيع أخرى تخص مشكلة الطوفان ،الذي كـان

1- د. بهنام ابو صوف، **حضارة العراق . ج1** ،" دور التنقيبات الأثرية في الكشف عن حضارة العراق القديم " ، دار الحرية للطباعة ، بغداد 1985، ص . 63

2- د.عفيف بهنسي، **الفنون القديمةج1 .من موسوعة تاريخ الفن والعمارة.ط1**، دارالرائدالعربي.بيروت 1982،ص. 112

3- د. فوزي رشيد ، **مرجع سابق** ، ص. 151

4 - بطل إسطوري في الأدب السومري والأكدي . ورد اسمه في قائمة الملوك السومرية وهو خامس ملك في سلالة أوروك الأولى وحدد زمن حكمه بزمن حكم اكاد ملك كيش وابن انميبرا جيسي En- meb aragesi . ان ملحمة جلجامش قصيدة اكدية في 12 لوحاً تنسج الحكايات عنه في قصة بحثه عن الحياة الأبدية وتتضمن نسخة من (قصة الطوفان) التي رواها له (نوح البابلي) أوتنا بشتم الذي يزوره كلكامش/ أنظر نيكولاس بوستغيت ، مسرد عربي انجليزي ، بغداد 1991، ص. 13

يشكلُ كارثةً في كل موسم ، وثبتت الحفائر التي قام بها السير ليونارد وولـي[1] فـي أور إذ إكتشفَ مخلفات حضارة فطرية و طبقة من الطمى سمكها حوالي 2.5 م خالية من المخلفات الإنسانية ، ماعدا بعض العظام ومثل هذه الطبقـة لاتكـون إلا نتيجـة طوفان، مما يرجح إنه الطوفان الذي تحكي عنه الأساطير العراقيـة ، التـي يرجـع بعضها الى حوالي 2000 سنة قبل الميلاد

ربما كان هذا الطوفان هو نفسه الذي حدثَ في وقت سيدنا نوح ، والمـذكور فـي الكتب المقدسة حيث توجد بعض ملامحه بالقرب من مدينة الكوفة في العراق عنـد موقع يسمى في وقتنا الحاضر بـ (السفينة)

هذا الأساس الحضاري الموحد وإستمرار التقاليد الدينية ، أدى الى وجود طـابع فنيُ مميز في العراق القديم على مر العصور ، ومن ثمة يمكن تتبع الأثر الفني منـذ العصور السومرية الأولى وحتى نهاية العصر القديم[2] ،

يمكن أن نسمي هذا بالديمومة الزمانية لفن الرافدين ، بالإضافة الى الوحدة المكانيـة التي جمعت هذا الفسيفساء الحضاري ، ودليل ذلك التشابه الذي شملَ العمـل الفنـي بإستثناء المحلية والتأثيرات البيئية ، التي فرضت نمطاً معيناً بالنسبة للمواد المستعملة في البناء .

يتميز فن الرافدين بالشمولية بالنسبة لفلسفة الجمال ، وهو ناتج من مجموع العوامـل التي أثرت في مسار حضارة الرافدين ، فضلاً عن وجود نهرين هما دجلة والفـرات اللذان يقطعان العراق من شماله الى جنوبه[3].

ومن المهم التعريف بأهم الحضارات التي تكونت على أرض الرافـدين ، وشـكلت بإنجازاتها الكبيرة تاريخ العراق القديم ، الذي يرجع الى عصور ماقبـل التـاريخ ،

1- سير ليونارد وولي ، عالم آثار انكليزي عمل في البحث الآثاري في العراق في العشرينات من القرن الماضي ، واكتشف المقبرة الملكية في أور. وكتب يقول : "ان هدف الآثاري الميداني هو إكتشاف مسار التاريخ البشري وتوضيحه " /أنظر نفس المرجع ، ص. 56

2 - د. فوزي رشيد ، **مرجع سابق** ، ص. 152

3- نعمت إسماعيل علام ، **مرجع سابق** ، ص . 35

وكانت تشارك في الوقت نفسه تقريباً حضارة أخرى لها أهميتها وأبعادها التاريخية ، وهي الحضارة المصرية وربما كانت بين الحضارتين أشكال من علاقـات التبـادل والتجارة ، وقد دلت عليها بعض الكتابات الطينية وخصوصاً في العهد الآشـوري ، وكانت لهما قوة في التعبير، وتأثيرات جمالية شملت منطقة الشرق الأدنى فـي ذلـك الوقت ، ويرجع لهما الفضل الكبير في تاريخ الإنسانية نظراً لتطور البحث الأثـري ولتوفر المعلومات عن الحضارة الفرعونية ، قياساً لحضارة الرافدين التي تفتقر الـى الكثير من الشواهد التي زالت بفعل الزمن وعوامل أخرى

فجرالحضـارة في العراق:

بدأ فجر الحضارة في العراق بحدود الألف الخامسة قبل الميلاد ، وإنتهى بالحقبة الزمنية التي إبتدع فيها الإنسان العراقي الكتابة لأول مرة في التاريخ الإنسـاني فـي الربع الأخير من الألف الرابع قبل الميلاد ، وإن نشوء الحضارة الناضجة في بـلاد الرافدين قد سار بخطوات ثابتة وعلى مراحل وبأطوار متعاقبة، وعرفت تلك الأطوار في العراق بأسماء المدن والمواقع والقرى التي ظهرت فيها لأول مرة مدن الطـور الأقدم وهي:

(حسونة) ثم(سامراء) و (حلف العبيد) و (الوركاء) واخيراً (جمدت نصر)

لقد شهد العراق خلال هذه الأطوار إتساع الزراعة وبدايـة الحيـاة الحضـرية ، ونشوء أولى المدن ، وعرفوا فن التعدين وإبتدعوا دولاب الخزف ، وصنعوا الآجـر المفخور والعربة ذات العجلة والمحراث ، ونجحوا في عمليات الري وتنظيم السـقي بواسطة الناعور (شكل - 05) وبنوا السفن الشراعية من القصب ، وعرفوا في أوائل تلك الأطوار فن النحت ، وظهرت المباني والمعابد التي كثرت وزادت أهميتها منـذ طور (العبيد) ، وعرفَ طور الوركاء 3500 قبل الميلاد بالعهد الشبيه بالكتابي [1].

1- protolierate proto literate period ، مصطلح وضعه (ها . فرانكفورت) بعثة التنقيب في منطقة ديالى لوصف العصر بين دوري اوروك وجمدت نصر وهو العصر الشبيه بالكتابي عصر أوروك وعصر جمدت نصر (وهو ايضا عصر الوركاء الثالث) حيث تظهر الوثائق المدونة الأولى في بلاد مـابين النهـرين/ أنظـر المرجع ، نيكولاس بوستغيت. مسرد عربي – انجليزي ،

ومن المعروف إن الكتابة قد أرسيت قواعدها تماماً خلال الطور الذي أعقبـه وهـو جمدت نصر في حدود سنة 3000 ق.م.

عصر فجر السلالات

بدأ عصر فجر السلالات في العراق حوالي سنة 2800 ق. م وإستمر لمدة سـتة قرون والذي يعرف أيضاً بالعصر السومري القديم أو بعصر دويلات المدن ، حيثُ لم تتوحد البلاد بعد تحت مملكة كبيرة واحدة . ويقسم العلماء هذه الحقبة الزمنيـة مـن تاريخ العراق الى ثلاثة عصور هي على التوالي : [1]

فجر السلالات الأول (2800 – 2700 ق .م)

فجر السلالات الثاني (2700 – 2600 ق.م)

فجر السلالات الثالث (2600 – 2400 ق.م)

ومن المتفق عليه بين غالبية العلماء المختصين في العصر الحاضر ، إن السـومريين هم سكان العراق الأصليين وإنهم كانوا يعرفون بأصحاب حضارة العبيد فـي وسـط وجنوب العراق ، وكانت أراضيهم تمتد جنوباً حتى جزيرة دلمون[2] (البحرين) قبل أن ترتفع مناسيب الخليج العربي ليصل الى حدوده الحالية .

لكن هناك إختلاف في هذا الراي ، حيث يرى بعض المؤرخين عكس ذلك ،لأن حقباً سامية سبقت السومريين بآلاف السنين كانت قد سكنت أرض سومر[3] .

وحاول الدكتور أحمد سوسة إثبات الرأي الذي تبناه صموئيل كريمر فيقول:

1- د. عبد الرضا الطعان ، الفكر السياسي في العراق القديم ، ج1، دار الشؤون الثقافية العامة – وزارة الثقافـة والإعلام . بغداد . بدون تاريخ ، ص. 96

2- دلمون ،عرفت في الأدب السومري نوعاً من الفردوس، وان عرفت من الوثائق الإقتصادية بانها محطة فـي طريق البحري الى نهر السند والأرجح إنها جزيرة البحرين .

3 - د. سامي سعيد الأحمد ، **مرجع سابق** ، ص .180

(نحن نعتبر أن تاريخ وادي الرافدين يبدأ منذ ظهور أقدم إستيطان حضـاري علـى نهر الفرات في سورية في الألف التاسعة قبل الميلاد . وهذا يتفق مـع أول هجـرة للساميين من جزيرة العرب بعد الدورة الجليدة الرابعة. أما تاريخ العراق الحقيقي فيبدأ من بداية حضارتي العبيد وأريدو. اللتين تمثلان أقدم إستيطان حضاري في جنـوبي العراق وهو يرجع الى سنة 5000 ق.م ويتفق مع هجرة الساميين من سـوريا الـى العراق) [1]

ربما يغفل بعض العلماء هذه الحقبة الحضارية المهمة ، وأن وجود الساميين فـي المنطقة في ذلك الوقت أكد بأن أصحاب هذه الحقبة كانوا يتكلمون اللغة السامية ، لأن الكتابة ظهرت فيما بعد . وأكد ذلك الدكتور كارلتون في كتاب

(قصة الإنسان) ص317 بأن (أرض سومر كان يسكنها شعب ذو لغة سامية فـي أغلب الظن)[2] .

ويبدو أن عصر فجر السلالات كان قد سبق ظهور السومريون بمئات أو آلاف السنين . أي أن الساميين تواجدوا في المنطقة منذ أقدم العصور وإن (العصـر السـومري القديم والحديث) بدأ بعد عصر العبيد بالفي سنة على أقل تقدير

الحقب التاريخية والشعوب المتعاقبة على أرض الرافدين

أولاً: **السومريون**

ظهرت سومر على رأس الخليج أي في الطرف الجنوبي من العراق، واتخذت مدينة أور[3] الشهيرة عاصمة لها ، وقامت هذه الحضارة على أساس موردين طبيعيين أساسيين هما: الماء والتربة الخصبة ، وساهم الأول في خلق الثاني ، أي أن الميـاه

---

1 - د. فوزي رشيد ، **مرجع سابق** ، ص. 153

2 - د. أحمد سوسة، **مرجع سابق** ، ص . 30

3- **أور** Ur . مدينة سومرية . كبيرة على نهر الفرات الجنوبي ، كانت مدينة إله القمر نانا (سن) وزوجته ننكال ، إسمها الحديث تل المقير ، وتورد قائمة الملوك السومرية ثلاث سلالات حكمت في أور أهمها سلالة أور الأولى (زمن المقبرة الملكية حوالي 2500 ق.م – 2400 ق.م) وسلالة أور الثالثة وملوكها .اور نمو ، شلكي ، امرسن ، شوسن ، ابي سن / أنظر، المرجع ، نيكولاس بوستغيت . مسرد عربي – انجليزي . ص142.

المتدفقة من نهري دجلة والفرات َجلبت الترسبات الطينية على مرالأزمان[1] وأوجدت تربة طينية فيضية صالحة للزراعة

من المعروف أن السومريين هم قوم غير ساميين ، وإن لغـتهم غريبـة لاتشـبه اللغات السامية الموجودة في المنطقة . ثم إننا لم نجهل مكان مجيئهم ، ولا نعرف بعد مايدلنا على تعيين وطنهم الأصلي بعد أن تعددت الآراء في تحديـد أصـلهم ، لكـن الراي الغالب هو مجيئهم عن طريق الخليج العربي من أماكن في وسط آسيا،استقروا في دلتا الفرات بعد إنحسار مياه الفيضانات ، ثم كونـوا مجموعـة مـن التجمعـات البشرية أو المدن .

وذهب رأي آخر على أساس إنهم من الأقوام التي سكنت العراق فـي عصـور ماقبل التاريخ وأن حضارتهم أصلية في العراق ،
بل ويمكن تسمية أصحاب حضارة العبيد بالسومريين [2]، وهم أول الأقوام التي سكنت السهل الرسوبي ، جنوب ووسط العراق المتشكل من بقايـا فيضـان نهـري دجلـة والفرات ، الذي لم تعرف بشكل دقيق أصولهم ، رغم تعدد المصادر التـي تُـرجح أصولهم الى السامية وهذا على ضوء تحليـل المكتشـفات الأثريـة،رغم إخـتلاف النظريات البحوث التي أهتمت في معرفة إصول السومريين ومصـادرمجيئهم الـى العراق.

نستخلص من هذه الآراء أن الباحثيين لم يستقروا على رأي في أصل السومريين ، لكنه من المعروف عن السومريين أنهم تعلموا الزراعة على أرض الرافـدين نتيجـة

1- د. احمد سوسة ، **مرجع سابق** ، ص . 31

2- كان سكان العبيد مزارعين مغامرين أسسوا عدداً من القرى والمدن في جميع أنحاء المنطقة ،وطوروا إقتصاداً ريفياً ذا ثروت وإستقرار، وقد أكد السير (ليونارد وولي) ان الحفريات التي أجريت في العبيد بالقرب من (أور) تعطينا لمحة عن الأقوام الأولين الذين إستوطنوا القسم الجنوبي من دلتا الرافدين ، وتدل أفعالهم على تطابق أفعال السومريون ، فقد وجدت آثار قرية مشيدة على تل من الطين يعلو قليلاً عن مستوى الفيضان ، وبيوتها من القصب المطلي بالطين ولها سقوف مستوية ، وكان هؤلاء السكان يقومون بتربية الأبقـار والأغنـام ويمتهنـون حرفـة الزراعة /أنظر د .عبد الرضا الطعان ، كتاب الفكر السياسي في العراق القديم ، ، ص . 92

لظروف طبيعية ملائمة منها الأرض والمياه[1]، وكانوا أصحاب أكبر وأهم حضـارة ظَهرت على أرض الرافدين .

العصر السومري .

تتحدد معرفتنا بالعصر السومري الى بداية العصور التاريخية التي تتوافـق مـع عصور فجر السلالات ، أما قبل ذلك فإننا لانملك أي دليل أو إشارة تـدل علـى أن السومريين سكنوا جنوب العراق وتدلنا أولى الكتابات السومرية وبالخط المسـماري على وجودهم [2]

يشكل العصر السومري الحقبة الرابعة من حضارة وادي الرافدين ، وقـد إنعكـس تأثير البيئة والمناخ على شكل الحضارة السومرية ، وإن الأرض التي عاش عليهـا السومريون هي أرض رسوبية تكثر فيها المستنقعات المائية و تسمى اليوم بـالأهوار ، وتحملُ الأرض نسبة مرتفعة من الملوحة ، وجو شديد الحرارة صيفاً ،
ويبدو أن المدن القديمة كانت قد تكونت على شكل جزائر، وبمجموعها تؤلف المنطقة الجنوبية الشرقية من أرض الرافدين [3]، فهي أراضي منخفضة قياساً لمحيط المنطقة الجغرافي .

ولكن مهما كان المكان الذي جاء منه السومريون ، وشكل النمـوذج الحضـاري الذي جاؤوا به ، فمن المؤكد أن وجودهم على أرض الرافدين ساهم في دمج الإمـور العرقية والحضارية مع السكان الأصليين ، وأحدث نشاطاً ساهم في تكـوين الثـروة والسلطة ، وشَهدت سومر خلال القرون التي تعاقبت إنجازات في الفنون والصناعات والعمارة والفكر الديني ، فضلاً عن إبتداع لغتهم و نظام الكتابة المسمارية الذي ُطور

---

1 - د. احمد سوسة ، **مرجع سابق** ، ص . 32

2- د. عبد الرضا الطعان ، **مرجع سابق** ، ص . 94

3- نفس المرجع ، ص .95

فيما بعد ليصبح أساس الكتابة المسمارية [1] التي شملت جميع المراحل الحضـارية لبلاد الرافدين

هذه العوامل مجتمعة أثرت في شكل المجتمع السومري منذ بداية تكوينه ، وعلى ضوء ذلك إبتدع السومريون وسائلهم بالرغم من كل المؤثرات البيئية والمناخية ، التي حولوها الى حالة مساعدة لبنائهم الحضاري ، لقد عـاش السـومريون علـى أرض رسوبية ، وكان لها التأثير الفعال في حضارتهم ، وإنعكس هذا بدوره على طـابعهم المعماري . وشكل الماء والأرض عنصران َشيد عليهما السـومريون حضـارتهم ، وتفاعلات معهما حد الإنصهار. ويمكن اعتبارها الحضارة الأولى التي ظهرت فـي جنوب العراق وكانت أقدم مدنها (الوركاء) [2] ، ويرجع تاريخها الى 4000 سنة قبل الميلاد تقريبا ، ولم يكن السومريون شعباً موحداً تحت سلطة ملك واحد كمـا كـان الحال في مصر، بل كونوا ولايات مستقلة وكل ولاية أو مقاطعة يرأسها حاكم ، وكان أهم المدن السومرية(اور)، (الوركاء)(كيش) ،(لاجاش)، (لارسا) [3]، (أريدو) وإنهم عرفوا درجة متقدمة من الحضارة ، فكانوا يشتغلون بالزراعـة التـي تعنـي الإستقرار وبناء الحياة المدنية ، ويستخدمون الدولاب في صناعة الفخـار وعرفـوا المعادن ، ويقيمونمبانيهم من اللّبن[4] أو الأحجار الصغيرة ويسقفونها بالأقبية والقباب ، و ابتدعوا القوس والقبة في البناء لقلة الأخشاب وإنعدام الغابات ، وهـم يعرفـون

1- نعمت إسماعيل علام **،مرجع سابق** ، ص. 115

2 - الوركاء Warka الإسم الحديث لموقع أوروك Uruk .

3 ـ د. احمد سوسة ، **مرجع سابق** ، ص . 33

4- اللبن ، مع التشديد على اللام وهي كتلة طينية تصنع من الغرين ، وهو طبقة يتركها الفيضان وتكـون عـادة لزجة ، وتكون قوية بعد شيها تحت أشعة الشمس ، وتكون متماسكة لو أضيف لها التبن ، حيث ظهر ذلـك فـي الحفريات التي شملت الوركاء .وللذكر فان هذه الطريقة مازالت معروفة في قرى تقع جنوب العراق ، وقد أطلـق المنقبون الألمان على هذا النوع من اللبن اسم ريمشن Riemch / أنظر ، انطوان مورتكاد **، الفن فـي العـراق القديم** ، ص . 22

التجارة على نطاق واسع ، ربما لوقوع أغلب المدن السومرية على سواحل الأنهـار الذي ساهم في تنشيط التجارة و أنتج صفة التبادل السلعي.

و يعرفون وسائل التجميل والزينة والتسلية وأشكال الأدب وكتابـة الإسـطورة ، و تمثل إسطورة أو ملحمة كلكامش مرحلة مهمة في التعبير والوصف ، واهتموا بالعلوم الرياضية حيث وجدت ألواح طينية تمثلُ نظرية تطابق المثلثات المعروفة ، المنسوبة لعالم الرياضيات الإغريقي فيثاغورس ، وإنعكس هذا التقدم على المجالات الهندسية و البناء وتشييد القصور والمعابد .

في مجال الفنون الأخرى فقد كان للموسيقى الآلية والصوتية دوراً كبيرا في الحياة السومرية ، فكان لبعض الموسيقيين منزلة هامة في المعبد والبلاط ،

عثر المنقبون في مدافن أور على آلات موسيقية جميلـة الصـنع ومنهـا القيثـارة السومرية المشهورة التي إكتشفها السير ليونارد وولي (بنوعيها الصغير والكبير) (شكل- 06) كذلك كان إستعمال الطبل والدف ، شأنها في ذلك شأن الناي المصنوع من القصب والمعدن ، إما الشعر والغناء فقد كانا مزدهرين في المدارس السومرية ، وكان أكثر الأعمال المكتشفة مكرساً للإستعمال في المعبد والبلاط [1]

كان تاريخ السومريين حافلاً بالأساطير والقصص التي إرتبطت فـي المخيلـة ، نتيجة لتداولها بين الأجيال، وكانت عن بدء الخليقة و جنة عدن، وعن الطوفان الـذي غمر الجنة وتركها خراباً عقاباً لأهلها على خطيئة وقع فيها ملك ملوكهم[2] ، ولم يكن هذا الطوفان من نسج الخيال ،

ودلت الحفريات على أن ثمة طوفانات شملت هذا الإقليم ، وعرفَ هذا مـن خـلال الطبقات الغرينية المكونة للأرض بالقرب من عاصمتهم (أور) ، والمدلول اللغـوي لكلمة الطوفان في السومرية (a . ma .uru). أي إرتفاع وطغيان المياه وهو حـادث

1- وقد روى اوتنابشتم من خلال الحوار الذي دار بينه وبين كلكامش ان الإله أيا كشف له النقاب عن قرار الآلهة باحداث الطوفان ثم ذكر تفاصيل بنائة لسفينة النجاة . التي حملته ومن معه من بشر وحيوانات وطيور ومؤن خلال الطوفان الهائل ، وكيف ان الآلهة وهبته الخلود في نهاية المطاف . وكلمة الكوفان تعني الشيطان أو العفريت / انظر نفس المرجع ، ص.233

2- د. فاضل عبد الواحد، **كتاب الطوفان،** بغداد 1985 ، ص. 23

تصوره الأقدمون على إنه وقع في عصر موغل في القدم وكان كونياً(cosmic) أي لم يختصر على وادي الرافدين ،إنما شملَ العالم القديم باسره[1].

اللغة السومرية

عبرت الحضارة السومرية عن نفسها باختراع اللغة ورموز الكتابة وهي من أهـم مقومات الحضارة العراقية القديمة ، وما ماميز الكتابة في بلاد الرافدين إعتمادها على الصلصال (الطين) المادة الطبيعية المتوافرة بكثرة في البلاد ، وهـي تقتـرب مـن حروف الطباعة أكثرمن أشكال الرسوم ، وهذا نتيجـة اسـتعمال رأس قلـم أشـبه بالمسمار(stylus)[2]

مما استدعى تسميتها بالمسمارية ، ظهر الخط المسماري أول مرة على هيئة ألـواح تصويرية بسيطة وكانت كل صورة ترمز الى الشئ المـراد التعبيـر عنـه ، ولقـد أصطلح العلماء على تسميته بالعصر الشبيه بالكتابي في الفترة التي سبقت نضـوج الكتابة المسمارية ، ثم تطورت وتكاملت وحدد زمن هـذه الفتـرة مـابين 3500 – 2800 ق.م [3]

وهكذا اقترنت الكتابة بتعلم الإنسان الرسم والنقش ، فانتقل من طور الصور الـى الرموز والعلامات ، حتى صار بعد ذلك على شكل مقاطع ذات قيم صوتية ، ولاشك إن الحضارة التيَ ظهرت في سومر وأكد لم تتوافر وتزدهر لولا وجود الكتابة ، حيث كانت طريقة للتواصل وتدوين الأحداث . إن السومريين هم أصحاب أقـدم حضـارة أصلية متطورة كما تُبين لنا وكانت لغتهم تشكلُ عنصراً مهماً من هذه الحضارة ، وإن إكتشاف الكتابة يعد من أكبر الإمور التي توصلوا اليها كوسيلة للتواصل المعرفي بين

1- د. فاضل عبد الواحد، **كتاب الطوفان**، بغداد 1985 ، ص. 24

2 -أداة تستعمل في الكتابة المسمارية وهي قصبةمدببة (أوبديل عنها) لرسم الطبقات المسمارية الشكل في الطين

3- د. بهيجة خليل إسماعيل، **مرجع سابق** ، ص . 221

الناس ، وشكلت هذه اللغة نظاماً للكتابة تطور فيما بعد ليصبح أساس الكتابة المسمارية التي أصبحت اللغة السائدة في البلاد.



كاتب يستعمل قلم الكتابة المسمارية ذي الرأس المثلث

وهي من اللغات التي تعرف بالمتلصقة (agglutiativ) ومن خصائص الإلصـاق فيها إنه كثيراً ماتدمج مفردتين لتصبحا كلمة واحدة يستند معناها الى معاني الكلمـات الداخلة في تركيبها مثل : (لوكال) أي الملك المكونة من (لو) أي الرجل و (كـال) أي العظيم[1]

(أي كال) تعني القصر أو الهيكل ، ثم ان الُجمل فيها تتألف أيضاً بطريقة الصـاق الضمائر والأدوات الى جذر الفعل بحيث يصير الجميع كلمة واحدة[2].

وكان أن شاكلوا بين المنطوق والمحسوس ، يجعلون الصورة مكان الكلمة ، غير إنهم لم يرسموها بالشكل الكامل وقد بلغة الرموز بحدود 900 . ثـم مالبثـت الأصـوات المصورة التي استحالت الى رسوم مجردة ،

وكانت الصورة في الخط السومري تُعبر في أول الأمر عن الشـئ أو الفكـرة ، فصورة الذراع مثلا كانت تعبر عن القوة ، وكانت الكتابة تنقش على ألواح طينيـة ، وربما كانت هذه الطريقة عاملاً مهماً في سرعة تطورها . وقد عثر على الكثير مـن النصوص السومرية التي التي تشمل جميع مناحي الحياة ونشاطات البشر تقريبا ، وقد

1- من المعروف ان الكتابة قد ارسيت قواعدها تماما خلال الطور الذي اعقبة وهو (جمدت نصر) في حدود 3000 سنة ، ق.ب / انظر بهيجة خليل إسماعيل ، ص . 220

2- نيكولاس بوستغيت ، **مرجع سابق** ، ص. 28

عالجت مواضيع مهمة كالرياضيات والإسطورة ، ونظام الكتابة المسمارية هو مـن صميم حضارة الرافدين، ويمكن أن تتبع اصولها الى 3100 عام ق.م ، حيثُ عثر في أوروك على رموز تصويرية ، واعداد على الواح طينية ، ثم بسطت الرموز وكونت رمزاً مسمارياً باستعمال نهاية القصبة في طين طري ، ثم تبنت عيلام وسوريا هـذا النظام واستعمل في اللغة الحيثية والحورية والأورانية وغيرها، كما اخترعت أبجديات تحاكي الكتابة المسمارية للغتين الأوغارتية والفارسية القديمة[1]

إن اكتشاف الكتابة يعد من أكبر الإمور التي توصل لهـا السـومريون ، وكـذلك معرفة اللغة كأداة للتواصل المعرفي بين الناس ، أدركنا هذا مـن خـلال الرسـوم والرموز على الألواح الطينية التي يرجع لها الفضل في نقل المعلومات والحوادث الى وقتنا هذا ،

والسومرية هي لغة الأقوام التي عاشت في القسم الجنوبي من العراق منـذ الألـف الرابعة قبل الميلاد ، وكانت أساس تطور اللغات التي شملت الأجزاء الأخـرى مـن بلاد الرافدين ، وشهدت تطوراً نوعياً عند البابليين والأكديين، حتى وصلت ذروتهـا عند الآشوريين وهذا بحدود 1500 سنة قبل الميلاد .

انتقل العديد من المفردات اللغوية الى اللغات الأجنبيـة ، كاليونانيـة ، والفارسـية ، والآرامية ، التي إنتقلت بدورها الى اللغات الأوربية .

وأعتمدت الأقوام التي جاءت بعد السومريين الخط المسماري ، وأدخلت عليه تغييرات تتماشى مع صفته الإستعمالية [2].

إن دراسة عميقة ومتأنية للغة المسمارية تُبين بأنها مرت بالمراحل التكوينية الكبيرة الآتية : كتابات تصويرية تمثل الأشكال، ثم إرجاع الكلمات الى مقـاطع تـدل علـى الحرف الأول للكلمة (شكل – 07) ،

كما أن اللغة السومرية غير قابلة للتصرف،أي انها ليست من اللغات المعربة كالعربية القديمة والهندية ، وجذورها ثابتة لاتتغير، وتتألف الجذوربصورة عامة مـن مقطـع واحد أو أكثر، ولاتفرق اللغة السومرية بين الأسم المذكر والأسم المؤنث .

1- د. بهيجة خليل إسماعيل، **مرجع سابق** ، ص . 222

2- **نفس المرجع** ، ص. 228

وامتلكت اللغة السومرية خاصية التدوين بالحروف المسمارية بفضل إبتداع الكتابة[1] ومن خلال الدراسات اللغوية التي أجريت على اللغة السومرية ، ويبدو أنها لغة منفردة لاتشبه اللغة الأكدية ،(البابلية – الآشورية) أوغيرها من اللغات المحلية وانها لاتنتمي الى أي عائلة من العائلات اللغوية ، وقد نتج عن هذا الغموض إختلاف الباحثين في تحديد أصل[2] السومريين

الأختام الإسطوانية السومرية

ظهرت الأختام الإسطوانية (cylinder seais)[3] في العصر الشبيه بالكتابي من الأمور الحضارية ، إذ كانت الأختام في العصورالسابقة من النوع البسيط ثم تطورت وظهر النوع الجديد من الأختام فكثر استعماله ،

وقد تميز كل نوع أو مرحلة حضارية من حضارة الرافدين بنوع خاص من الأختام الإسطوانية ال تميزهاعن غيرها ،وقد تكون هذه الأختام الإسطوانية على جانب من الأهمية في تحديد المراحل التاريخية لكل حقبة وهي تعد مصدر من مصادر معرفتنا بجوانب مهمة من حضارة العراق لأنها تتعلق بالأمور الحياتية والآلهة ، وتعتبر الأختام من الإنجازات الكبيرة للحضارة السومرية ، وقد ظهرت لتمييز مراحل الحكم السومري من خلال الأختام المنبسطة ذات التصميمات الزخرفية المحفورة بشكل بدائي، بالإضافة الى أختام إسطوانية تتميز بكبر الحجم وبأشكال واقعية نابضة بالحياة التشكيلية لأنها تنقل الواقع بتفاصيله ، وفي الغالب فقد إحتوت على رسوم نباتية وحيوانية مندمجة مع أشكال زخرفية بحته من النمط التجريدي[4](شكل – 08)

1- د. عامر سليمان ،" التراث اللغوي "، **حضارة العراق ج1** ، دار الحرية للطباعة ،بغداد 1985 ، ص. 279

2- نفس المرجع ، ص. 280

3- الختم الاسطواني ختم (يصنع عموما من الطين المفخور أو لحجر وقد يصنع ايضا مـن الصـدف او مـواد أخرى) يحفر عليه شكل معين ويثقب في الوسط للتعليق . انتشر في بلاد الرافدين منذ عام 3000 ق.م وبعـده وان حلت محلها الأختام المنبسطة في الألف الأول قبل الميلاد/أنظر نيكولاس بوستغيت، مسرد انجليزي – عربي،

4 - د. ثروت ،عكاشة ، مرجع سابق ، ص. 14

استعمل السومريون الأختام الإسطوانية المصنوعة من الطين أو الحجارة بكثرة ، لتدوين شؤون حياتهم وتبادلاتهم التجارية وإنجازاتهم ، وكانت صغيرة الحجم لسهولة نقلها واستعمالها ، قياسا للمراحل التاريخية الأخرى كالبابلية والآشورية .
ويبدو إن هذه الأختام هي صفةُ مميزة لحضارة الرافدين في جميع مراحلها ، وتميزت بمعرفة الأشكال والرموز التي تشير الى تلك المراحل ، لأنها تعكس الواقع الإجتماعي والإقتصادي لكل حقبة حضارية .

ملوك سومر

شهدت الفترة السومرية ظهور حكام كثيرين ، لكن أعظم ملوكها همـا : تمـوز، وكلكامش وكان تموز[1] قد وصلَ عند السومريين الى مراتب الآلهه ، وقدسته الأقوام التي جاءت من بعدهم كالبابليين ، وأصبح كلكامش بطلاً لأعظم ملحمة سميت بإسمه في الأدب السومري ،
وهو الذي بحث في موضوع شغلَ بال الإنسان قبل ظهور الوعي الـديني والفلسـفي لديه ، وهو موضوع (الخلود أو الحياة الأبدية) ، وتحمل ملحمته إسلوباً أدبياً صـيغَ على شكل إسطورة ، وقد شاركه رحلته في البحث عن الخلود صديقه (أنكيدو) الذي ورد ذكر إسمه في هذه الإسطورة ، وقد وجدت على لوح طيني مكتوب بـالحروف المسمارية . للملك أور نمو حاكم أور والمشهور من خلال مسلته (شكل 09)
وتروي بعض الألواح الطينية التي يرجع تاريخها الى مابعد 3000 سنة ق. م وقد عثر عليها في(أور ولجش) ، طرقا من تتويج الملـوك وجنـائزهم وانتصـاراتهم وأحداث أخرى شبيهة مما يدل على إنها لاتتحقق إلا في ظل حضارة لهـا جـذورها (الشكل -10) وقد تعرضت(لجش)[2]الى غزوأحد الملوك المجاورين يقال له

---

1 - هو دموزي ، وفي التورات تموز . اله سومري ، تذكر الأساطير انه معشوق اينانـا inanna (عشـتار) وكان اله خصب يقارن بالاله المحتضر أدونيس في الأساطير الاغريقية . وهو الشهر السابع في التقويم الميلادي في العراق والدول المجاورة له / أنظر ، نيكولاس بوستغيت ، **مرجع سابق** ،ص. 130
2- د. ثروت عكاشة ، **مرجع سابق** ، ص.17

(لوكال زاجيزي[1]) الذي دمر المدينة وقتل أهلها ولم يترك معبداً إلا وهدمه وأزالَ كل آثار الحضارة وترك خرابا ودمارا كبيرين

يذكر ذلك التاريخ السومري في أدبياته عن الكارثة التي حلت في مدينتهم[2]. ومن بين ماترويه لنا تلك الألواح أن ملك لكش يدعى (أوروكـا جينـا)[3] ، وكـان محبـاً للإصلاح وكان عادلاً حرم إستبداد الأغنياء للفقراء حسب مراسيم ترويها هذه الألواح ، كما حرم على الكهنة إستعباد الناس وحرم على الموظفين الرشوة . وتشير الألواح الى إعتزاز الملك بما وهبه لشعبه من أمن وحرية الى جانب ضمان الحـق وإقامـة العدل بين الناس ، والايجاز في التعبير والقصد في الاداء.

لكن لجش عادت مرةً اخرى الى مجدها وما فقدته في زمن الملك العادل (جوديا)[4] الذي أشاد المعابد وهيأ للناس حياة تتسم بالعدل والرحمة . فـالتفوا حولـه وأحبـوه واتخذوه الهاً بعد موته ،وقد عثرعلى هذه العبارة على نقش من نقوشه (لم تكد سـبع سنين من حكمي تمضي حتى استوى الخادم بالمخدوم والعبد بسيدة وامن الضعيف شر القوي) ،إذا كان جوديا رمزاً لبعث حضارة سومرية حقيقية فإن الفضل يعود اليه في تخليص سومر وأكد من الوجود البربري .إن تماثيل هذا الملك تعد أروع مابقي لنـا من النحت السومري،و له تمثال يوجد في متحف اللوفر من حجر الديوريت ، ويمثله وهو في حالة من حالات الورع وقد عصب رأسه بعصابة غليظة ، ووضـع يديـه مطويتين في حجره وان ملامحه لتدل على حكمة ودهاء وحزم وتقوى(شكل-11)

1- لوكال زاجيزي .او لو كال زاجيزي ، أي الملك الذي يرفع يده اليمنى / أنظر نفس المرجع ، ص16

2- د. ثروت عكاشة ، **مرجع سابق** ، ص. 18

3- أحدث قراءة لإسمه هي أور- إنم – كينا ، أي مدينة الكلمة الصادقة . ربما لصفاته الشخصية ، أو الأعمال [1] الصالحة التي إمتاز بها. أثناء فترة حكمه

4 - غوديا ، حاكم لجش حوالي عام 2130 ق. م وموضوع تماثيل حجرية رائعة ، عمرمعبد ننكرسوفي جرسو (معبد انينو E- ninnu) ووضعت كتاباته الإسطوانية إحتفالا بالمناسبة / أنظر ، نيكولاس بوستغيت ، حضارة العراق وآثاره ، ص.131

مما شبهه المؤرخون بإمبراطور الرومان (ماركوس أورليوس) في فلسفته وتفكيره ، ولم يتم الكشف الواسع لتماثيل الملك غوديا التي ترجع للقرن 27 ق. م . أي الـى العهد السومري الجديد ، منها غوديا الجالس، وغوديا المعمار، وعدد من تماثيل غوديا الواقف وفيها نتابع تقاليد الآداب والعبادة السومرية وطريقة النحت وإظهار التفاصيل بطريقة واقعية ، ويمكننا أن نسجلَ نهاية النحت السومري بتماثيل غوديا هذه ، وقـد إعتمدتُ هذا المثال لمعرفة طبيعة الحياة السـومرية ، وانعكاسـاتها علـى التطـور المعماري لديه

تناوب على حكم أور ملوك كثيرين ، وشهدت صراعات كثيرة ودمرت أور ولكش تدميراً ، بالرجوع الى قائمة الملوك السومريين كان أور- نمو أول ملوك سلالة أور الثالثة ، لهذا فإن القرن الذي حكم فيه هو ونسله من سومر وأكد سمي بعصر سـلالة أور الثالثة ، وكانت متمسكة في أصولها السومرية ، على الرغم من الغارات الكوتية التي لم تترك أي آثار دائمة لحضارة بلاد الرافدين ،[1]

شهد عهد أور نمو أستقراراً ونمو وكان تأثيره واضح على حياة الناس ، حتى كاد أن يرفع الى منزلة الأله ، لأنهم أعتقدوا إنه خالد ولايموت .

و السومريون هم أول الأقوام التي َسكنت أرض الرافدين ، فقد إمتد تأثيرهم الكبيـر على كل الحضارات التي تعاقبت بعدهم و بقيت مظاهرها على أرض العراق .

هناك الحضارة (الأكادية)[2]التي إختلطت بالسومرية ثم إحتلت مكانهـا ، وكـان مركزها في وسط العراق ، ومن أشهر مدنها آكاد وسيبار، ثم أصبحت أور وبابـل من المدن الآكادية.

ثانياً: **الأكـديون**

َظهرت الحضارة الأكدية بعد وقوع مجموعة من الأحداث ، وكان علـى رأسـها شخصية الملك سرجون ، بعدما احتلت هذه السلالة مكان سلالة سومر ، وربما كانت

1- جورج كونتينو ، **الحياة اليومية في بلاد الرافدين** ، ترجمة سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي ، وزارة الإعلام . بغداد ، 1986، ص . 56

2 - د. ثروت عكاشة ، **مرجع سابق** ، ص.19

إمتداداً لها إذ تحولَ الملك السومري الى ملك واله أكدي . ومن المدن الأكدية سـبار sippar مدينة اله الشمس، واكد agade آلهة السماء "عشتار" التي أسسها سرجون sergon [1] يذكر أفرام عيسى يوسف في كتابه ملحمة دجلة والفرات .

(آكاد. شيدها العمال بقلب ناصح ، مازجين الزيت والعطر والقرميـد ، إنهـا درة منذورة للآلهة . وتاج مطرز بين أيدي الملوك ، كانت مدينة فاخرة منظمـة تنظـيم جيش ، غنية بالمعرفه والحكمة ، تطلُ شوارعها على مستقبل متألق كذلك كانت ميناء نهرياً هاماً . فبحسب التدوينات الملكية ، كانت بواخر مالوها / في وادي الهنـدوس/ وماغان / عمان / وتيلمون / البحرين / المحملة بالذهب والفضة والمعـادن الثمينـة والبضائع المحلية ترسوعلى أرصفتها)[2] (شكل12)

وقبل عصر (جوديا) بثلاث قرون أسس ملكاً بزعامـة سـرجون الأول مملكتـه (شيروكي) جاعلاً حاضرته مدينة أكد[3] التي تقع في الشمال الشـرقي مـن الدولـة السومرية بنحو 300 كم وقد لقب بالأعظم لكثرة غزواته . وهو ملك أكـد وكانـت نظرته الى الملوكية مختلفة عما كانت عليه في الزمن السومري ، ولم يكن مقيداً بها ، ويبدو أن موقع أكد الدقيق يبقى أحد الألغاز نظراً لعدم التعرف عليهـا مـن خـلال التنقيبات التي حدثت في بلاد الرافدين ، لكنه من المؤكد أن يكون موقعهـا شـمالي سومر، ربما قريباً من العاصمة القديمة كيش ومن وبابل ، ويكاد أن يكـون إختيـار موقع جديد للعاصمة هو من صلب تفكير سرجون الذي جاء بالجديد[4] .

---

1 - سرجون الأكدي sargon akkad 2334 – 2279 ق.م ، مؤسس السلالة الأكدية ، ويقـال ان امـه كاهنة . عثر عليه بستاني في سلة قصب طافية في نهر الفرات ، وهنـاك سـرجون الثـاني sargon (II) of assyria 721 – 705 ق.م أبو سـنحاريب sennaacherib وبـاني مدينـة خورسـباد/أنظر،نيكـولاس بوستغيت،مرجع سابق، ص. 139

2- أفرام عيسى يوسف ، **مرجع سابق** ، ص.70

3- أكد akkad اسم عاصمة سلالة أكد التي أسسها سرجون sargon . ولم يحدد بعـد موقعهـا الـدقيق ، ويرجح انها لاتبعد كثيرا عن كيش ، وقد سميت هي وسومر ببلاد الرافدين أومـابين النهـرين/ أنظر،نيكـولاس بوستغيت ، مرجع سابق ، ص.125

4 - نيكولاس بوستغيت ، **مرجع سابق** ، ص. 125

وتذكر قائمة الملوك وتؤيدها المؤلفات الإسطورية أن أم سرجون كانـت كاهنـة وأن الأب الذي تبناه كان بستانيا يعمل في خدمة ملك كيش . ولم يكن سرجون هـذا مـن سلالة ملكية بل كان مجهول النسب،وكل مايعرف عنه المؤرخون أن أمه كانت خادمة من خادمات المعابد، وما أن وضعته حتى جعلته فيشئ يشبه السلة ، وأحكمت سدادها بالقار والقته في النهر،ثم كان أن إنتشل السلة عامل من عمال الملك، وحين وجد بهـا الغلام حمله الى الملك ، فشب بين يديه ، وبعد أن إشتد عوده ، اتخـذه سـاقياً لـه ، وعلى مر الأيام إزداد تعلق الملك به فقربه اليه . ولكنه ما أن أحس بسلطانه حتـى تنكر لسيده ،وخلعه من عرش أكد، وتربع هو عليه ، لكن أهم مايعرف عن سـرجون إنه كان أكديا ويتكلم اللغة السامية[1] .

ويخلع المؤرخون على سرجون لقب " الأعظم " لكثرة غزواته وغنائمه ، وما قتلَ من رجال أعدائه (شكل- 13) ، انتشرت فتوحاته شرقًا وغربا . شمالاً وجنوباً ، لقد فتح لكش وساقَ أمامه (لوكال- زاجيزي) مقيداً بالأغلال ، ومضى في فتوحاته شرقاً الى عيلام ، وغرباً الى البحرالمتوسط وجنوباً الى الخليج العربي حيثُ غمس أسلحته في مياهه إشارة الى ما أحرز من نصر، وكان بهذا أول من أسس إمبراطورية عرفها التاريخ ،امتد به الزمن فظلَ حاكماً لإمبراطوريته تلك خمساً وخمسون سنة شغلت فيها سيرته الناس فحاكوا حول شخصيته الأساطير التي أسبغت عليه صفات البطولة والشجاعة ، وجعلت منه الأجيال اللاحقة الهاً من الهتها،[2]وقد خلفه على الحكم ثلاثة من أولاده وكان ثالثهم (نارام سن)[3]

---

1 - د. طارق عبد الوهاب مظلوم " النحت من عصر فجر السلالات حتى العصر البابلي الحـديث " **موسـوعة حضارة العراق** . ج4 ، بغداد . دار الحرية للطباعة ،1985، ص .41 ،

2- جورج كونتينو، مرجع سابق ، ص. 56

3- نرام سن .naram – sin حفيد سرجون الآكدي sargon of akkad . الفاتح العظيم الاخر في السلالة الأكدية حكم من عام 2255 ق.م الى 2291 ق.م وهو أيضا اسم ملك اشنونا الذي عاصر سمسو ادو. Samsu – addu / أنظر ،نيكولاس بوستغيت ،مرجع سابق السابق ، ص .529

الذي اشتهر بانتصاراته ، حيثُ تمكن في حكمه الذي استمر 35 عام من إخماد الثورات ، التي إندلعت في أنحاء مختلفة من الإمبراطورية الأكدية .

وثمةَ لوحة في متحف اللوفر بالنحت البارز تمثل إنتصاراته ، وهذه اللوحة تدلُ على أن فن النحت أصبح ذا تقاليد مرعية ، وقواعد ثابته نظراً للدقة والإتقان في إظهار التفاصيل وتجسيد الأشكال (شكل – 14) وفيها وصلَ النحت الأكدي ذروته في التعبير والتكوين والإنجاز، وهذه المسلة عبارة عن قطعة مستطيلة من الحجر الرملي بلون مائل للحمرة بإرتفاع مترين وعرض متر واحد تقريباً ، صور نرام سن في أعلى المسلة وهو يرتقي قمة جبل ، وفي أعلاه نرى نجوماً مشعة وكتابات أكدية ، ويظهر الملك في حالة تقدم ، يحملُ أسلحته ويرتدي خوذة ذات قرنين دليلاً لحمله الإلوهية ، وهو يطأ بقدميه أجسام من ظفر بهم من أعدائه ،

وتبين المنحوتة أن المعركة وقعت في منطقة جبلية ، يرجح أن تكون شمال الرافدين وله مسلة أخرى وجدت في ديار بكر وهي الآن في متحف إسطنبول [1]، وهذه المسلة تضم كتابات أكدية صورعليها الملك نارام سن واقفاً بوضعية جانبية ،يرتدي لباساً طويلاً مخصلاً بعدة طبقات، وهو لباس يغطي الجسم ويترك الذراع اليمنى عارية ، ويمسك الملك بيده مقابض لعلها تكون سيفاً أو صولجان ، وتحملُ هذه المنحوتة صفات النحت الأكدي.

إن الروح الجديدة التي دخلت بتولي سرجون العرش تتمثلُ أيضاً في فن ذلك العصر. في حين يمكن تتبع إسلوب جديد يتصف بطبيعيته واختلافه عن عصر فجر السلالات [2].

إحتفظ فنانو العصر الأكدي بأشكال وتقاليد تعود الى أسلافهم ، ولم يكيفوها مع عهدهم إلا تدريجيا ،وعثر على الواح إدارية باللهجة الأكدية القديمة وفي نفس المناطق، ولم يكن من المستبعد أن الأكديين كانوا قد عاشوا جنباً الى جنب مع

1- د. ثروت عكاشة ، **مرجع سابق** ، ص . 17

2- نيكولاس بوستغيت ، **مرجع سابق** ، ص. 126

السومريين منذ أقدم العصور وعرفَ القسم الأوسط والجنوبي من العراق منذ ذلك الزمن بأسم بلاد (سومر وأكد)، وقد خاف عرش أكد أبناء سرجون (ريموش ومانشتسو) الذي عثر على تماثيل وقطع ترجع اليهما ظهرت فيهما الدقة والتركيز خلافاً للعهد السومري، حيثُ ظهر الإهتمام في تَصفيف الشعر والملابس التي ظَهرت على شكل طيات متموجة أشبه بالماء الذي تهب عليه الريح[1] (الشكل 15)

إنتهى عهد فجر السلالات بقيام سرجون الأكدي (2316 - 237 ق. م) بتوحيد العراق في مملكة واحدة ، كان سرجون من الأكديين وهم فرع من الأقوام التي نَزحت عن الوطن الأم شبه جزيرة العرب الى العراق . ربما في أوائل الألف الثاث قبل الميلاد أوقبل ذلك بقليل . وليس من المستبعد أن يكون الأكديين قد عاشوا جنباً الى جنب مع السومريين منذ أقدم العصور وعرف القسم الأوسط والجنوبي من العراق منذ ذلك الزمن بأسم بلاد (سومر وأكد) ،

حكمت هذه السلالة 64 سنة ، ولكن مساحة البلاد التي حكمتها تقلصت كثيراً بعد أن تراخت إسرة سرجون ، فتدفقت قبائل الكوتيون القادمة من الجبال الشمالية الشـرقية صوب أكد مخربين ومدمرين القصور والمعابد ، وسيطروا على الجزء الجنوبي مـن بلاد الرافدين ، وتمتعوا بخيراته . ولكنهم لم يتمكنوا من بسط سيطرتهم الكاملة بعـد قرن كامل من الزمان في حكم[2]البلاد والذي إنتهى باستقلال المدن السومرية الكبيرة ولكش وطردها للكوتيين[3]، الذين أصبحوا متمركزين في شمال العراق محاولين بناء إمبراطورية ما .

اللغة الأكدية

وهي تسمية نسبة الى الأقوام الأكدية أو (الأقـوام العربيـة القديمـة) ، ومـن المعروف أن هذه الأقوام سكنت جنوب ووسط العراق ، في حدود الألف الثالثة ق. م

---

1 - د. ثروت عكاشة ، **مرجع سابق** ، ص . 17

2- انطوان مورتكاد، **مرجع سابق** ، ص . 155

3- كوتي guti (كوتيون) إسم شعب جبلي غزا سومر وأكد خلال عام 2200 ق .م في نهاية عصر سلالة أكد ولم تستمر سيطرته طويلاً ووحده ملوك العهد الآشوري الوسيط في المنطقة الجبلية شرقي كركوك بعد ذلك بعـدة قرون/ أنظر ، نيكولاس بوستغيت ، حضارة العراق وآثاره ، **مرجع سابق**، ص. 138

، وأسست الإمبراطورية الأكدية ، التي جمعت مدن وأقاليم وادي الرافـدين ، التـي انتشرت فيما بعد في بلاد بابل وآشور منذ أواسط الألف الثالث قبل الميلاد واستمرت حتى أواخر الألف الأول قبل الميلاد [1]

يظهرأن هناك عدم وضوح في تسمية النصـوص المسـمارية بإسـم(اللغـات المسمارية) وهذا خطأ شائع ،لأن الكتابة غير اللغة ، وقد ُتكتب أكثر من لغة بكتابـة واحدة ، وهذا ماحصلَ في لغات الأقوام التي سكنت وادي الرافدين قـديماً، فظهـرت اللغة البابلية وثم الآشورية بالرغم من التشابه الحاصل بينهما لكنها ُصنفت نسبةً الـى المناطق التي تم إكتشافها فيها[2] ، كما ُسمي العلم المخـتص بدراسـة هـذة اللغـة وبنصوصها المسمارية بعلم

(الآشوريات Assyriology) [3]،الذي يشملُ بالإضافة الى اللغة الأكدية بلهجاتهـا البابلية والآشورية ، اللغات المتفرعة منها كالكنعانية والعبرية والفينيقية والآرامية .

يكاد الباحثون يجمعون على أن الموطن الأول للأقوام التي تكلمت بها يرجع الى شبة الجزيرة العربية في عصور سحيقة وتُنسب الى (اللغة العربية الأم) ،ويعود ذلك الى أن هذه اللغات تتميز بجملة من الخصائص المشتركة وتسمى اللغات الجزرية .

وعلى الرغم من سقوط الدولة الأكدية وسيطرت الأقوام الكوتية الغازية على بلـد أكد ، رغم الفترة الطويلة التي بقوا فيها في تسلم زمام الحكم ، وهي فترة تزيد علـى مئة سنة ،الا أن اللغة الأكدية بقيت الى جانب اللغة السومرية في المعاملات الخاصة والرسمية ، حتى أسماء العديد من الملوك الكوتيين جاء بصيغ أكدية .

ثالثاً : البابليون

تقع مدينة بابل وآثارها في وسط العراق تقريباً . و تبعد عن مدينة أور بـ 100 كم تقريباً وهي وريثة الحضارة السومرية الأكادية ، وعلى أرض بابل كان إمتزاج الحضارتين ، على يد المجتمع البابلي الذي أضـاف إضـافات كثيـرة للحضـارتين السابقتين في العمران والعمارة والفنون،وفي تنظيم المجتمع وإصلاحه.

1- د. عامر سليمان ، **مرجع سابق** ، ص285

2- د. بهيجة خليل إسماعيل ، **مرجع سابق** ، ص . 138

3 - L . A .Lipin . **the akkadian language**. Moscow 1973, p 744

و تتجلى قيمة العصر البابلي بعاصمته بابل . ذات الموقع الوسط بين مراكز تجاريـة وزراعية متعددة ، إهتم البابليون بالري ، و ازدهرت فيها الثقافة والأدب والفنـون ، وتعود الى هذا العصر أقدم نسخة من ملحمة كلكامش. و قصـة الطوفـان. وقصـة الخليقة البابلية ، وتتسم منحوتات العصر البابلي بفكرة الواقعية. [1]

ُيعرف العصر البابلي بقوة السلطة المركزية ، و إنفصالها عن المعبد حيـثُ إخـتص الملك ومعاونوه بشؤون المجتمع ، و ظَهرت مجالس المدن التي اختصـت بالقضـايا الكبرى . إضافة إلى المشاركة في الحكم ، و تطورت تنظيمات الجيش ، و كان الملك يرأس الجيش المؤلف من المجندين إضافة إلى الجيش الثابت ، وتطورت مكانة المرأة فشاركت في الجيش و مارست التجارة ،

و يتميز هذا العصر أيضاً بظهور القوانين الموحدة ، و يعكـس الحـرص علـى إعطائها طابعاً مقدساً، وتكون أهميتها في تنظيم المجتمع ، و سيادة العدل الإجتماعي في الدولة ، إضافة إلى نشوء النظام العام المعبر عن وحـدة المجتمـع [2] فأصـبح المجتمع البابلي نموذجاً إجتماعياً تتجسد فيه العدالة والتنظيم ، فإنعكس هذا على ثراء المجتمع وتطوره .

وعبر عن ذلك المؤرخ والعالم الفرنسي المعروف" جان بونيرو(إننا نعرف عن حياة العراقيين في تلـك الفتـرة أكثـرمن معرفتنـاعن حيـاة الأوربيـين مـن خـلال العصورالوسطى) [3] ، لعبت بابل دوراً أساسياً كعاصمة حضارية ، وتقع الحضـارة البابلية ضمن المرحلة المسمارية في تاريخ العراق ، والكتابة المسمارية الصورية هي الخاصة الجامعة لتاريخ العراق القديم حتى سقوط بابل في القرن السادس قبل الميلاد، على الرغم من إنتقالها الى الحرف والرمزية في تحوير المقطعية لتتلائم مع اللهجـة الجديدة

إشتهرت بابل بتخطيط مدنها وسعة طرقها واستقامتها وتنظيمها المعماري ، حيث نشأت على أرض سهلية خالية من المرتفعات والجبال ، وهـي أرقـى الحضـارات

1- د. ثروت عكاشة ، **مرجع سابق** ، ص. 60

2 - نيكولاس بوستغيت ، **مرجع سابق** ، ص .122

3- هاري ساكز ، **عظمة بابل** ، ترجمة . د .عامر سليمان ، لندن 1962، ص. 17

وأغناها . زودت اليونان بمبادئ الحساب ، وطالعتهم بعلمي الطبيعة والفلسفة ، ومنها استقى اليهود أساطيرهم التي رويت عنهم ، وأمدت آثارها إلى الحضـارة العربيـة الإسلامية ، فأمدتهم ببعض العلوم والمعارف بشؤون العمارة ، وكل مـا أخـذَ منـه الأوربيون في العصر الوسيط ، مرده يرجع الى الحضارة البابلية.

وساهم وجود النهرين في بناء الحضارة البابلية وبفضلهما رويت سومر وأكد،وكانا سبباً في استقرارهم وعيشهم ومنهم إرتويت حدائق بابل المعلقة ،ومما لاشك فيه فـإن شانهم كبيرمن الناحية التجارية كما هو نهرالنيل ، وبفيضهما أخصـبا تلـك البقـاع التي‘عمرت بالزراعة وجمعت الناس، وهيأت لتلك المدن أن تحيا وتزدهر[1]

(الشكل – 16) . ومن الناحية البشرية ، فقد كان البابليون يشبهون الساميون في لون وجوههم ، وسواد شعرهم، وكانوا يطيلون الشعر ويصنعون منه ظفائر مـثلهم مثـل النساء[2]، وكان الرجال يتميزون باللحى عن النساء، ويتقنون شكل تجميل اللحى بالضفائر أوتدوير الشعر، وكانوا يحبون العطور ويرتدون المأزر الأبـيض الـذي يغطي الجسم، وتختلف المرأة عن الرجل بترك إحدى كتفيهـا عاريـة[3]، ويضـيف الرجل عباءة على كتفه قد تكون ذات لون أحمر أو أزرق ، وكانوا ينتعلـون النعـال الجميلة عكس السومريون ، الذين كان أغلبهم حفات ،(ربما لطبيعـة المهـن التـي يمتهنونها وهي الصيد أو الزراعة) ، ولقد بالغ الآشوريون والبابليون فـي إسـتخدام العناصر التزينية في إلبسة الرأس ،وخاصة بالنسبة للالهة والملـوك ، إتخـذوا مـن الأحجار الكريمة وبعض المعادن اللماعة والقطع الثمينة لتزيين وتحليـة مظـاهر[4] رؤوسهم ، وهذه مسحة جمالية تميز المجتمع البابلي ، تقترن مع شكل العمارة وتنظيم المدن ، لأن تنظيم المجتمع وتطوره ينعكس على مجموع عناصر تكوينه.

1- هاري ساكز ، **عظمة بابل** ، ترجمة . د .عامر سليمان ، لندن 1962، ص.19

2- مازال البدو في الجزيرة العربية وبادية العراق والشام يطيلون شعرهم ويصنعون من ظفائر ، وهي العادة التي كانت متبعة في بداية العهد الإسلامي إطالة الشعر وإطلاق اللحى

3 – د . وليد الجادر ، حضارة العراق ج 4 ،الأزياء والآثاث ، دار الحرية للطباعة بغداد ، ص.358

4 - د. ثروت عكاشة ، **مرجع سابق** ، ص . 61

تعرضت الدولة البابلية لأقوام غازية ، فقد واجهت في آن واحد ضـعف الملـوك الذين جاءوا بعد حمورابي ، وانقسام الدولة إلى مملكتين َضمت الأولى جنوبي العراق والخليج وعرفت بمملكة القطر البحري أو سلالة بابل الثانية بقيادة ايلوم(i) .

واجهت الدولة البابلية أخطاراً خارجية تمثلت بالغزو الحثي والغزو الكشي والغـزو الخوري ، بعدما ثارت مدن لارسا و أور و الوركاء ، وقد إستولى الحثيون على بابل ، ولم يبقوا فيها طويلاً إذ سرعان ما تركوها للكشيين ، كما غزا الخوريـون منطقـة كركوك واحتلوها زهاء قرن من الزمن، ومنذ سقوط بابل وآشورأصبحتا خاضـعتين لحكم الفرس، الى أن قضي على آخر ملوكهم سنة 330 ق . م على يـد الإسـكندر الأكبر[1]

اللغة البابلية

مرت اللهجات البابلية Babylonian Dialects بمراحـل متعـددة بـالنظر للتطور التاريخي الذي أصابها وهي القديمة ، الوسيطة ، الحديثة ، المتأخرة .

وهي أيضا مختلفة بالنظرلإختلاف المناطق التي وجدت فيها ، وبها كُتبـت قـوانين حمورابي التي استعملت فيها الحروف المسمارية ،

ومن الجدير بالذكر فإن العلماء يعدون اللهجة البابلية القديمة بمثابة اللهجـة الأكديـة الكلاسيكية ، نظراً لتشابهها ولمحافظتها على معظم الصيغ والأشكال النحوية . [2]

في المرحلة الوسطية التي شَهدت بعض التغييرات لإستخدامها من قبـل اللأقـوام الكشية ، وفيها نَشطت حركة التأليف ، وكتبت فيها ملحمة كلكامش ، وقصة الطوفان ، وقصة أيوب البابلي، وبعض المعاجم التي تتضمن المفردات الكشية ومـا يقابلهـا باللغة الأكدية [3].

1- د. فاروق ناصر الراوي ، **حضارة العراق ، ج 2** ،" جوانب من الحياة اليومية "، دار الحرية للطباعة والنشر. بغداد 1985 ، ص . 372

2– د. بهيجة خليل إسماعيل ، **مرجع سابق** ، ص . 140

3 - د. فاروق ناصر الراوي ، **مرجع سابق** ، ص .373

أما المرحلتين الحديثة والمتأخرة التي كانت في الفترة من 1000الـى 539 ق.م تقريباً فهي تعتبر اللهجة التي إستخدمت في بلاد بابل وآشور فـي حـدود التـاريخ الميلادي ،
تطورت اللغة والكتابة واللهجة البابلية التي كانت وسيلة إتصال إعتيادية فـي أنحـاء المنطقة كلها وإتسعت الى نشاطات متعددة منها الدبلوماسي [1].
استوعبت اللغة المسمارية القوانين والعلوم البابلية ومهدت لعلوم كثيـرة ، واليهـا يرجع الفضل في ظهورعلم الفلك من صورته السومرية-الأكدية إلى عـالم الوجـود المتطور البابلي، وبها ظهر ودون علم الطب، وكانت منها نشأة اللغة،وهي التي أمدت الوجود بأول نصوص من القانون، وبفضلهالعبت بابل دوراً أساسياً كعاصمة حضارية
كانت الحضارة البابلية ضمن المرحلة المسمارية في تاريخ العراق القـديم حتـى سقوطها في القرن السادس قبل الميلاد ، على الرغم من إنتقالها الى الحرف والرمزية في تحوير المقطعية لتتلائم مع اللهجة الجديدة

ملوك بابل

1 - حمورابي

بعد أن أخذت بابل مكانتها وأصبحت الحاضرة . يذكر لنا تاريخها صفحة من أمجد الصفحات للملك (حمورابي) [2] هذا الملك الفاتح المشرع والشجاع الذي دام حكمـه أربعون سنة ، أتاحت له الفرصة في التخطيط والتنفيذ والخبرة في الحكم ، وهو ملك وحاكم مصلح إرتقى في نظر السكان الى درجة الآلهة ، وقد وصلت الحضارة البابلية في عهده نضوجها وذروتهمن ضمن ماعثر عليه من الأختام والنقوش البدائية ، تُجسد لنا هذا الملك العظيم شاباً يفيض حماسة ومواهب، وتصور حروبه التي شنها شجاعاً لايخاف المخاطر، وهو أيضاً داهية يقضي على الفتن ،

1- د. عامر سليمان ، **مرجع سابق** ، ص .30.

2 - د . بهيجة خليل إسماعيل ، **مرجع سابق** ، ص. 224 -225

3 - د. ثروت عكاشة ، **مرجع سابق** ، ص . 347

من أجل هذا كله فهو لم يخسر في حياته معركة خاضها ،[1] وبحكمته كان قد جمع تلك الدويلات التي شهدت نزاعاً وخصام ، وهيأ لها حياة آمنه وادعة بما سن لها من قوانين وتشريعات تكفلُ العدلَ والمساوات.

وهذا القانون الذي وضعه (حمورابي) وجد منقوشا نقشاً جميلاً على إسطوانة من حجر البازلت ، نقلت من بابل الى عيلام حوالي عام 1100 ق. م ، من ضمن مانقلَ من مغانم الحرب وكان من بين أنقاض مدينة سوسة التي كشفَ عنها عام 1902 ، وهي الآن في متحف اللوفر ، وكان الملك يزعم بأن هذه الشرائحُ منزلة من السماء ، و يبدو شكل الملك منقوشاً على وجه الإسطوانة وهو يتلقى الوحي من الإله شمس (شكل 17) ، وتحتوي هذة المسلة على مقدمة تُمثل مكانة مهمة في الدراسات اللغوية والأدبية ، بسبب لغتها وجزالة ألفاضها ، يعتقد أنها مكتوبة بإسلوبٍ شعري ، وفيها تبويب وتنظيم للمواد القانونية ،[2] وفي أسفل النقش دونت الشرائح حيث نقرأ في مستهلها :

(ولقد عهد آنو الأعلى ملك الأنوناكي " وبل " رب السماء والأرض بيده مصير العالم . . . الى حمورابي الأمير الأعلى عابد الآلهة لكي ينشر العدل في الأرض ، ويقضي على الأشرار والآثمين ، ويحول بين الأقوياء وبين أن يظلموا الضعفاء ، وأن ينشرالنور في الأرض ويرعى مصالح الخلق أنا حمورابي الذي اختاره" بل" حاكما) تمثل هذه العبارات الذي وصف بها حمورابي نفسه وطريقة حكمه ، وعاء للحكم وسلطة العدالة والمساوات ،[3]

كانت الفترة التي سبقت حمورابي تتميز بكثرة المطالب الإجتماعية الفردية والجماعية كثيرة ولم تتوقف عند حد ، نظراً للمشاكل والإضطرابات التي تشهدها مدن وشوارع وادي الرافدين ، وهو ما لفتَ إنتباهه وعملَ على إصلاح وضع المجتمع بمثل هذه القوانين التي أضفى عليها روح القداسة ليتقبلها المجتمع وتكون لها قوة البناء والنفاذ[4] .

1- د. عامر سليمان ، **مرجع سابق** ، ص . 262

2- رضا جواد الهاشمي، **حضارة العراق** ج2 "القانون والأحوال الشخصية "دارالحرية للطباعة.بغداد 198، ص. 79

3- د ثروت عكاشة ، **مرجع سابق** ، ص . 347

4- **نفس المرجع** ، ص . 348

إن التطور الكبير الذي تحمله عباراته هذه ، كانت صادرة على لسان حاكم عـاش قبل الميلاد بالفي عام ، وهي شريعة شمولية إستوعبت الكثير من شؤون الدنيا والحياة ، كالتجارة والزراعة والتعليم ، ربما لأن حمورابي إتجه أولاً الى الآلهـة ، أي انـه إستقى تعاليمه من مصدر سماوي ، وهذا ماجعلَ بعضهم يرفعه الى منزلة الإلهة .[1]

َشيد حمورابي القلاع ، وجمع رجال الدين ، ووضع قانوناً بدفع الضـرائب وجمـع الأموال وبالتالي إقرار النظام ، وهناك إتفاق الكثير على إنه َجملَ مدينته وعاصـمة مملكته ، وأقيمت عمارة من القصور والهياكل ، وهذه من صفات الملك العادل ،علماً إن مدينة بابل مشهورة بإستقامة شوارعها وسعتها وحسن تنظيمها ، حيث أنهـا تقـع على أراضي سهلية متسعت الأفق ،

وكان المجتمع العراقي القديم مجتمعاً مدنياً يميلُ الى الإستقرار والتشييد والإعمار ، فقد َشيد جسراً على نهر الفرات ، ومن المعروف أن سفنناً ضخمة كانت تَمخُر هـذا النهر محملة بالتجارة شأنها شأن المدن السومرية ، فلنا أن نتخيل كيف كـان هـذا الجسر مشيداً

وهكذا جعلَ حمورابي لبابل حياة رغدة غنية وراقية[2] لم تشهد مثلها فـي الأزمـان القديمة ، وهو الذي عاش قبل ميلاد المسيح بنحو الفي عام ،

توصل الى كل هذه الإنجازات والتطور المعماري وهذه العدالة بين النـاس بحكمتـه وحسن قيادته للمجتمع البابلي ، قد أضاف لنا الكثيرمن المعارف وأغنى ذاكرتنا بأرقى ثمار العقل البشري ،

في زمنه إنتشر الرخاء وأصبح الرجال يضعون على رؤسهم العمامة ، ويمسكون العصي بأيديهم وأحياناً تكون هذه العصي منقوشة ومزخرفة ،

وكانت تتدلى من وسطهم أختام جميلة ، يختمون بها رسائلهم وكل مايتعاملون بـه ، وظهر من خلال الألواح التي ُعثر عليها أن النساء يضعن القلائد والأساور، ويصففن

1- ساكز هاري ، **مرجع سابق** ، بغداد 1979، ص. 75

2- د . ثروت عكاشة ، **مرجع سابق** ، ص .349

شعورهن ويعقدن عليها تيجاننا من الخرز ، وهكذا عمت مظاهر الثراء[1]، وركـن الناس الى هذا النعيم وألفوا حياة الترف .

وبعد موت حمورابي ببعض السنين غزى الكاشيين[2] بابل بعد أن غـاروا ونهبـوا أكثر من مرة حينما دب الضعف والإنحلال في الجسد البابلي ، ولم يجدوا مقاومـة ، فإحتلوا بابل وغلبوها على أمرها، وظلت بابل بعد هذا الغزو قروناً من الإضطرابات والفوضى السياسية ، حالت دون تقدمها.

2- نبو خذ نصر

يعد هذا الملك من الملوك العظماء نتيجة لما حققه من منجزات سلمية ، وأبرزها تشييده للعاصمة ، رغم انهُ من المعروف بأن الملك حمورابي هو الذي بنى العاصمة البابلية وانها المدينة الرئيسة في الجنوب ، وكان عرش بابل ينطوي على سمعة كبيرة وقد ذكر نبوخذ نصر في كتاباته تفاصيل عن تقدم العمل في تشييد العاصمة الجديدة ، وسورها الدفاعي المزدوج ،

حيث وصفه هيرودوتس بقوله :(إن عربة تجرها أربعة خيول يمكن أن تسير عليه) وقدم وصفاً طويلاً ودقيقا عن معابدها وقصورها[3]، حيثُ أضفت بلاد الإغريق على نبوخذ نصر شهرةً خالدة بوصفه مشيد أحدى عجائب الدنيا السبع وهي الجنائن المعلقة ، التي بناها لأميرة من الجبال الشرقية كانت تشعر بالحنين الى الوطن ، وللأسف لم يجد المنقبون وعلماء الآثار أثراً لهذه الجنائن، وان البنايات الرئيسية كلها كانت مشيدة بالآجر مما أدى الى تدمير المدينة لأنها أصبحت قروناً كثيرة مصدراً لمـواد البنـاء المتيسرة (شكل – 18) ، وقد سجل هذا الملك إنجازاتة على ألواح طينية عثر عليها في عاصمة الآشوريين نينوى، ربما كان قد نقلها آشور بانيبال الى مكتبته ،

ومن المعروف من خلال تخطيط المدينة أن طرقها كانت مستقيمة ، وعلى جانبهـا صفوف رائعة من الثيران والتنين منقوشة بالآجر المزجج ، وهذا ماقـام بـه الملـك

1- د . ثروت عكاشة ، **مرجع سابق** ، ص. 24

2- الكيشيون . قوم سيطروا على بلاد بابل بعد انهيار سلالة بابل الأولى ،ويبدوا أن أوثق صلاتهم كانت بالمنطقة الجبلية في الشمال الشرقي . لغتهم ليست سامية semitic ولاهندية أوربيـة indo – european / انظـر، نيكولاس بوستغيت مسرد انجليزي – عربي بغداد 1991 ص. 127

3- ثروت عكاشة ، **مرجع سابق** ، ص . 124

نبوخذ نصر ، الذي يعود له الفضل في تجسيد الإنجازات الكبيرة التي شهدتها بابـل، يضاف اليها مجموع الإنجازات السياسية التي تركتها مخطوطاته ،

وكان هذا الملك قد َخلفَ والده ، وخلفه إبنه الذي عجز عن إدارة المملكـة ، وجـاء بعده حاكمان كان آخرهم (نبو نيد) حيث أُسر من قبل كورش[1] الذي إستولى علـى بابل ،

ويشرح لنا هيرودوتس الإستيلاء على المدينة العظيمة المحصنة في غياب كورش وبلا مقاومة (حشد كورش جيشه حيث يدخل النهر المدينة وحشد قوات أخرى فـي المكان الذي يبتعد فيه النهر عن المدينة وأمر جنوده بدخول المدينة عن طريق نهـر الفرات عندما يجدون خوضه ممكناً) ، وكان سكانها غير مبالين لأنهم كانوا يحتفلون ويتناولون الخمور ولم يكتشفوا الحقائق الا بعد فوات الأوان[2]، وبعد كل هذا سـقطت بابل بسبب الإهمال ، وأصبحت المبادرة السياسية والثقافية من خارج الشرق الأدنـى ودمجت بلاد الرافدين بالإمبراطورية الفارسية ، ثم الهيلينية إضمحلت تقاليد الكتابـة المسمارية ، وطويت حقبة تاريخية مهمة في منطقة الشرق الإدنى،ومنذ سقوط بابـل وآشور،أصبحتا خاضعتين لحكم الفرس الى أن قُضي على آخرملوكهم سنة330ق . م على يد الإسكندر الأكبر، ثم لم تلبث أن إزدهرت حضارة جديدة بالقرب من الموقـع الآشوري وتسمى (الحضر) [3]، وذلك في القرون الثلاثة الأولى بعد الميلاد ونظراً للإستمرار الحضاري التي إتسمت به بلاد الرافدين [4]، وجدت وحدة دينية إذ سـادت

1- كورش الأول cyrus 1 ، مؤسس الإمبراطورية الفارسية خلع استياجس astyages عن العرش ودحر كرويس croesus ملك ليديا ونبونيد nabonidus ملك بابل ، توفي عام 524 ق.م وخلفه قمبيز / أنظر ، نيكولاس بوستغيت ، حضارة العراق وآثاره ، ص131.

2 - ثروت عكاشة ، مرجع سابق ، ص 125.

3- الحضر . مدينة تبعد 110 كم عن الموصل ، وموقعها الحالي قريب الى المنطقة الآثارية للحضارة الآشورية ، والحضر عاصمة لمملكة عربية كانت لها حدود طبيعية هي دجلة من الشرق والفرات من الغرب ، وهي أحدى الدويلات التي كانت تتمتع بالإستقلال الذاتي ضمن السيطرة العامة للإمبراطوية الفرثية ، وتعرف بلد مملكة الحضر باسم عربايا أي بلاد العرب ، وقد ظهرت للوجود بعد تجمع القبائل العربية بعد سقوط مدينة نينوى عام 612 ، وكانت بدايتها في سنة 50 ميلادية ودامت بحدود 200 سنة تقريبا / أنظر. فؤاد سفر ، محمد علي مصطفى ، كتاب الحضر مدينة الشمس بغداد 1974.

4 - د . حسن الباشا ، **الفنون القديمة في بلاد الرافدين** ، الدار العربية للكتاب القاهرة ، 2000 ، ص . 25

البلادعقيدة واحدة منذ أقدم العصور،بالرغم من وجود بعض الإختلاف فـي أسـماء الالهة .

رابعاً : الآشوريون

إستوطن الآشوريون القسم الشمالي من العراق ، الذي عُرفَ في النصوص المسمارية بـ (بلاد آشور) [1] ، وهو كبقية أقسام العراق شهد حياة إنسان العصر الحجري القديم في وقت مبكر قبلَ قسمه الجنوبي، وفيه نشأت القرى الزراعيـة فـي العصر الحجري الحديث أيضاً.

غير أن طبيعة المنطقة في مناخها و تضاريسها ساعدت على بقاء الجماعات البشرية مبعثرة ، و ظهر أثر التطور الحضاري في جنوبي العراق واضحاً في بلاد آشـور ، خصوصاً بعدما أصبحوا جزءاً سياسياً و ثـقافياً منها منذ زمن لوكـال زاكيـزي و سرجون الأكدي ، وواجهت بلاد آشور الأخطار التي واجهها السومريون والآكديون ، ثم إنضوت المنطقة ثانية في الوحدة التي حققها حمورابي[2]، وشكلت إحدى العناصر المهمة في حضارة العراق القديم ، وهي متميزة في تطور عناصرها الجماليـة فـي الفنون والعمارة ، لما تمثله من إبداع ونضوج وديمومة عن تلك الحضـارات التـي إشتهر بها العراق قديماً ، الطبيعية منها والمصطنعة ، فضلاً عن الإضافات المعمارية

---

[1] - **بلاد آشور (الدولة الآشورية) Assyria**

المنطقة الشمالية من بلاد الرافدين وتشمل مدن آشور ونينوى وكالح (نمرود). اطلق الإسـم بعـد ذلـك علـى الإمبراطورية الآشورية كلها . وتبين القائمة الآتية اسماء الملوك الآشوريين في العهد الاشوري الحديث .

(التواريخ إستناداً الى بر نكمان في كتاب اوبنهـايم Ancient Mesoptami الصـفحات 335- 347) . وهي قبل الميلاد . اشوردان الثاني 934- 912 ، اداد نراري الثاني 911- 891 ، تكلتي ننورتا الثاني 890 - 884 ، آشور ناصر بال الثاني 883- 859 ، شلمنصر الثالث 885 – 824 ، شمشـي أداد الخـامس 823 – 811 ، اداد نراري الثالث 810 – 783 ، شلمنصر الرابع 782- 773 ، آشـور دان الثالـث 772 – 755 ،آشور نراري الخامس 754 – 745 ، تجلاتبلاسر الثالث 744 -727 ، شلمنصـر الخـامس 726 -722 ، سرجون الثاني 721 – 705 ، سنحاريب 704 – 681 ، أسـرحدون 680 – 669 ، آشـوربانيبال 668 – 627 ، آشور أتيل الآني 626 – 624 ؟ ، سن شرليشر ؟ ، سن شر أشكن ؟ -612 ، آشور أوبلـط الثـاني / أنظر نيكولاس بوستغيت، ص. 127

[2] - نيكولاس بوستغيت ، مرجع سابق ، ص. 105

التي دعمت بها الأشكال المعمارية ، وعمقت البعد الجمالي لعمارة بلاد الرافدين ومنها على سبيل المثال (النحت المعماري) .

استعملَ الآشوريون الأحجار في البناء ، وفي نحت الأشكال التي تَميـزت بـالكبر والضخامة ، والدقة في تجسيد التفاصيل ، وتَمثيل المشاهد الحياتية للملـوك (شـكل 19) ، ومشاهد الصيد نظراً لغنى المنطقة الشمالية من العراق بالجبـال والأراضـي الحجرية ،[1]

وقد فرض التباين الطبيعي بين سكان الجنوب الذي شكلَ السهل الرسوبي ، وسـكان شمال نهر دجلة ، شكلاً من أشكال الإنتاج الحضاري ، ولكن أموراً كثيرة كانت تربطُ مابين الحضارات القديمة على أرض الرافدين نظراً لتداخل عناصرها ، والعلاقـات التفاعلية فيما بينها ، حتى تكاد كل واحدةٍ منها تظهرعلى أنقاض الأخرى لتشكل هذه السلسلة الحضارية التي تجمع بينهما وحدة الشكل والكتابة المسـمارية ، واذا نظرنـا اليها إجمالاً نجدها متكاملة .[2]

ظهرت الحضارة الآشورية بعد أن إحتلَ الكاشيين بابل ، وولى أمرها بعـد نفـوذ الكاشيين حكام ليس لهم من الأمر شئ ، فسادت الفوضى واذا البلاد تعيش منهوكـة خائرة أربعة قرون لم يذكرها التاريخ بشئ ، وولى أمرها في نهايـة المطـاف الـى الآشوريين الذين كانوا قد أقاموا دولتهم في الشمال ، وبسطوا سلطانهم علـى بابـل وضموها لسلطان نينوى[3].

يُكون الآشوريون جزء مهماً من بلاد مابين النهرين ، إستقروا على نهر دجلة منذ فجر التاريخ ، وتعاقبت على عرش الإمبراطورية الآشورية مائة وستةَ عشر ملكـاً ، مكثوا في عروشهم زمنناً طويلاً ، ولامجال لمقارنتها مع ملوك أور وأكـد أوحتـى ملوك الكاشيين الذين بلغ عددهم ستة وثلاثين .

كانت عاصمتهم نينوى[4] ، ولايعني هذا الإستقرار أن آشور ونينوى كانتا مستقلتين دائماً ، فقد تَعرضت الى مشاكل ومآسي ، وإمتد نفوذهم حتى بلاد الأناضـول حيـثُ

---

1 - د. احمد سوسة ، مرجع سابق ، ص . 534.

2- نيكولاس بوستغيت ، مرجع سابق ، ص106

3- د . احمد سوسة ، **مرجع سابق** ، ص . 536

4- أرنولد هاوزر ، ترجمة د . فؤاد زكريا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت ، ص. 64

إنتقلت جماعات منهم وأسسوا وكالات تجارية وكونوا جاليـة مرموقـة ، إزدهـرت الفنون والخزف خلال عهد الامبراطورية ، واتخذت صناعة الحلي والزينة ، مكانـة هامة نظراً للغنى والثراء الذي إرتبطت بهما ، وقدَ زين الآشوريون أبواب مـداخلهم الخشبية بقطع برونزية ، ونقشوا عليها مشاهد تُمثل أحداثهم، وأتقنوا صناعة التماثيـل البرونزية الصغيرة ، وكانت في الغالب تمثلُ مشاهد الصيد الملكية ومنـاظر الصـيد المختلفة والإسود ، وكثرت الحروب والغزوات ،

وإحتوت قصور الآشوريين على كميات من العاج المنقوش الذي استعملَ في تزيين الآثاث، أوعروش الملوك ، وبعض الأدوات كالأمشاط الخ .. وكان بعض العاج يلون أحياناً أو يطعم بالذهب والفضة ، وعثر على كمياتٍ كبيرة من هذه الفنون التطبيقية في مدينتي(نمرود) و(خورسباد) ومنها القطعة العاجية المشهورة التي تصور لبوة تهاجم زنجياً [1](الشكل 20) ،وهي تعكس صورة المعاني الجمالية من دقة وإتقان ، والتعبيرالواقعي الواضح الذي تميز به الفن الآشوري في تجسيد الأشكال ، وهذا التعبير غالباً مايكون عن القوة أوالقسوة ، ويقابله من جهة أخرى الدقة في تجسيد المشاعر والعواطف ، والإتقان في تجسيد الملامح والأشكال ،

وأغلبهم يتكلمون لغة واحدة ، ويدينون بدين واحد ممـا يحـتم خضـوعها لحكومـة مركزية واحدة ، وكان الإهتمام الشديد الملك المثقف (آشور باني بال)[2] بالحضارة البابلية ، فأعاد بناء معابد جنوب العراق ، وأنشأ مكتبة في عاصمةُ ملكه نينوى لتُجمع فيها نسخ من النصوص الموجودة في معابد الجنوب القديمة[3] في عصره ،

ساهمت آشور بقسط كبير في عملية البناء الحضاري فـي بـلاد مـابين النهـرين ، ونشرتها خارج المنطقة بكل تفاصيلها حتى أصبح من الصعب التمييز بـين تماثيـل معبد عشتار في آشور التي يرجع عهدها الى سرجون ، وتماثيل شارع الموكب فـي بابل ، وهذا يعكس مدى تأثر وتفاعل سكان الشمال بسحر الحضارة المزدهـرة فـي الجنوب ، و يؤكد في الوقت نفسه عمق جذورالحضـارة الآشـورية ، هـذا الإرث

---

1 د. ثروت عكاشة ، **مرجع سابق** ، ص . 558

2 - assur – ban –apali آخر ملوك الدولة الآشورية .

3- نعمت إسماعيل علام ، **مرجع سابق** ، ص. 173

الحضاري الآشوري يمكننا من تفهم الحضارة والفن الآشوريين ، وهو مرتبط وخاضع مباشرةً لكل ما كان يدور في ساحات المعارك ، لأن الآشوريين هم أول من عرفوا معدن الحديد في المنطقة وتمكنوا من الوصول اليه فعاشوا عصر الحديد بكل ماتحتويه الكلمة من معنى ، مما سهلَ عليهم إنتاج أدوات حربية ، ودخلَ الحديد في البناء لعمل قطع حديدية تشدُ أواصر البناء ، وكان الحديد سبباً في جعلهم جفات غلاظ الأكباد قسات القلوب ، فإتجهت كل إرادتهم الى تحقيق الإنتصارات بكل وسيلة ، بعد كل التطور والإنتشار الحضاري[1] ،

تميزت أعمال الفنان الآشوري بالواقعية وهي أيضاً سمة أساسية في الشخصية الآشورية، وكان الفنان يميلُ الى إستخدام الألوان ، التي لعبت دوراً هاماً في حياتهم ، ونتيجة لذلك تطور شكل الملبس وأصبحت الرفاهية سمة المنزل الآشوري ، و كان التاج لباس الملوك ، والعمامة لباس الكهنة ، وهذا التطور في الملبس والمسكن ربما أضفى شيئاً من العصرنة والتطور على الحضارة الآشورية ، الذي ميزاها عن باقي حضارات وادي الرافدين، ولعلَ من أهم أسباب سقوط هذه الامبراطورية المترامية ، هو المشكلة البابلية ، حيث كان ملوك آشور[2] مولعين أشد الولع بحضارة بابل ، كما آمنوا بأن بابل وآشور بلد واحد يتكلمون أغلبهم لغة واحدة ، ويدينون بدين واحد مما يحتم خضوعها لحكومة مركزية واحدة ، وكان الإهتمام الشديد الملك المثقف

1- د. ثروت عكاشة ، **مرجع سابق** ، 30

2- وهذا يعني تاثيرات الحضارة السومرية ، الأكدية ،البابلية ، من جهة، ومن جهة اخرى يعكس تمازج وتوارث الأشكال وتأثيراتها الجمالية على مجمل حضارة الرافدين .

(آشور باني بال) بالحضارة البابلية ، فأعاد بناء معابد جنوب العراق ، وأنشأ مكتبة في عاصمة ُملكه نينوى لتُجمع فيها نسخ من النصوص الموجـودة [1] فـي معابـد الجنوب القديمة وكان ينقش شكل نجمة ثمانية الرؤوس على مدخل كل بناء ينجز في عصره .

و تميزت أعمال الفنان الآشوري بالواقعية وهي أيضاً سمة أساسية في الشخصـية الآشورية، وكان الفنان يميل الى إستخدام الألوان ، التي لعبت دوراً هاماً في حياتهم ، ونتيجة لذلك َتطور شكل الملبس وأصبحت [2]الرفاهية سمة المنزل الآشوري ، و كان التاج لباس الملوك ، والعمامة لباس الكهنة ، وهذا التطور في الملبس والمسكن ربمـا أضفى شيئاً من العصرنة والتطور على الحضارة الآشورية ، الذي ميزاها عن بـاقي حضارات وادي الرافدين ،

وبعد كل هذا النشاط والإنتشارالحضاري ، لا نعرف مرجعاً نستلهم منه سر السـقوط المفاجئ للامبراطورية الآشورية ، والذي أعقب وفاة ملكها القوي آشور بانيبال بسنين معدودة.

لكن تراجيديا مقتل الملك (سارد انابال) وسـقوط الإمبراطوريـة الآشـورية ، وماحيك من قصص حولَ هذا الملك ، حرك خيال الشعراء والفنانين أمثـال الشـاعر الانكليزي بايرون الذي رسم شخصية الملك بصورة الفارس الأمين القوي المحـب للسلام والكاره للحرب، وكان بايرون يعتقد بأن هذا الملك كان شاعراً. [3]

من جانب آخر أعجب الفنان التشكيلي الفرنسي أوجين دولاكروا بفن الشرق ، حيث الشمس والصحراء والتقاليد العريقة وسحر الطبيعة ، ولإنهما(بايرون و دولاكروا) أثريا الثقافة الإنسانية بإبداعات إستلهماها من أساطير التاريخ القديم في تلـك الحقبـة

1- د. ثروت عكاشة ، **مرجع سابق** ،31

2 ـ وينهايم، ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق ، **بلاد مابين النهرين** ، بغداد .ص . 256

3 ـ ثروت عكاشة ، **مرجع سابق** ، 32

زماناً ومكاناً ، فقد أبدع دولاكروا لوحته المشهورة (موت ساردنابال) mort de sardanapal (شكل 21)

ُتبين اللوحة الملك الآشوري منسجماً مع الملذات غير مهتم بالغزات والقتلةوهي في نفس الوقت تؤرخ لأعظم فترة من تاريخ حضارة الرافدين .

إن تأثر هذا الفنان المبدع بهذه الآسطورة الآشورية ، ُيظهر عمق هذه الحضارة وتأثيرها الواضح لدى المبدعين، اللذين سبق لهم وأن تأثروا بعظمة الحضارة البابلية وما تمثله من الهام وتطور معماري مثير، [1]

وهي في نفس الوقت تؤرخ لبداية النهاية لعصر الإمبراطورية الآشورية التي تتميـز بفنها وثقافتها ، وبسقوط آشور وإنهيار إمبراطوريتها فقد الشرق يومها دولة كبيـرة ، وقوة عظيمة التأثير



الإمبراطورية الآشورية

اللغة الآشورية

مثلما ُصنفت اللغة البابلية على شكل لهجات فإن الشئ نفسه بالنسبة للغة الآشورية (اللهجات الاشورية – Assyrian Dialects) .

---

1 د. ثروت عكاشة، **مرجع سابق** ، 33

إنتشر استخدام اللغة الأكدية في بلاد آشور منذ الألف الثالث قبل الميلاد ،غير أنها تعرضت لبعض الخصائص التي تميزها ، وهي تأثيرات داخلية وخارجية تختلفُ عن تلك التي تعرضت لها في بلاد بابل ، ومرت بثلاث مراحل زمنية متتابعة وهي : [1]

الآشورية القديمة و الآشورية الوسيطة و الآشورية الحديثة ، وتمثل اللهجة القديمة بعض النصوص الملكية والوثائق المكتشفة، وتعود في بلاد آشور الى الفترة 2000 – 1750 ق. م إضافة الى الوثائق التي وجدت في آسيا الصغرى ، والتي تحملُ بعض التأثيرات المحلية ، اما الآشورية الوسطى المتمثلة في النصوص الأكدية التي تعود الى النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد ، ومنها النصوص القانونية ، والرسائل والنصوص الأدبية والملكية التي تَحملُ تأثيرات بابلية .

وتحملُ اللهجة الحديثة أهمية كبيرة نظراً للنصوص التي جاءت بها ، وهي على شكل مراسلات وإتفاقيات ورسائل شخصية في العواصم الآشورية[2] ، ولاسيما مدينة نينوى والنمرود ومنها الوثائق الإقتصادية والقانونية ، وفي أواخر هذه الفترة َظهرت عليها تأثيرات آرامية قوية دونت اللغة الآشورية بالكتابة المسمارية التي تحملُ نفس الصفات السومرية ، مع ظهور التأثيرات المحلية والخارجية ، وإضافة علامات ذات مقاطع صوتية قريبة من حيث النطق الى الأصوات الأكدية ، وهي علامات لسد النقص الموجود في الكتابة المسمارية .

ملوك آشور

1- **سنحاريب** :

تولى سنحاريب الحكم الآشوري بعد سرجون الذي تركها دولة قوية تُحكم حكماً قوياً ، وإستطاع سنحاريب في العامين الأولين من حكمه أن يكرس طاقاته في إعادت

1- د. بهيجة خليل إسماعيل ، **مرجع سابق** ، ص . 231

2 د. ثروت عكاشة، **مرجع سابق** ، 33

بناء نينوى التي إختارها عاصمة له ، ورغم أهميتها الا إنها لم تكن مقراً لجميع الملوك الآشوريين ، وحدد سنحاريب منطقة واسعة شمالي المدينة القديمة وجنوبيها (تعرف اليوم بإسم قوينجق)[1]وأحاطها بسور حجري ضخم مكسو بحجر مربع منحوت تخترقه بوابات ضخمة ذات أبراج وأمن لنهر دجلة حماية إضافية من ناحية الغرب، وشيد بوابات مائية ، وأعدت مصطبة إصطناعية على التل القديم في الوسط ، وشَيد عليها قصر ملكي جديد ، عملَ في بنائه أسرى الحرب (شكل -22) ، ثبتت على جدرانه لوحات حجرية تمثل حملات سنحاريب بإسلوب فني جديد أكثر حيوية في إظهار الأشكال بشكل متصل وليس منفصل ، ونُحتت َمشاهد المعارك والحصار في الجبال أو الأهوار .[2]

ولم يهمل الفنان تفاصيل داخلية كبناء القصر نفسه ، مع مشاهد واقعية لتماثيل تُحمل على الطوافات أوتسحب الى أماكنها على إسطوانات بإشراف الملك نفسه.

وأهتم سنحاريب في تزويد نينوى بالمياه وتنظيم الري وبنى بوابات الميـاه وقنـوات التصريف بطريقة علمية ، وكانت أولى حملات سنحاريب العسـكرية بعـد تسـنمه العرش على البابليين ، الذين تحالفوا ضد الآشوريين بقيادة (مردوك أبلا أدن) الرجل الذي سيطر على عرش بابل عشرة أعوام،

وبعد إنتصاره ُنصب سنحاريب على عرش بابل ، وقـد حمـلَ سـنحاريب أعبـاء الإمبراطورية وخاض من أجلها الحروب الكثيرة ، التي خلدها بمنحوتـات حجريـة زينت جدران قصره .

وجاء بعده أسرحدون الذي لم يجد أية صعوبة في مواصلة الطريقة التـي بـدئها سنحاريب ، فلاحق بؤر الفتنة والتمرد وتوسع في فتوحاته وكان هدفه بلاد الفراعنة ، ربما لأنها كانت قد حرضت على التمرد ، وبعد حملتين إستولى أسـرحدون خليفـة سنحاريب على مصر الفرعونية وعين لها حكاماً آشوريين الى أن مرض ومات .[3]

1- نيكولاس بوستغيت، **مرجع سابق** ، ص. 116

2 - د. ثروت عكاشة، **مرجع سابق** ، 33

3- د. فاصل عبد الواحد ، د . عامر سليمان ، **تاريخ العراق القديم . ج2** ، جامعة بغداد ،1980، ص .252

1- آشور باني بال . (العالم)

يشتهر هذا الملك بأوصاف عديدة نظـراً لإنتصـاراته العسـكرية ، غيـر أن إنتصاره الأعظم بالقلم وليس السيف ،حيث إنه ترك للبشرية أهم مكتبة في التـاريخ ، في نينوى التي تضعه بين رعاة العلم المتنورين العظماء، وهو مايفتَخر به حيث كان محباً للعلوم ، وفي حل المسائل الرياضية المعقدة وقراءة الألواح المبهمة بالسـومرية والأكدية ،

وقد ساهمت الألواح التي دونها وإكتشفت في تل قوينجق في تزويد علماء الآشوريات بالروائع الأدبية في بلاد الرافدين قديماً ، ومنها (ملحمة كلكامش وملحمـة الخليقـة وغيرها)

وتوجد أدلة كثيرة على أن آشور بانيبال الذي يرجع له الفضل في جمع وتدوين كل الألواح المسمارية التي إحتوتها مكتبته في نينوى ، فضلاً عن أن هناك رسائل وبحوث كتبها الملك نفسه

وكان آشور بانيبال قد ورثَ عرش آشور من أبيه أسرحدون الذي فضله على أخوته ، وجعلَ أتباعه يقسمون(عندما يموت أسرحدون ملك آشور)
يكون(تنصيب آشوربانيبال)[1] ولياً للعرش لممارسة الملكية على بلاد آشور، إمتازعهده بالطابع الثقافي والعلمي،حيثُ أسس الملك آشور بانيبال مكتبة نينوى وجمع مصادرها من أرجاء وادي الرافدين،وهي على شكل ألواح طينية[2] فمكتبة نينوى تعد من أضخم المكتبات القديمة وأجملها تنظيماً وترتيباً.

بعد كل هذه الإنجازات العلمية والثقافية من التشييد والبناء وبناء الآمبراطورية . أخذت المأثورات القديمة المدونة بالخط المسماري تتراجع بسرعة أمام تأثير اللغة الآرامية ، وكان ممكناً توقع الإنحطاط الثقافي ،

1- نيكولاس بوستغيت، **مرجع سابق** ، ص . 121

2- د. عبد الرضا الطعان، **مرجع سابق** ،ص . 227

ولكن سرعة إنحطاط الدولة الآشورية السياسي لم يكن متوقعاً ، وقد تعرض آشور بانيبال الى مشاكل عرقلة تقدمه في إنجازاته وفتوحاته ، وكانت هذه الأحداث في النصف الأول من عهده ،

وشهد النصف الثاني منه [1]إضطرابات توسعت بعد مماته بين عامي 631. و 627 ق. م

1- د. طه باقر ، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة** . ج1، بغداد ، 1973 ،ص . 72

الفصل الثالث

1- العوامل المؤثرة في العمارة العراقية القديمة .

2- المنشآت المعمارية .

3- المواد الأساسية في البناء (المواد الإنشائية).

العوامل المؤثرة في العمارة العراقية

تعرفنا على شكل الحضارات التي عاشت على أرض الرافدين قـديماً وهـي : السومرية ، والآكدية ، والبابلية ، والآشورية ، وكان هـذا علـى أسـاس تسلسـلها التاريخي ، وترابطها وانسجام حلقاتها ، وتأثيرها الكبيـر فـي صـنع تـاريخ وادي الرافدين خاصة والحضارات الإنسانية عموماً ،

إن التَميز الذي طبع كل واحدةً منها والخصوصية التي قولبت مظاهرها ، هـي نتيجة لعوامل كثيرة أهمها : الواقع الجغرافي حيثُ أن كل واحدة نشأت علـى أرض ومناخ مختلف ، لكن أهم مايميزها هو أنها إرتيوت بمياه دجلة والفرات ، وهي جنـة عدن ، بالإضافة الى وحدة اللغة والكتابة المسمارية ، فكانت أغلب هذه الحضارات قد َجسدت نهري دجلة والفرات في لوحاتها ومنحوتاتها ،لأنهما مصدر الخير والخصـب والرخاء .

نشأت الحضارات على أنقاض بعضها، وكونت بمجموعها سلسلة حضارية مترابطة الحلقات ، شكلت بدورها الأساس الحضاري للعـراق اليـوم ، فجغرافيـة المكـان وتاثيرات المناخ كانا سبباً مباشراً في رسم معالم العمارة والبناء ، ومنهمـا إسـتمد العراقيون القدماء أشكال وأنماط معمارية ،على ضوء تـأثيرات وتفـاعلات المكـان والأصول التاريخية لكل قوم من الأقوام التي سكنت أرض الرافدين[1] وكانت المحلية قد شكلتِ ميزت الإبداع ، حيثُ الإعتماد على البيئة وما يحيط بها من عوامل أخرى ، ومن المعروف أن السومريين مثلاً إبتدعوا أشكالاً معماريةُ منسجمة و متماشية مـع طبيعتهم في ذلك الوقت ، وساهمت الخامات المحلية كالطين في ترسيخ هذه الصفة ، حيثُ أن الطبيعة في بلاد الرافدين تنفرد بمزايا نادراً مانجدها في حضارات أخرى ، تحالفوا معها وأوجدوا طرقاً ومعالجات للتغلب على مصاعبها ، حتى أصبحوا جـزءاً منها ، ووجدت الطرق التي ابتكروها إنسجاماً امتد بإصوله حتى وقتنا الحاضر[2]

1- د عفيف بهنسي ، **مرجع سابق** ، ص. 113

2- د. فاصل عبد الواحد ، د . عامر سليمان ، **مرجع سابق** ، ص . 154

إن السومريين هم أول بناة حضارة بالمعنى الكامل على أرض الرافدين، ويرجـع لهم الفضل في إكتشاف الزراعة التي أدت الى الإستقرار وبناء المـدن والمجتمعـات والى الكتشاف الكتابة ، وهذان العنصران أديا الى قيام مجتمع متحضر ،
عاش السومريون زمناً طويلاً وحقباً من التطور، إنعكس هذا على الإنسـان الـذي ساهم في تطور الإنتاج الحضاري ، ونتيجة لذلك فقد شكلَ هـذا التطـور الأسـاس السومري الذي إعتمدته سلسلة من الحضارات التي جاءت من بعدهم ، حيثُ إسـتمر تطورها الى مراحل متأخرة ، وصولاً الى الحضارة الآشورية التي إنتشرت بدورها مكونة أكبر إمبراطورية إمتدت حدودها الى أراضـي مجـاورة لأرض الرافـدين ، تميزت بعناصرها الفنية والزخرفية وشكل عمارتها المتطور، وكان تأثير البيئة واضح عليها كما هو عند السومريين ، وإن أهم ما ميز هذه الحضارة هو النزعة العسـكرية وطابع الحروب والغزوات (ويظهر هذا من خلال الآثار والمنحوتات الآشورية) [1] (شكل- 23) **،** وإن طبيعة وشكل الأرض الصخري ساهما في تشكيل هذه الحالـة ، لكن هذا لاينفي الوجه الآخر للآشوريين المتمثل في الطابع الفني والثقافي ، والتطور الذي شَهدته إمبراطوريتهم في جميع المجالات الحياتيه ،
إهتم سكان بابل في نشر العلم والثقافة والعدل بين الناس ، من خلال وضع القـوانين و الأسس لإقامة مجتمع مدني ، وتشكل الحالة البشرية وتركيبـة السـكان وطريقـة عيشهم أهم العوامل المؤثرة في عمارة الرافدين قديماً ، لأنها تحدد الوظيفة والهـدف من البناء ، ومن المعروف في الوقت الحاضر أن العمارة عامة تخضع مبدئياً للتحليل الوظيفي ، وتحليل الموقع ، والتحليل الإنشائي ، والتحليـل الإقتصـادي ، والتحليـل الجمالي بمعنى أن للعمارة أسس ومبادئ وهي : والوظيفـة ، والموقـع ، وطريقـة الإنشاء ، والمظهر الجمالي ، المرتبط بالإمكانيـات الماليـة أو الإقتصـادية ،[2] إن العنصر الأساسي والمهم في العمارة هو الخامات أو المواد الإنشائية ، التي إستخدمت

---

1 - د .عفيف بهنسي ، **مرجع سابق** ، ص.121

2 - رامي دبية , الدراسات التحليلية المعمارية ،دار قابس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 1. 2002، ص 91.

في إنجاز الهياكل المعمارية سواء أكانت من الطين أو الحجر أو خامـات أخـرى ، وكذلك طريقة البناء وهدفه ووظيفته [1]

فشعب الرافدين شعب مدني بطبعه ، يؤسس المدن لسكناه ويعمرها مدى الآف السنين ، كما يقوم في كثير من الأحيان بتخطيط بعض مدنه (عن وعـي) معنيـاً بإنشـاء مرافقها المختلفة وهذا ما عرف عن البابلين الذين يتميزون بإستقامة شوارع مـدنهم ، وتوزيع جميع مرافقها بشكلٍ يعتمد على الدراسة العلمية والفيزيائية ، مع الأخذ بنظر الإعتبار دراسة الموقع ومعالجة كل الأمور الأخرى المرتبطة به بما فيها المياه نظراً لأهميتها ، ومثال ذلك [2](جنائن بابل المعلقة) التي تشبه الجبل، حيث كـان المـاء يُرفع الى مستويات عليا من هذا البناء، وذلك لسـقي الاشـجار والنباتـات وتفجيـر العيون،وحفر السواقي، وجلب العطور الطيبة من أزهارها ونباتها، طبقاً للنظريـات الأثرية الي شملت المنطقة [3]. **ومن** مدن العراق القديمة أرك (الوركاء الحديثـة) وهي عاصمة للدولة السومرية الحديثة ، ويعتقد إنها بلد المـلـك كلكـامش صـاحب إسطورة الخلود ،اشتهرت هذه المدينة ببناء الأبراج (الزيقورات) وكانت أماكن عبادة بالدرجة الأولى، يكون فيها مكان الملك في أعلى البناء(وهو الوسيط بين الناس والإله ومن خلاله تقديم النذور والهدايا) **[4]**

ويعتبرهذا شكل من العبادة المتطورة نوعاً ما عن العبادة في عهد الفراعنـة ، التـي تتميز بعبادة الشخص أوالفرعون أومايصطلح بالعبادة الأفقية ، لكن العبادة الرافدية في أغلبها عمودية لأنها تقوم على عبادة الآلهة التي عادةً ما تكون في السماء، بنيت هذه

---

1 - رامي ديبة , مرجع سابق ، ص .92

2 - د . فوزي رشيد ، **مرجع سابق**، ص.54

3- د .عفيف بهنسي ، **مرجع سابق** ، ص.212

4 - د. فاصل عبد الواحد ، د . عامر سليمان ، **مرجع سابق** ، ص .155

الزيقورات بالطوب المدكوك نظراً للطبيعة الجغرافية للمنطقة الجنوبية من العـراق ، ووضع بين كل طبقة من طبقات الطوب كمية من (القار)[1].

كما اكتشفت فيها مقبرة ، لازالت مصدراً خصباً للتوابيت ذات السطح المطلي اللامع ، وعثر فيها على تمثال يمثلُ الملكة شوباد (بوابي) بشكله الجميل ، وكان قدُ عثرعليه في أور بالدهليز المؤدي الى الحجرة التي وجدت فيها جثتا الملكة ووصيفتها ، وعثر على زحافة كان يجرها ثور ، واله جنك أو كنارة ومصوغات من الـذهب والآزورد والعقيق ،ولعلَ هذا التمثال للأميرة أو الملكة (شوباد أو شعباد) ، والحلي التي تتزين بها الملكة هي حليها الأصلية ، و تظهر لنا هذه التحفة حيوية الفن الأصيل الذي إتبعه السومريون في الفنون التطبيقية وصياغة الحلي ، التي تُبين المعـاني الجماليـة[2] ، وتبدو لنا نوعية الحلي والمعادن والأحجار الكريمة المشكلة منها . (الشـكل – 24) وتَحملُ الأشكال المصاغة زخارف مختلفة وأغلبها نباتية

وتنم الأشكال عن دقة في الإنجاز وخيال خصب بإستعمال اللون الأزرق المخضـر، وقدُ عثر أيضاً على أشياء ربما كانت ضمن ممتلكات الملكة ، وهي كأس وأوعية من الذهب وتوجد بالقرب منها مدينة (أور) حيث أثبتت الحفائر إنها مدينـة محصـنة ، مساحتها حوالي85 كم^2 تقع على النهر، ولمينائها أرصفة وفي وسطها المباني العامة والمعابد ويحيط بها سور ضخم ، وقد نشأ فيها إبراهيم الخليـل (عليـه السـلام) حوالي 2000 سنة ق.موتحيط بها بيوت ومنازل متراصة خارج السور الذي يحـيط بها ، ويمكن من خلال هذا معرفة التغيير الجوهري الذي حدثَ ، وقد تجلى هذا فـي تقنية البناء واعتبر عصر الإنتقال في شكل العمارة بعد هـذا يمكـن تلخـيص أهـم العوامل المؤثرة على العمارة في المنطقة الجنوبية مـن العـراق بالتحديـد وهـي خصائص حددتها طبيعة الأرض والمناخ وأهمها :

1- نفط خام يوجد بكثرة جنوب العراق. ويطفو على سطح الأرض عند عدم استخراجه

2 - د . فوزي رشيد ، **مرجع سابق**، ص54.

أ - تتعرض بلاد الرافدين من موسم لآخر الى فيضانات وسـيول جارفـة ، نتيجـة ذوبان الثلوج في جبال منطقة أرمينيا الواقعة في شمال الرافدين ، فتسبب هذه السيول والفيضانات الخسائر البالغة والفواجع ، مما دفع بالمعماريين والمهندسين الى جعـل منشآتهم بل ومدنهم على ربوات إصطناعية لتحميها من الفيضانات ، ممـا أدى الـى إكتساب[1] مهارة في إقامة السدود والجسور وتصريف المياه و ظهور أراضي جديدة صالحة للزراعة والسكن .

ب – نظراً لإنعدام الجبال الصخرية في وسط وجنوب العراق ، ما دفع المعمار الرافدي الى استعمال الطمى[2]المحروق أو المجفف بالشمس في البناء

ج - وكذلك قلة الغابات في جنوب الرافدين ووسطه أضطرالسكان الى الإستغناء عن السقوف الخشبية ومساند النوافذ والأبواب الخشبية في العمارة ، والتجأوا الى استخدام جذوع وسعف النخيل في بناء السدود والجسور و السقوف والقناطر(لتوفرها بكثـرة في المنطقة) ، وأقامة العقود والقباب من الآجر وبناء الأعمدة والمساند، وهـم أول من إبتكر هذه الأنواع من السقوف والعقود لضرورات مناخية وفيزيائية، وأخذ عنهم البيزنطيون ثم الغرب بأجمعه ، وما زالت القباب من خصائص فن العمارة العربية الإسلامية

د- إن صفاء الجو والسهول الواسعة في منطقة الرافدين دفع الإنسان الى تأمل السماء والعبادة ورصد حركة الكواكب ، وبالتالي الإهتمام بالرياضيات التي كانت أساساً في فن العمارة والعلوم الهندسية . المعماري الآشوري ، هذا الفن المعروف في إدخـال النحت ضمن العناصر المعمارية حيثُ زينت جدران ومـداخل القصـور والمعابـد الآشورية بالأشكال النحتية البارزة ، وكانت هذه الأشكال على هيأة منحوتات كبيـرة كان أغلبها يرمز للثور المجنح ، وهو رمز للقوة والقدسية وطرد الشر ، برأس إنسان وجسم ثور ويمكن المقاربة والمقارنة بينها وبين الحيوانات الأسطورية التي زينـت باب عشتار ببابل ، من ناحية تصميم الأشكال والهدف منها[3].

1- نيكولاس بوستغيت ، **مرجع سابق** ، ص. 119

2 - الطمى . التربة الغرينية التي ترسبها الأنهار في جنوبي بلاد الرافدين مكونة سهلا فيضياً عميقـاً وخصـبا /أنظر . نيكولاس بوستغيت . مسرد – انجليزي عربي . دار المأمون بغداد 1991 . ص126.

3- د .عفيف بهنسي ، **مرجع سابق** ، ص.120

وكان الآشوريون قد بنوا قصورهم من الحجر الذي تشتهر به المنطقة ، وعثر في بعض الحفريات على مادة المرمر الذي أدخلَ في البناء وفي النحت، ويعتبر هذا تطوراً في شكل العمارة في بلاد الرافدين ، بالإضافة الى هذا فإن المنطقةالتي وجدت عليها الإمبراطورية الآشورية تَشتهر بالغابات مما سهلَ إستعمال الأخشاب في العقود والسقوف ، وكان الشكل العام للبناء من شمال العراق الى جنوبه يقوم على روابٍ إصطناعية واسعة يصل إرتفاعها الى **15** متراً[1] ، وتتسع هذه الروابي لأبنية القصر المؤلف من ثلاثة أقسام ،القسم الخاص الذي يتضمن سكن الملك وإسرته ، القسم الرسمي وهو البناء المخصص للأعمال[2] وفي المنطقة الشمالية من العراق حيث عاش الآشوريون ، لم تكن الحرارة في فصل الصيف شديدة بالقياس الى المنطقة الجنوبية ، حيثُ عاشَ السومريون والآكديون

والبابليون، وإنعكس هذا التباين على شكل البناء وارتفاعاته ، لأن حرارة الجو تحد من بناء صروح عالية .

وكان الآشوريون قد بنوا قصورهم من الحجر الذي تشتهر به المنطقة ، وعثر في بعض الحفريات على مادة المرمر الذي أدخلَ في البناء وفي النحت، ويعتبر هذا تطوراً في شكل العمارة في بلاد الرافدين ، بالإضافة الى هذا فإن المنطقة التي وجدت عليها الإمبراطورية الآشورية تَشتهر بالغابات مما سهلَ إستعمالالأخشاب في العقود والسقوف ، وكان الشكل العام للبناء من شمال العراق الى جنوبه يقوم على روابٍ إصطناعية واسعة يصل إرتفاعها الى 15 متراً ، وتتسع هذه الروابي لأبنية القصر المؤلف من ثلاثة أقسام ،القسم الخاص الذي يتضمن سكن الملك وإسرته ، القسم الرسمي وهو البناء المخصص للأعمال والإستقبالات الرسمية والإحتفالات ، وقسم آخر يتضمن مساكن للخدم والمطابخ واصطبلات[3].

وبالرغم من قلة الفيضانات التي كانت تحدثُ بين موسم وآخر، ويتأثر بها جنوب العراق ، فإن البناء يكون على المناطق الأكثر إرتفاعاً، حيثُ شيدت هذه المنشآت من

1- د . شمس الدين فارس ، د . سلمان عيسى الخطاط ، **تاريخ الفن القديم** . ط 1 بغداد 1980 ص. 37

2 - د. عفيف بهنسي، **مرجع سابق** ، ص.121

3 - انطوان مورتكاد ، مرجع سابق ، ص. 74

الطوب ، ومن خاصية الطين أنُ تبنى المنشآت فوق بعضها (لذلك يعتقد بأنهم شيدوا المدن الجديدة فوق المدن القديمة) ، مثال على ذلك معبد(أريـدو) حيـث إكتشـفَ المنقبون ان المعبد بني في نفس الموقع عدت مرات ، حتى بلغت المعابد الُمشيدة في ذلك الموقع ثمانيةَ عشرَ معبداً، الى أن جاءت الزقورة التي شيدها الملك أور- نمو في أريدو بكتلتها البنائية ، التي كانت فوقها جميعاً في العصر السومري[1] الحديث مما جعلَ سكان جنوب العراق يفكرون في إيجادُ سبل وطرق للحفاظ على المعابد والأبنية الأخرى وخاصةً المقدسةُ منها ، وقد وجدوا الحل في بنـاء معابـدهم علـى شـكل مصاطب مرتفعة بعض الشئ عن سطح الأرض ، وذلك منعاً لهذه المياه من التـأثير على بنائهم ، وأصبح عدد المصاطب يزداد حتى بلغت أواخر الألف الثالث ق.م ثلاث مصاطب وكان المعبد في أعلاها ، ومثل هذه المصاطب تسمى الزقورة التي بلغـت في زمن بابل سبع طبقات[2] .

نشاطات سكان العراق القدماء وتأثيرها على العمارة .

َسكنت أرض الرافدين شعوباً وأقوام وقبائل متباينة ، فكان السومريون في جنوب مابين النهرين ، والساميون الأكديون ، ثم الآموريين والكلدانيون في دلتا النهرين ، وفي آشور في الشمال كان الآشوريون ، ثم جاء بعدهم الميديين ، والإخمينيين ، والبارثيين في إيران والسوريون والآراميون في وادي العاصي ، والفينيقيون على ساحل البحر الأبيض المتوسط ،

كان لإختلاف هؤلاء الأقوام إنعكاساً على تنوع الحضارات وفنونها ، و حيث توزعت العلوم والفنون في هذه الأرجاء ، لكن الخصوصية و الجوهر الذي يستند عليه البناء الحضاري[3] أظهر هذا التباين والإختلاف ،

ولاتقوم الحضارة العراقية على الوحدة التي تتصف بالضرورات الجغرافية والسياسية فقط ، بل ترتبطُ في أمورٍ أخرى ، فالنظرة الدينية الموحدة والشاملة

1- د . فوزي رشيد ، **مرجع سابق** ، ص. 181

2 - د. أحمد سوسة ، **تاريخ حضارة وادي الرافدين . ج1**، بغداد 1983 ، ص 28.

3- انطوان مورتكاد ، **تاريخ الشرق الأدنى القديم** . تعريب د .توفيق سليمان ، دمشق .1950، ص. 16

للعراقيين نحو الكون كانت متجانسة ومترابطة ، بالرغم من الإختلافات الإقليمية ، يضاف الى هذا عامل اللغة الموحد لهذا الإتجاه ، وعلى من يريد أن يفهم فن العراقيين قديماً ، يجب أن يعرفَ شيئاً عن معتقداتهم وأفكارهم ودراسة المباني والمنجزات الفنية التي تم إكتشافها[1] .

وتنبثق وحدة التقاليد التي تجمع وحدة الأعمال الفنية من تلك التي تتصل بين مفهومي (الإله والملك) ، بينما تظهر الإختلافات في المهارات الفنية والأساليب السائدة ، وتأثيرات أخرى تتعلق في البيئة والمناخ والعادات الإجتماعية ، في حقبة دون أخرى من الأجناس التي تعاقبت على العراق.

ويبقى السومريون أصحاب القوة المركزية في مجال الإبداع في العراق كله ، لأنهم مصدراً للأعمال الفنية ومركز إشعاع حضاري إعتمده الأسلاف في بناء وتكوين حضاراتهم وبطبيعة الحال أصبح الفن البابلي والآشوري وريثاً للفن السومري والأكدي ، وبدورهما تطور الفن والعمارة في بلاد الرافدين من خلال تلك الإضافات التي أغنت الحضارة العراقية القديمة برموز واشكال جديدة ، وبمجموعهما تَكون فن الشرق الأدنى القديم .

وتشكلُ الفنون الأخرى مثل العيلامية والفينيقيية أهمية جانبية ، بـل وإمتـداداً لفـن الرافدين القديم وقد كاد هذا التاريخ الحافل أن ُيطمس بعد غزو الإسكندر المقـدوني للبلاد ، حيثُ بدلت الحياة بحياة أخرى بعيدة عن سومر وأكد وبابل ومايتبعها . [2]

ولو لاحظنا مقدار التطور الكبير بين حياة الإنسان في العصورالسـحيقة ، حيـثُ عاش في الكهوف يتشابة في عيشه مع الحيوانات المحيطة به ، يمتهن الصيد ويعيش على الأعشاب ويسكن الكهوف ، فإن التطور الكبير الذي أصـابه عنـدما إكتشـف الزراعة ، وأصبح يسكن في بيوت يبنيها لنفسه ، وصار يبحث عن عالمـه الخفـي بعدما كان يعيش عالمه المرئي ، وإذا هو ذو عقيدة ودين وغدا الإنسـان يعـيش و يمارس لونين من الفن لوناً دينياً ولوناً دنيوياً[3] ، وإنتقل بالفن من بساطة الخطـوط

---

1 - د . فوزي رشيد ، **مرجع سابق** . ص. 186

2- د. فاروق ناصر الراوي ، **حضارة العراق ج2** ، تدوين التاريخ ، بغداد ، 1975، ص . 282

3 د . ثروت عكاشة ، **مرجع سابق** ، ص .88

الى التعقيد الهندسي ، وقد دلت المكتشفات الأثرية على وجود القرى الأولـى التـي سكنها الإنسان ، و تمثل أولى التجمعات البشرية المنظمة وذلك في أواسـط الألـف السابعة(ق. م)، ثم إرتقى هذا الإنسان ليكون صاحب تلك الحضارة المتميزة بالإبداع ، بعد أهتدائه الى الكتابة بنحو ثلاثة آلاف سنة ق. م ، ليسجلَ أحداثه ويـنظم حياتـه ويكتب الملاحم والأساطير ويسطر القوانين[1]

في الجانب الطوبوغرافي أهتم العراقيون بالجبال والصحارى والمسطحات المائيـة والأنهار والبحار ، حيثُ وجدت بعض الرقم الطينيةُ مدون عليها مواقع وخرائط ، أو معالم معمارية مهمة ، أو في المشاهد المرسومة على (مسلة نـارام سـن) والنحـت البارز في القصر الآشوري ، وكذلك الخارطة الطوبوغرافية التي عثر عليهـا فـي مدينة نوزي

ُيشير هذا الى أهتمامهم بالحسابات الهندسية و بالحساب والتوفيق الزمني وفي نظـام القياسات ، وقد حاولوا رسم حدود كل بلد وتحديد مساحته ، من خـلال المعلومـات البسيطة المتوفرة عندهم، وقد َثبت في بعض النصوص المدونة إن الملـك الأكـدي سرجون كان قد دون أسماء البلدان والمدن التي فتحها إنطلاقاً من نهـر الفـرات[2] ، وكمثال على ذلك :

(95 ساعة مضاعفة مساحة بلاد عيلام ، 180 ساعة مضاعفة مساحة بلاد أكد)[3] ، وهذا الحساب أدى بالنتيجة الى حساب المساحات المبنية وقياساتها أي أبعاد البناء ، فكانت العمارة عندهم تعتمد القياسات الرياضية كأساس في علم الهندسة المعماريـة ، وقد ظهر في بعض المخطوطات تحديد للإتجاهات الأربعة في بعض الخرائط .

أما بخصوص تخطيط المدن فإن العراقيين منذ القدم أهتموا ببناء المدن منذ عصـور ماقبلَ التاريخ ومطلع فجره ، ودليلنا على ذلك عثور المنقبون على خرائط من العهـد

1- د. فاروق ناصر الراوي ، **مرجع سابق**، ص . 285 - 286

2- **نفس المرجع** ، ص . 287

3 - المقصود بالساعة البابلية التي كانت تساوي ضعف زمن الساعة الحالية ، وتقدر المسافة التي يستطيع الإنسان قطعها في الساعة البابلية حوالي فرسخين (= 10,8 كم) وبذلك تساوي مسافة 120 ساعة مضاعفة 1296 كم

البابلي تدل على مدينتي نفر وسبار ويظهر في الخارطة نهر الفرات وأسماء القنوات والجداول ، إضافة الى بعض المعالم الرئيسية مثـل معبـد أي – كـور **E. KUR** وبعض المعالم الأخرى كالسور ،

(شكل- 25) اما المدينة الثانية فُتمثل سبار ويظهر فيها سور المدينة الـذي مـازال قائما الى يومنا هذا ، والقنوات والأنهار التي عثر عليها في المدينة ،

وإن أور – نمو الملك السومري الذي أصدر أقدم مجموعة قوانين معروفة هو أيضاً بناء ، وقد ظهر في أحد الألواح حاملاً عصا المساحة ، فقدَ رمم الأسوار العالية وبنى معابد أور وأهتم بتشييد المدينة وجملها ، مجهزاً مينائين على مياه الفرات .

وكان شولجي المحـارب والمصـلح والدبلماسـي ، الـذي أحـب الآداب ووسـع إمبراطوريته وأدخل عليها التنظيم والحداثة ، وعند إكتمالها غنى الموسيقيون وأنشدوا الشعراء تمجيداً للملك المعظم وثناء على حكمته ومآثره الرياضية والمعمارية ،

ويبدو إن إهتمام البابليون بالبناء والتشييد جعلهم يشرعون بقـوانين تضـمن إدامتـه وحسن إخراجه حيث ورد في مسلة حمورابي :

(إذا عمرَ بناء بيتاً لأحد الناس ، ولمُ يدعم بناءه ، وإذا تهدم البيت الذي بناه ، وماتَ صاحبه . فسوفُ يقتل هذا البناء)[1]،

وبالنظر لسعة معرفة العراقيين القدماء بعلم الفلك ، فقد ذُكر أن اليونانيين كـانوا على إتصال بالمعارف البابلية حتى إنهم ذكروا في كتاباتهم أسماء بعـض الفلكيـين البابليين ،

وفي هذا المجال يستشهد بسترابون حينما قال[2] (كان اليونانيون يجهلـون إحتسـاب مدة السنة الحقيقية وأموراً أخرى مشابهة حتى إنتشرت لديهم ترجمات يونانيـة فـي الفلك البابلي ،فأخذ الفلكيون المعاصرون ينهلون معلوماتهم ومازالوا يسـتقون هـذه المعلومات حتى يومنا) ، لذلك فإن الكثير من علماء الرياضيات والفلكيين والفلاسـفة اليونانيين قد قصدوا العراق لينهلوا من ينابيع المعرفة ، كما إنتقلَ علم الرياضيات الى اليونان ، فنجد أن الكثير المبادئ والنظريات التي تُعزى الى فيثاغورس وأقليدس كان

1- المادة (229) قانون حمورابي . ترجمة أندريه فينيه ، منشورات دار cerf ، ص . 31

2- د . فوزي رشيد **، مرجع سابق ،** ص. 188

قد سبقهم اليها البابليون بألف عام ، ومثال على ذلك نظرية تطابق المثلثات المنسوبة الى فيثاغورس[1] ، حيثُ عثر عليها منقوشة على أحـد الألـواح الطينيـة بالكتابـة المسمارية (شكل – 26)

إن ماقام به علماء الأغريق ، هو إعادت إكتشافهم لهذه الأسس والنظريات ، بعد مضي فترة خمسةَ عشر قرناً من إختراعها ، وهكذا نجد إن كتابات العراقيين القدامى لم تكشف النقاب عن فكرهم وحسب [2]، بل وعن إنجازاتهم ومقومـاتهم الحضـارية أيضاً.

ولم يترك العراقيون القدماء جانباً من جوانب الحياة إلا وناقشوها مناقشة موضـوعية تتسم وطبيعة المرحلة الحضارية التي يعيشونها .

ومن المرجح إن وحدة القيمة التي تتخذ أساساً للتبادل وتمثل وحدة معينة وبوزن معين من الفضة ، وكان تقسيم الموازين والمكاييل مبنياً على أساس ستيني (أي أجزاء من العدد ستين ومضاعفاته)[3]

وفي عصور متأخرة عثر على قطع مدورة من النحاس مثقوبة لها أوزان معلومة ، ربما كانت هذه بداية التفكير في إستعمال النقود ، و يحتمل أنها كانت تسـود العـالم القديم في نفس الوقت تقريباً ، وكانت الطريقة التجارية للتبادل هي المقايضة أي تنقل ملكية سلعة من شخص الى آخر مقابل سلعة أخرى .

وغالباً ما كانت كفة السلع المتبادلة غير متكافئة فيلجأ صاحب الكفة الراجحة في هذه الحالة الى دفع مبلغ ما يعوض فرق السلعة .

وفي المجالات الإبداعية ، سعى أبناء الرافدين قديماً الى تـزيين الأوانـي التـي يستعملونها بأشكال زخرفية وألوان مختلفة ، حيثُ ظهر عليها لمسات التجميل ، وقـد أخذت هذه الأشكال الزخرفية في تجسيدها مساراً تجريداً أو رمزياً ، فهـي لاتظهـر شكل البشر أو الحيوانات أو الطيور ، لأنه كان يزخرف فحسب مكوناً زخارفه مـن وحدات خطية ، أحياناً هندسية [4]،

---

1 د بهيجة خليل إسماعيل ، **مرجع سابق** ، ص . 214

2 - د. فاروق ناصر الراوي ، **مرجع سابق** .ص . 285

3- د . محمد أبو المحاسن عصفور ، **معالم حضارات الشرق الأدنى القديم**، بيروت ،1981 ، ص. 239

4 - د . ثروت عكاشة ، **مرجع سابق** ، ص . 96

وكانت في بدايتها عشوائية ينقصها التنسيق ، لكن يوماً بعد يوم استكملت أشكالها على نحو مانراه في الأواني الفخارية التي وجدت في مدينة سامراء .

حيث تحولت الخطوط البسيطة الى أشكال هندسية كالمربع والمثلث ، ثم تحولت الى مجاميع معقدة ، وفي مرحلة أخرى تحولت الى أشكال وصور بشرية وأشكال نباتيـة وحيوانية ، وكانت محاولاته الأولى في رسم الأشكال الحيوانية ، فـي تحديـد هـذه الأشكال بخطوط سوداء .

مثال على ذلك صورة الوعول الأربعة التي تبدو وكأن كل يجري وراء الآخر حـول الشجرة ، أوصورة النساء الأربع التي تجمع دائرة محيطها مجموعة من العقـارب ، وقد مثلن في خطوط متعامدة أشبه بالصليب والريح تلعب في شعورهن فـي إتجـاه واحد .

إلا إننا نرى في أشكال سامراء وقد إستحالت من صور الكائنات الحية الـى أشـكال تجريدية بحته[1] (الشكل -27 أ) ، ومن خلال بعض الرسوم أسرفَ المصور فـي التبسيط والرمزية التي لانرى حداً لهذا التحول ، ولانعرف القصد من التجريد ، حيث تحولت الأشكال الى مثلثات أوعلى شكل صليب ، وربما أصبح الشكل مزدوجاً بـين الشكل البشري والحيواني ويظهر هذا الإختلاف في إستدارات الشـكل نفسـه وفـي وسطه ، حيث يكون على شكل مربعات شطرنجية تلون بالأسـود والأبـيض ، أمـا الحافة فقد رسمت بخط متعرج .

والمثال الآخر هو إناء أنتيما حاكم لكش ، وهو الإناء النذري الذي تم الكشف عنه في مدينة الوركاء والذي يعود تاريخه الى حوالي 3500 سنة ق. م ، ويعد من أجمل نماذج فن الزخرفة في بلاد سومر ، مصنوع من الفضة المنقوشة بكتابات مسمارية ، وأشكال زخرفية منفذة بطريقة متقنة (الشكل -27 ب) عثر عليه في تللـو [2]، ويظهر على هذا الإناء إفريزان مصوران يحيطان بكتفه والجزء الواسع منه ، وتحيط رقبة الإناء من الأعلى مجموعة من النقوش والكتابات المسمارية ، التي تؤلف شـكلاً زخرفياً يطوق الإناء من الأعلى ، الإفريز الأعلى يمثل ماشية مضطجعة يفصلها عن

1 - د . ثروت عكاشة ، **مرجع سابق** ، ص . 98

2- انطوان مورتكاد ، مرجع سابق ، ص .140

الإفريز الأسفل خط زخرفي بخطوط مائلة ، بينما يؤلف الإفريز الأسفل جماعة من نسور لها رؤوس إسود وماعز[1]، ويشبه شكل النسور وطريقة زخرفتها أشكال النسورالآشورية التي ظهرت في أغلب منحوتاتهم [2]

وتعد هذه الأفاريز من بين أفضل ما وجد من زخرفة على نفس الإناء ، حتى أن النّقاش قد عثر على وسيلة لإبراز صورة النسور برؤوس أسود وهي تحوم فوق حيوانين ، وكأنه يؤلف أفريزاً واحداً ، وهي دائرة تدور حول نفسها (في مطابقة مع السمة السومرية) ، ويرتكز الإناء على قاعدة من أربعة أرجل ، مازال الكأس محافظاً على شكله ، تبدو القاعدة متأثرة بعوامل الرطوبة التي رسمت عليها شقوق وظهرت عليها شروخ ، وهذه التحفة موجودة في متحف اللوفر بباريس[3]

ويبدو إنه عندما كان الإنسان العراقي القديم يرسم ، فلم يكن ذلك بهدف ديني فحسب ، بل هو نتيجة لخيال خصب ممتع ، وبتأثيرات طبيعية ودقة في الملاحظة وكانت الخطوط مليئة بالحركة ،وهذه القدرة في تحوير الخطوط دفعت الفنانين الى تحوير التصوير الطبيعي وأصبح تصويراً زخرفياً [4]زادت ، ولذلك فكلما زادت قدرت الإنتاج كبرت أهميته في نظر الناس .

ويظهر في رسم اللوحات وتشكيلها تعبيرعن الطريقة التي رسم فيها الإنسان في بلاد الرافدين حيثُ جاءت اللوحات على شكل أفاريز ، وهي تؤرخ لحوادث أو إنجازات عاشها الإنسان هناك ، أو أن لها علاقة بحياة الملك أو الآلهة ، وعادة ماتحمل الصبغة الطبيعية ، كمشاهد الزراعة وجمع الثمار، أو مشاهد من المعارك والإنتصارات التي تُمجد الملك ، ومشاهد لجمع الغنائم وأسر الأعداء ، يتقدمهم ويتبعهم الجنود والمحاربون ومشاهد للصيد ، أومن صفوف من البط والوز وهي تعوم الواحدة تلو الأخر(شكل- 28)

1- ظهرت في حضارة الرافدين استعارات وتحويرات في الأشكال ، تتجه نحو الرمزية والتجريد ، ويقصد بها من الناحية التعبيرية التقرب من الآلهة أو الملك، لتصورات خاصة تدخل في إطارالسحر والخوفوالخضوع للالهة

2 - د. فوزي رشيد ، مرجع سابق ، ص .176

3- إنطوان مورتكاد ، **مرجع سابق** ، ص. 141

4- عامر سليمان ، التراث اللغوي ، **حضارة العراق ج1**، دار الحرية للطباعة - بغداد 1985، ص. 264

هذه النزعة المختلفة عن الرسوم التي ظهرت على الأواني تعكس الهدف المطلوب من الرسم ومكان وجوده ، فتكون من البعد التزييني المجرد الـى البعـد التسـجيلي الواقعي[1] ،

وهناك تشابه كبير بين رسم الأفاريز عند سكان بلاد الرافـدين وبـين الرسـم عنـد الفراعنة على البردي ، مع الأختلاف في وضع الأشكال وفي حركتهم ، حيث أن هذا يخضع لتصورات وتقاليد نابعة من طريقة العبادة واسلوب تمثيل الأشخاص، وغالبـاً ما تتجه هذه الرسوم والأشكال عند سكان الرافدين نحو التجريد والرمزيـة وتكـون أحياناً خيالية، وقد جاءت الصور البشرية عادة وبصفة إجمالية على هيئة أشباح (خيالات). [2]

الحياة والموت

َتبين من خلال الملاحم والأساطير الخاصة بخلق الإنسان الـذي إشـتهرت بهـا حضارة الرافدين في جميع مراحلها ، بأن الآلهة قد قررت الموت منذ البدايـة علـى الإنسان ، وهذا أمر طبيعي نظراً لأن مصير الإنسان هو الفناء أو الموت ، ولم نرى أو نعرف بأن كائن حي كان قد إستطاع أن يفلت من الموت ، وهو أمـر إعتيـادي لايتعارض مع طبيعة الحياة [3]

وبالرغم من حقيقة الموت على الأرض ، والتي شهدها الإنسان عبر مراحل حياته ، إلا أن الموت لم ينهي الحياة على سطح الأرض ، بل بقيـت الحيـاة وتوارثـت الأجيال دورتها وتطورها ، لكن الإنسان القديم كان يحاولُ أن يفسر هـذه الظـاهرة بوسائل عديدة وكثيرة ، وقد دفعته بالإعتقاد بأن الموت هو إختفاء مؤقت عن الحيـاة وسيعود الإنسان الى حياة ثانية بعد ذلك .

وهذا الإيمان أدى بسكان الشعوب القديمة ، وخاصة سكان الرافدين بالإعتقاد بوجود علاقة جدلية بين الموت والحياة ،

---

1 - د. ثروت عكاشة ، **مرجع سابق** . ص . 97

2 - Silhouette - الخيال أوالشبح هو الصورة المشكلة في رسم الخط الخارجي للجسد وتحديده ، ويظهر فيها المنظر بلون قطعي أشبه بالظل أو النور واللون / أنظر د. ثروت عكاشة ، مرجع سابق، ص. 97

3- د . فوزي رشيد **، مرجع سابق ،** ص. 189

والقصد من هذا الإعتقاد بأن لاحياة من دون موت ، وليس هناك موت دون حيـاة ، وقد رمز الأقدمون لهذه العلاقة باللون الأحمر ، أي الحـب أو إسـتمرارية الحيـاة وللدلالة على الخطر وهو الموت ، وعن هذا الموضوع فقـد نقلـت لنـا الكتابـات المسمارية صوراً مختلفة ولكنها جميعاً تقع في إطار واحد [1].

وتدل الحفريات التي حدثت في المنطقة الجنوبية من العراق بوجود مخلفات أثرية التي كانت توضع مع الميت في قبره ، وأحياناً دفن الناس المقربون من الميت وهـم أحياء ، وقد دلت على ذلك وضعية الجلوس التي يوجدون عليها وهـم فـي القبـر، لإعتقادهم بأن الميت يستأنس بهم عند رجوعه الى الحياة مرةً أخرى ، وقد تأكد ذلـك عند أكتشاف قبور الأطفال في موقع تل الصوان القريب من سامراء ، حيث إحتوت تلك القبور على دمية تمثل الأم ودمية تمثل الأب ، لأن الطفل لايحتاج عند عودته الى الحياة سوى لأمه بالدرجة الأولى ، والأب بالدرجة الثانية .

وفي الحقيقة إنه لايمكن الإستمرار بهذا الإعتقاد ، حيث إنه من الناحية العملية غير ممكن ، أن يعود الميت الى الحياة بعد فناء الجسد ، بل الذي يعود منه هي الروح ، حيث أن عملية الموت في نظر سكان الرافدين هي عملية إنفصال الروح عن الجسد ، ولكن للروح ملامح لاتختلف عن ملامح المتوفي قبل وفاته[2] ، وإن روح الإنسان بعد مماته تسمى عند السومريين (كديم) وأكدياً (ايطيمو)[3] وهي التي تحملُ حسـنات الميت وسيآته ، ومنها تلك التي لاتدفن وتترك في العراء نتيجة لمعركة تتعلق بحيـاة الناس دفاعاً عنهم ، ومثل هذه الأرواح تحفظ في العالم السفلي الذي يمثلُ فـي نظـر سكان العراق القدماء الطبقات السفلية من الأرض ، ومنها المياه الجوفية والوصـول اليه يكون عن طريق القبر أو أية حفرة أخرى ، أو من خـلال المـدخل الرئيسـي الموجود في مدينة الوركاء ، ويحيط به سبعة أسوار وبنهر يحـيط بالسـور وأسـمه (خوبور) وكان لايسمح للموتى بالعبور من هذا النهر إلا بعد إنجاز الشعائر الجنائزية

1- د. فوزي رشيد ، ، **مرجع سابق** ص. 177- 178

2- د. فاضل عبد الواحد ، د. عامر سليمان، **مرجع سابق** ، ص . 25

3- مجلة سومر- المجلد الثاني والثلاثون ، بغداد 1976، ص . 26

كل هذا من أجل إضفاء صبغة من التقديس على هذه الروح ، وهذا السبب الـذي دعى سكان العراق القدماء وخاصة القسم الجنوبي منه ،[1] لأن يجعلوا مـن بـاطن الأرض مقراً لعالمهم السفلي ،

وربما يعود هذا الى الحرارة والرطوبة النسبية الموجودة في الجنوب صيفاً ، لـذلك فإن حياة المناطق المبنية في جوف الأرض (كالسراديب) مثلاً هي أفضل المنـاطق التي يقضي فيها الناس أوقاتهم بعيداً عن الحرارة وعن الرطوبـة (ومازالـت هـذه الطريقة في العيش سائدة في بعض المناطق من الجنوب الغربي للعراق).

وهكذا إعتقد سكان العراق القدماء بأن حياة الإنسان مهما تكن قصيرة أو طويلة فهـي ما قررت له الآلهة ، وقد إرتبط هذا بالممارسات السحرية والتعاويذ خصوصاً عنـد مرض الإنسان[2] .

والحقيقة إننا مهما جمعنا من مصادر فهي لاتعطينا الصورة الواضحة كالصورة التي يمكن إستخلاصها من دراسة الملاحم والأساطير، وكثير من هذه الملاحم تؤكـد على أن الإنسان مخلوق من الطين المجفف المفخور، وإن دل هذا على شئ فإنما يدل على السهولة التي يفقد فيها الإنسان حياته، وخاصة عند إنتشار الأوبئة والأمـراض أوطغيان المياه مضافاً اليها مجموع الأسباب الأخرى التي تؤدي الى فقدان الإنسـان حياته[3].

وقد جاء في وصف موت الملـك أورنمـو (2113 – 2096) ق. م ، وهـو مؤسس سلالة أور الثالثة ، وكانت شخصيته ترتقي الى صفة الآلهة ، ولها تأثير واسع في الحكم والمجتمع حيث جاء فيه:(أورنمو قد سقط على الأرض مثل إناء محطم)[4]

وبالنسبة للصورة التي ينظرون بها لحياة الإنسان ونهايته الأبدية ، جعلهم يتطلعـون الى وسيلة تمنحه الخلود ، وقد كتبوا العديد من الملاحم والأساطير، التي حاول فيهـا إنسان وادي الرافدين أن يبحث عن الخلود ، ليمنع عن نفسه الموت ، وكـان أبطـال هذه الملاحم ثلاثة أصناف .

1- د. فاضل عبد الواحد ، د. عامر سليمان، **مرجع سابق** ، ص27 .

2 - د فوزي رشيد ، **مرجع سابق**، ص . 177

3- رسالة ماجستير للسيد حنون عليوي ، **عقائد مابعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين** ، بغداد ،1975

4- د. فاروق ناصر الراوي ، جوانب من الحياة اليومية . **حضارة العراق . ج 2،** بغداد 1985، ص. 370

الصنف الأول : هو المرأة الشابة الجميلة ، ومن مجمل الأحداث يظهر أن الآلهـة آنانا سيدة السماء والخصب والجمال أقلقها موت الإنسان، فقررت أن تمنحه الخلود ، وفي الفصل الأخير من الأسطورة يتوضح فشل الآلهة في محاولاتها فـي السـيطرة على العالم السفلي، إيماناً منها بأن الموت حق على البشر ومن دونه لاحياة له[1].

والصنف الثاني : هو الرجل الناضج الحكيم الذي يحصل بحكمته التي يمتلكهـا هـذا الرجل على الخلود ، وقد ذكر هذا في ملحمة (آدبا).

أما الصنف الثالث: فهو الشاب القوي في ملحمة كلكامش،وهو البطل القادر على صنع الخلود الذي تمناه للبشرية جميعاً كما تضمنته الملحمة والتي أكدت على حالتين :

الأولى وهي أن الخلود ممكن ولكن في حالة تقديم الأعمال الخارقة لخلود(أوتنابشتم) الذي أنقذَ البشرية من الإنقراض عند حدوث الطوفان[2] .

والحالة الثانية : هي الخلود المعنوي الذي يتم بتقديم الأعمال المفيدة للإنسان بالنسـبة للأشخاص العاديين ،عندما يضحي واحد من أجل الوطن ، وهذا دليل على أن الإنسان الذي يقدم خدمات وتضحيات من أجل شعبه ووطنه ولو كان إنساناً عادياً خالياً مـن الثقافة أو الصنعة قد يستطيع أن ُيخلفَ ذكرا حميداً عندما يستشهد ،وأن أنكيدو صديق كلكامش يحملُ في شخصيته [3] نفس الصفات المذكورة ،والنتيجة التي ذكرهـا لنـا كلكامش من خلال إسطورته، بعد أن تحدى الكثير من المصاعب والمخاطر لمحاولته الحصول على هذا الخلود ، عندما خاطب صديقه أنكيدو بأن للحياة نقيض هو الموت ، وهو نتيجة حتمية لدورة الإنسان في الحياة بعد رحلته الطويلة المليئـة بالمخـاطر، وحصل من خلالها "حسب إسطورته" على النبات الذي وصفته الملحمة بانه (يعـود الشيخ الى صباه كالشباب) ،وكان كلكامش فرحاً لكي يعطي أهل مدينة الوركاء ليأكلوا منه ، لكن الأفعى تسللت بعد أن شمت رائحة النبات، فإختطفته وبذلك ضاعت فرصة كلكامش في الحصول على الخلود ،(شكل 29) وهنا نروي نصيحة صاحبة الحانـة التي جاءت بها الإسطورة :

1- د . فوزي رشيد ، **مرجع سابق** ، ص. 181- 182

2- د. فاضل عبد الواحد ، العرافة والسحر، **حضارة العراق ج1**، بغداد 1985، ص . 203

3- د فوزي رشيد ، **مرجع سابق**، ص . 178

الى أين تسعى ياكلكامش

إن الحياة التي تبغي لن تجد

حينما خلقت الآلهة العظام البشر

قدرت الموت على البشرية

وإستأثرة بالحياة[1].

ترك هذا الشكل من الإعتقاد بالحياة الأخرى ، وأن الإنسان ماهو الا مـادة فانيـة تاثيراً واضحاً على شكل العمارة المدفنية عند سكان الرافدين قـديماً، وكـان تـأثيره واضحا على العمارة المعبدية ، فعقيدة أهل العراق قديماً لاتتشابة مع عقيدة الفراعنـة في مصر القديمة ،لا من حيث الجوهر أومن حيث التطبيق ، فالعمارة المدفنية عنـد الفراعنة تحملُ أهميةً كبيرة وتأخذُ طابع الديمومة نظراً لعقيدة البعث بعد الموت التي كانوا يعتقدون بها. [2]

الإنسان وطبيعة الرافدين

لقد سعى الإنسان منذُ وجوده على الأرض عن طريق الحركة والعمل ، أن يعرف بواسطة التعبيرعن قدرته على التفكير عبر حواسه وردود فعل غرائزه ، لإسـتنباط تصورات بسيطة وأولية تطورت عبر تكرارها ، وما يحدث فيها من إختلاف وتشابه وإتفاق وتناقض إلى أفكار ومعرفة ورؤية وأحكام ، وذلك عن طريق الخبرة لمعرفـة العلاقة والتأثير المتبادل الذي يحدث بين الإنسان وبيئته بما فيها من ظواهر طبيعيـة وكائنات حية،

حاول الإنسان التَكيف دائماً مع الطبيعة ، وسعى لإستثمار ما تقدم إليه البيئـة التـي يعيش فيها لخدمته وتلبية حاجاته[3]، وماتفرضه عليه البيئة الطبيعية مـن تضـاريس ومناخ ، يرسم طبيعة الطراز الذي يكون خصوصيته المتميزة عبر تفاعلـه معهـا،

1- د. فاضل عبد الواحد ، **مرجع سابق** ، ص . 204

2- د. وليد الجادر، العمارة حتى عصر فجر السلالات ،**حضارة العراق** ج1، دار الحرية للطباعة ، بغداد 1985 ، ص . 80

3- د. فاروق ناصر الراوي ، **مرجع سابق** ، ص . 372

ويتمثل هذا التكيف كأن يتعرف على نوعية الأرض ، من خلال التجربة المتكـررة ، والملاحظة التي تكسبه الخبرة ، وهذا يساهم في تكوين وبناء خصوصيته [1]، وهـذا هو الشرط المهم في البناء الحضاري ، فكان للبيئة والإنسان فـي حضـارة العـراق القديمة عاملان أساسيان في وجود حضارة مزدهرة مثل حضارة الرافدين،

وقد أمدت البيئة في بلاد الرافدين الإنسان ببعض المواد الأولية ، التي أستخدمت فـي البناء وفي صناعة الفخار، وأولها الطمى أو الطين الذي أستخدم في صناعة الأوانـي أول الأمر وكانت ُتزين بالنقوش وتحفظ في المعابد ، أوعثر عليها في المقابر ، ودخل إستعماله في البناء نظراً لعدم وجود الأحجار ولصعوبة الحصول عليها ، واسـتخدم الطين في عمل لوحات الكتابة حيثُ كان يكتب عليها بواسطة القصبة قبل أن تجف ، وغالباً ماكانوا يقومون بحرقها بعد تجفيفها لكي تصبح قوية وتتحول الى فخار[2] ، ولأن الأحجار أوالخامات الصلبة كانت معدومة أوقليلة ً، لجأ سـكان الرافـدين الـى إستعمال الخزف في كثير من الأحيان ، حيث إنهم إستعملوا الطوب الخزفي في تكسية الجدران في بعض المباني العامة وتزيينها .

جسد الإنسان في عصور ماقبل التاريخ الظواهر الطبيعية بهيئة اله ، وكان هـذا الإله على غرار البشر إما أن يكون مذكراً ، وإما أن يكون مؤنثاً، وكان منطقيـاً أن يعزو كل مظاهر الخصب والتكاثر في الطبيعة بين الإنسان أو الحيوان الى الآلهة الأم ، التي تَمثلها الرافديون بإمرأة حبلى ذات ثديين كبيرين وردفين ضخمين ، أو بإمرأة تمسك في يديها ينبوعان من المياه توحي بهما لدجلة والفرات[3]كرمزٍ للخير والعطاء ،وهي الصفات التي تجسدت في العصور التاريخية للآلهة أنانا (عشتار) آلهة الخصب والجنس،[4]

1- د. سامي سعيد الأحمد ، الزراعة والري ، **حضارة العراق . ج1**، دار الحرية للطباعة . بغداد ، ص . 161

2- د. فاضل عبد الواحد ، **مرجع سابق** ، ص . 224

3 ـ د. احمد سوسة ، **فيضانات بغداد في التاريخ** ج1 ، بغداد ، 1963 ص. 132

4- د. وليد الجادر، العمارة حتى عصر فجر السلالات ،**حضارة العراق** ج1، دار الحرية للطباعة ، بغداد 1985 ، ص . 80

ويحدث عكس ذلك عندما يغزو الجفاف وتصفر الأوراق والأعشاب ، وتكون ندرة في المياه والأمطار وقلة في حليب الماشية لإنعدام الزرع والكلأ ،

تُجسد هذا بإسطورة موت الآلهة في العالم السفلي لمدة معينة مـن السـنة ، والحـزن الجماعي لموت الإله دموزي (تموز) .

وكان الفيضان الذي يهدد حياة الإنسان ومزروعاته هو فعل مـن غضـب الآلهـة ، ويعكس إنحسار الفيضان نتيجة لإندحار قوى شريرة سيطرت على الآلهة.

وماتجسد في العصور التاريخية من إسطورة الخليقة البابلية الذي تحكي ذلك الصراع وكيف إنتهى بخلق الكون ثم الإنسان [1]

غير أن مثل هذه التغييرات في الظواهر الطبيعية التي تنعكس على البيئة والإنسان لم تبطل من إيمان الإنسان القديم بالسحر وإعتقاده انه بالإمكان السـيطرة علـى هـذه الظواهر من خلال الطقوس[2]

إذا كان الخصب يعزى الى القوى الخلاقة التي تتجسد في الآلهة أنانـا (عشـتار) وتموز فباستطاعة الإنسان أن يستحضر أسباب الخصب في مجتمعـه مـن خـلال محاكات زواج الهي ، مما أدى الى ظهور إحتفالات سنوية تسمى بالزواج المقدس ، أو في موتها وبعثها في الطقوس الخاصة بموت وبعث تموز ، أو الصراع بين قـوى الخير وقوى الشر، وان الأبطال الذين صنعوا تاريخـه وسلسـلة أحداثـه وتحكمـوا بمقدرات الطبيعة هم الآلهة. [3].

يعرف عن التربة في العراق خصوبتها وصلاحيتها للزراعة ، وخصوصـاً فـي الجزء الجنوبي منه والذي يسمى بالسهل الرسوبي ، هذا السهل المتكون من طبقـات طينية نتيجة لفيضانات نهري دجلة والفرات التي تترك ترسبات غرينية ،وتتكون هذه الطبقات كل سنة أثناء موسم الفيضانات وتكون هـذه الطبقـات صـالحة للزراعـة

---

1 - د. احمد سوسة، **مرجع سابق ،** ص. 133

2 - د. نزار الحديثي ، **مرجع سابق ،** ص .25

3 – د.فاضل عبد الواحد، الأعياد والإحتفالات، **حضارة العراق** .ج 1، دار الحرية للطباعة. بغداد 1985، ص.209

أولصناعة الأواني والأدوات المنزلية الفخارية ، وكذلك في صـناعة اللّـبن المـادة الأساسية في البناء في القسم الجنوبي ،

وكان هذا سبباً دفع الكتاب الإغريق والرومان أن يطلقوا عليه إسـم (الـدرادو) أي بلاد الذهب والخير والزراعة ، بينما سماها المؤرخون العرب بأرض السواد نتيجـة للون التربة الداكن وكثرة زراعتها وخضرتها ، وهي تحتوي على كمياة كبيرة مـن الأملاح التي تفقدها خصوبتها وتحيلها الى أرض خراب ، لكن الفيضانات والأمطـار تشكلُ عامل حاسم في التقليل من نسبة الملوحة ، وقد أشارت النصوص المسـمارية الى هذه الكارثة التي تهدد المزارعين ، حتى إنهم كتبوا الأدعية والصلوات الى الآلهة لحفظ أراضيهم من الأملاح ، ونسبوا زيادة الأملاح في التربة الى الإله أنليـل الـذي غضب على الإنسان فوضع الأملاح في الأرض[1]

وليس من المستبعد أن يكون الإنتقال التدريجي لمراكز الحضـارة مـن أقصـى الجنوب الى الشمال تدريجياً هو زيادة الأملاح في التربة ، وقد واجه الإنسـان هـذه المعضلة التي أثرت في الزراعة وفي العمارة ، حيثُ أن نسبة الأملاح العالية التـي تدفعها المياه الجوفية تؤثر على الجدران فتكون أجزاء تساهم في تفتيتهـا وتآكلهـا ، وتكون على شكل إنتفاخات تحدث في الجدار وتكون قليلة التأثير بالنسبة الى الجدران المشيدة من اللبن المجفف أو المشوي ، حيث أنه من خاصيات الطين طرحه للأملاح نحو الخارج [2].

1- يستخدم العراقيون في الوقت الحاضر نوع من الآجر الأبيض المصنوع في أفران عالية الحرارة ، ويستخرج من تربة مالحة لكي يقاوم درجات الأملاح العالية ،علماً أن إستعمال مادة الإسمنت قليلة وخصوصا في تمليس الجدران نظراً لقابلية هذه المادة للتفاعل مع الأملاح في إعطاء نتائج عكسية ، ولهذا يترك شكل الآجر بدون تغطية من الخارج ، ويتشابه مظهره كثيرا مع طريقة ترتيب الآجرفي باب عشتار ببابل /أنظر نفس المرجع والصفحة .

2- إنطوان مورتكاد **، مرجع سابق** ، ص . 24

المنشآت المعمارية

يذكر إنطوان مورتكاد في كتابه (الفن في العراق القديم) :

(إن من يود الإلمام بجوهر العمارة والفن في بلاد مابين النهرين ووحدتهما ، ينبغـي له أن يحاول إستيعاب فكرة الإله التي كانت مقبولة آنذاك وما يرتبط من مفاهيم عـن الملكية بصورة مباشرة ، وذلك بدراسة الأبنية والأعمال الفنيـة المكتشـفة فالوحـدة التقليدية التي تجمع بين الأعمال الفنية هذه ، متأتية من الرابطة العضوية لمفاهيم الإله الملك)[1]

أولاً: **العمارة السومرية**

تتكون العمارة السومرية من قصور ومنشآت سـكنية ومبـاني دينيـة تمثلهـا الزقورات ، وهي المنجزات الرئيسية لهذه الفترة ، وفضلاً عن ذلك اهتم السومريون ببناء الأسوار التي تفصلُ بين المعابد أو القصور و بيوت السكان ، أو الأسوار التي تحيط بالمدن نفسها، وتكون حصون دفاعية لها[2].

وتعتمد العمارة السومرية كما هو معروف على مادة الطين، التـي تشـكل المصـدر الأساسي للبناء، وصنع الأواني الفخارية والألواح والرقم الطينية ، وهي تنسجم مـع طبيعة الإنسان الذي عاش في الجزء الجنوبي من بلاد الرافدين ، وتميزه وفرة المياة ، المتمثلة بالأنهاروالجداول البحيرات الصغيرة والمستنقعات المائيـة ، التـي زودت السكان بالطين[3] والقصب والبردي ، ويتميز الطين بأنه وسيلة من وسـائل التعبيـر الفنية ، وكان يستخدم بمقاييس معينة ، حيث تجعل الجدران ثابتة ومستقيمة وعالية ، ومن الممكن معالجة مراكز الثقل بدقة ، وقد قام السومريون بإستعمال الملاط الطيني

1- إنطوان مورتكاد ، **مرجع سابق** ، ص . 25
2- د. وليد الجادر، **مرجع سابق** ، ص. 81
3 - د. نزار الحديثي ، **مرجع سابق** ، ص .26

السميك الذي أستعمل لجميع الجدران وحمايتها من الإنهيار ، ويساهم في إخفاء اللبن بطبقة من الملاط ، وأستعمل الملاط مع اللبن المشوي في فن بناء القباب والأقواس[1]

دفعت هذه الطبيعة السكان الى إمتهان حرفة صيد الطيور والأسماك ، وكل هـذه النشاطات ساهمت في إبراز الروح الإبداعية والجمالية للسكان ،

ومن الصفات الجمالية التي كانت تتميز بها العمارة السومرية إستعمال القوس بمثابـة طريقة تكوينية للتغلب على مراكز الثقل ، وهي تعبر بصـيغة فنيـة عـن الناحيـة المعمارية في البناء أي تداخل ضغوط الثقل والدفع والتغلب على مراكز الثقـل عـن طريق العناصر التركيبية للبناء ، وكان هذا كنتيجة طبيعية لعدم توفر الغابـات التـي تزودهم بالأخشاب في المنطقة الجنوبية ولصعوبة نقلها من مسافات بعيدة ،

ومن جهة أخرى فإن العمارة السومريةَ عبرت عن نفسـها فـي ترتيـب المخطـط الأرضي وفي زخرفة وجوه الجدران وكان الإطار الحقيقي لأبنيتها مغطى بغـلاف ، وهذه الطريقة تشبه طريقة النحت في الشرق الأدنى القديم[2] .

1- الموطن المقدس للآلهة آنا (سيدة السماء)

كان هذا هو أول الإكتشافات الأثرية لمدينة أوروك (الوركاء حديثا) ، وهو موطن سيدة السماء السومرية ، وظهرت في تخطيطها الأرضي على شكل مجاميع معقدة من أبنية ماتزال حتى اليوم تدل على مشاهد معمارية فخمة نتيجة لعمق وضخامة أساسات البناء .

إن أهم مايميز الأبنية أو العمارة السومرية ومنها الموطن المقدس للآلهة آنا[3] ، هو إعتمادها على مادة الطين واللّبن المصنوع منه كمادة أساسية في البنـاء ، و يسـاهم

1- د. وليد الجادر ، **مرجع سابق** ، ص. 82

2- انطوان مورتكاد ، **مرجع سابق** ، ص. 29 - 30

3- **مجلة سومر**، المجلد الثاني والثلاثون ، بغداد . 1976

الطين في تكوين طبقات طلائية تضاف على الجدران وعلى مدار السـنين لتقويتهـا وتجديدها بسبب تآكلها نظراً لطبيعة المناخ وحرارته الشديدة صيفاً [1] ،
ومن صفات اللّبن إنه يعكس الحرارة ولا يمتصها ، فيتكون محيط معتدل داخل البناء أثناء فترات الحرارة الشديدة ، ثم إن تأثير الفيضانات الموسمية قليلاً على مادة اللبن ، ومازال سكان الأرياف الذين يسكنون بالقرب من المناطق الأثرية يلجأون الى نفـس الطرق في البناء باللّبن ، ربما كانت هذة طريقة سكان الريف في جنوب العراق فـي البناء (شكل -30) [2].وهذه المادة تنسجم مع نفسية إنسان الشـرق الـذي يعكسـه التصاقه بالأرض، هذا الإنسان الذي لايوجد في نظره شئ ثابت ، بل على النقيض من ذلك يبدو كل شئ وكأنه يدور في حلقة ثابتة من (التطور والإنحلال) .
ساهمت الطبيعة القاسية في تدميرالأبنية التي شكلت منطقة الموطن المقدس وأحالتهـا الى خرائب وعادت المادة الأساسية وهي الطين الى أصلها في الأٍرض، ولـم يبقـى منها سوى الأساسات الأرضية ، وبعض المشاهد التي تشـكل تـلال مـن الطـين المفخور[3]

2- معبد الحجر الكلسي

يعتبر هذا المعبد من أكبر أبنية المرحلة الأولى ، ويحملُ مظاهر التطـور فـي عمارة بلاد الرافدين ، على أساس مخططه الأرضي حيثُ بنيت جدرانه أساساً مـن الحجر الكلسي ، الذي كان يزين الواجهة الأمامية[4]. ،(ولاندري إن كانـت الأقسـام السفلى من جدران المعبد الكلسي وحدها مبنية من الحجر أم جدران المعبد بكاملها) ويبدو أن هذه محاولة من السومريين لتجنب البناء بمادة قابلة للتلف ، ولكن سـرعان مافشلت ليس لعدم توفر الحجر، وانما لم يكن بالإمكان الحصول على الخشب أيضاً ،

1- انطوان مورتكاد ، **مرجع سابق** ، ص. 28

2- د. وليد الجادر، **مرجع سابق** ، ص. 81

3 – د. فاضل عبد الواحد، **مرجع سابق** ، ص.210

4- جورج كونتنيو ، **مرجع سابق** ،ص . 428

ولصعوبة تفاعل مادة الحجر مع طبيعة تكوين التربة التي تحتوي على كمية من المياه الجوفية والأملاح .

يعتبر معبد آنا في الوركاء الذي كان على شكل حرف T اللاتيني أي طول الفناء 62 م وعرضه 11'5. (شكل – 31 . أ) من أكبر بنايات الفترة الأولى [1].

ويبدو مخطط حرم آنا في الوركاء على شكل مجاميع مـن الأبنيـة ذات التخطـيط المتوازي متجهة من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي ، وتتكون من أربعةَ عشـر بناء وسور ، ويظهر البناء المعقد والمتداخل في الجزء التاسع والعاشر منه ويحتـوي على أساسات عريضة ، مما يدل على سعة وعلو البناء المشيد ، ويكون البناء علـى هيئة غرف وقاعات تتوسطها فناآت داخلية ، وربما كانت الأجزاء الأخرى من البناء هي أسوار وملحقات إستراحة نظراً لسعتها ، ولكن ليس هذا المعبد الوحيـد فهنـاك بنايات أخرى ُجربت فيها مواد بنائية أخرى ، لأن البناء بالطين والقصب والخشب قد شاع استعماله في بلاد الرافدين لقرون عديدة ، وخصوصاً عند السومريين نظراً لغنى المنطقة بهذه المواد الطبيعية ، وهذا بدوره أشاع طريقة جديدة في البناء فـ(الحصر) التي حاولوا بها حماية الجدران الطينية ، ربما تكون قد استعملت على نطاق واسـع لأول مرة و تحول هذا الى الطريقة جديدة [2]، وقد لاتكون هناك علاقة مباشرة بين تطورالعمارة السومرية والصفة الحقيقية للبناء باللبن .

عرفت العمارة السومرية الدعامة أول الأمر، وبعدها ُعرف القـوس لـدى البنـائين السومريين ، و يعد إكتشافاً مهماً ُيسجل في تطور العمارة السومرية ، لكن العمـارة السومريةَ عبرت عن نفسها بتغطية الجدران بغلاف ، وهي بهذا تشبه فن النحت فـي الشرق الأدنى ، ومن خصائص البناء السومري الُمتمثل في التركيـز علـى البنـاء

1- فاضل عبد الواحد ، **مرجع سابق** ، ص. 212

2- مازال التأثير السومري واضحاً على عادات سكان المنطقة الجنوبية ، وهم سكان الأهوار اللاذين يستعملون الى حدود إيران ، متاثرة بالكلمات السومرية ، وكان إختيار هذه اللبيئة مسكناً لهؤلاء القوم ، لسخائها بالقصب والبردي الطين والقصب في بنائهم ويطلق عليهم أسم(السيامر) وتسمى الزوارق التي يستعملونها (السميريات) ويعتقد إنها جاءت من مصدر سومر ، ومازالت لغة الأقوام التي سكنت هذا المنخفظ الذي شكلتاه سلاسل الجبال من شمال العراق الى حدود إيران ، متاثرة بالكلمات السومرية ، وكان إختيار هذه اللبيئة مسكناً لهؤلاء القوم ، لسخائها بالقصب والبردي

الحجري أو إستعمال الأعمدة لتفادي ثقل البناء ، وكثيراً ماتكون الأعمـدة ضخمة ، وقطر دائرتها في الأساس يتراوح مابين مترين الى ثلاثة أمتار[1] ،

إن التزيين الخارجي للأعمدة والإعتماد على العناصر التركيبية للبناء يشكلان عنصراً مهماً من عناصر التكوين الجمالي لفن العمارة ، فضلاً عن إعتماد السومريين على تشييد البناء فوق مرتفعات ترابية درءاً وتجنباً للفيضانات الموسمية . هذه الصفات الجمالية في العمارة السومرية شكلت إستثناء وتفرد، ربما أصبح قاعدة عامة في البناء على أرض الرافدين ، أخذت بها الأجيال اللاحقة ، لأنها إعتمدت على الخامات المحلية أو في شكل الإبداع الذي أخذَ من بيئة ومناخ أرض الرافدين[2] ،

الزيقورة كرمز للعمارة الرافدية [3]

الزقورة أو المعبد المخصص لإله المدينة ، يكون مخططها الأرضي مربعاً في الغالب ، يبلغ إرتفاعها عشرين الى ثلاثين متراً تقريباً ويكون لها جدران خارجية منحدرة أومتدرجة ، وقد إختلف شكل المعبد هذا عن المعابد المعروفة والمشيدة على أرض مستوية وواسعة ، وتعتبر الزيقورة معبداً تصاعدياً ينتهي في الأعلى بالمكان المخصص للآلهة وتقديم النذور،

ويبدوهذا المعبد كمؤسسة دينية منذ الألف الخامس قبل الميلاد ، وهي فكرة مبتكرة لم تكن موجودة قبل ذلك، وكان القسم الشمالي أسبق في بناء المعابد لمعبوداته من القسم الجنوبي

1- ليو أوبنهايم ، **مرجع سابق**، ص . 312

2- فاضل عبد الواحد ، **مرجع سابق** ، ص. 213

3- الزقورة ziggura ، برج معبد مدرج كانُ يشيد في طبقات مستطيلة تتناقص في المساحة نحو القمة وكان عليها مزارصغير أحيانا ،والوركاء مدينة سومرية مهمة على مجرى نهر الفرات القديم ليس بعيداعن شمالي شرقي أور بعد اكتشاف معابد وأعمال فنية واقدم الكتابات المعروفة فإن العصرقبل عصر فجر السلالات يعرف بعصر أوروك وتسمى اليوم بالوركاء.أنظر/ نيكولاس بوستغيت،مسرد عربي– انجليزي،بغداد 1991،ص . 134

معنى ذلك أن هذا الأخير لم تنتشر بين سكانه الأفكار الدينية ، إنما الفارق بينهمـا هو عامل الزمن فقط ، وكما كانت معبودات السكان متعددة فقد كانت معابدهم كذلك وتطورت المعابد من البساطة إلى التعقيد وفقاً لتطور المجتمع في إمتداده التـاريخي والإقتصادي[1] والإجتماعي وقد كان القسم الجنوبي من البلاد يتعرض أكثـر مـن غيره للفيضانات وصعود المياه الجوفية مما جعل الناس يفكرون في سـبل حمايـة مساكنهم ،وبصفة خاصة معابدهم فإستحدثوا المنصات للصعود بغرفة المعبود إلـى الأعلى فلا تتأثر بالمياه فيتهدم المعبد [2]،

إن وجود مصطبة واحدة كقاعدة للمعبد كافٍ لحمايته من الفيضانات وصعود المياه ، لكن يبدو أن فكرة الصعود بالمعبد كانت لها أغـراض أخـرى كـالتقويم القمـري المرتبط برؤية القمر والهلال ولصلته بالوقت وسيرورة الزمن، هذا من جهة ومـن جهة أخرى فقد كان المعبدُ يشيد على تلة أو هضبة ،

ظهرت الزيقورات في بلاد الرافدين على ثلاثة أشكال ، فكانـت فـي سـومر مستطيلة الشكل وتتركب من ثلاث طبقات متدرجة الأحجام على شكل هرم ، وتتميز بالأدراج الأمامية التي تصل بين الطبقات ، وتحيط بها أسـوار خارجيـة ضـخمة تفصل بينها وبين القصور والبيوت ، وعادةً ماُتشيد فوق أرضٍ مرتفعـة ، ومثـل هذه الزيقورات موجودة في (أور) و(أوروك) (شكل-31 ب).

أما الزقورة الكلدانية فكانت مؤلفة من سبع طبقات ، لكل طبقة لون ، فالأبيض مـن الأسفل ثم الأسود والأحمر فالأزرق والفضي وأخيراً الذهبي ، وتختلفُ الزيقـورات الآشورية بأنها أكثر إرتفاعاً ، فهي متكونة من ثمانية طبقات تؤلف شكلاً حلزونيـاً، وبهذا يكون الصاعد يدورعدة مرات حولَ الزيقورة لكي يصلَ الـى القمـة التـي تحتوي على معبد صغير (الحرم) [3] وفيه سرير مزين بالمعدن الثمـين ومائـدة

1- انطوان مورتكاد ، **مرجع سابق** ، ص . 134

2- فاضل عبد الواحد ، **مرجع سابق** ، ص. 214

3- د . فوزي رشيد " الديانة " **حضارة العراق ج 1**، ص. 184-186

ذهبية ويبلغ طول ضلع القاعدة 90 م وكذلك إرتفاعه ، ولايوجد أي تمثال في أعلى الزيقورة[1](شكل – 32)

ولقد كانت الزقورات مظهراً نظامياً لكل معبد مهم ، فهي تقوم منفصلة عن البنـاء من حيث الشكل والوظائف .

وعلى هذا الأساس أظهرت التنقيبات أن هناك نوعان مختلفان من الزقورات ظهرت في عمارة الرافدين قديماً ، الأول في الجزء الجنوبي والثاني في الجزء الشـمالي ، وتمثلهما زقورة الوركاء التي لم يبقى منها إلا الأطلال ، وزقورة خرسـباد التـي لاتزال تنتصب مرتفعة حتى الطابق الرابع ، وتدل على ذلك ألوان أحجار الطوابـق السبعة المنتشرة في محيطها، وكان إرتفاع كل طابق تسعةَ عشر قدماً وبذلك يبلـغ المجموع 133 قدماً.[2]

زقورة الوركاء

ولعل أحسن زقورة تم الحفاظ عليها في بلاد الرافدين هي زقورة ننا (nauna) إله القمر في أور، فهي مدينة في الحفاظ على حالتها الجيدة الى سُمك آجر التغليف الذي إستطاع من خلاله الملك (أور- نمو) أن يغطي لب البناء ، وكـان العنصـر الأساسي في البناء هو الآجر المحدد في المقياس ونادراً مايتجاوز الأربعين سنتيمتراً ويقص علينا كوديا في كتاباته بأن أحد الآلهه أشار عليه فـي المنـام الـى مقـاس الطابوق في معبد ننكرسو، ولذا فإن العنصر الديني السحري يجد أهميته في حالات الأبنية الخاصة بآلالهة[3].

من ناحية أخرى نرى أن زوايا الزقورة وجهت الى الجهات الأربع ، وقدُ رتب التغليف على شكل طلعات ودخلات ، أما السلم فكان يهبط بتعامد في إتجاهـه مـع الأضلاع الشمالية الشرقية ، ومن المحتمل أن يؤدي الى الطبقة العليا التـي ُشـيد عليها المعبد العالي الحقيقي ، والذي يكون في العادة غرفة للعبـادة تشـبه مراكـز الإرصاد ومراقبة النجوم في وقتنا الحالي ، لأنهم يعتقدون بوجود الإله في السماء ،

1- خالد الجادر، **حضارة العراق ج2** ، دار الحرية للطباعة .بغداد 1985، ص.330

2- جورج كونتينيو . ترجمة سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي ، **الحياة اليومية في بلاد بابل وآشـور** ، وزارة الثقافة والإعلام . بغداد 1986، ص . 460

3 - انطوان مورتكاد، **مرجع سابق** ، ص . 33

وإن الأمر يتعلقُ بالنجوم أو الأقمار وهذا يتناقض وإعتقاد الفراعنة في مصر، حيث أن الفرعون هو الملك والإله في الوقت نفسه .

أما الُسلمان الجانبيان فإنهما يرتبطان بالسلم الرئيسي على مستوى الطبقة الثانية من الزقورة ، ونجد بأن الغلاف لم يصنع من الآجر، وإنما من اللبن المضغوط ، وقـد زودت الجدران الخارجية بطبقة مستوية ، وبين طبقات اللّبن توجـد طبقـات مـن الحصران على أبعاد منتظمة لكي تجعل البناء قويا[1] .

وأما في الطبقات العليا فقد إستبدلت الحصران بحزم من القصب ، بالإضافة الـى ذلك فهناك ثـقوب تخترق قلب البناء بقنوات أفقية في حبال من البردي[2].

يبلغ سمكها ذراع رجل ، وفي الغالب إن هذه الحبال استخدمت لإسـناد الجـدران الخارجية أزاء ضغط اللبن من الداخل ،

وتغطي زقورة الوركاء مساحة مربعة طول ضلعها ستة وخمسون متراً ، أما إرتفاع البناء فيبدو إنه كان يبلغ أربعةَ عشر متراً .

وكانت هذه الزقورة قد توجت بالمعبد العالي الحقيقي ، واستطاع لـوفتيس loftus [3] أن يشاهد بقاياه في أواسط القرن التاسع عشر ،

وأثناء المقارنة بين المعبد والزقورة ، لم نجد فهماً لمعنى الزقورة فهل هي تعبيرعن مفهوم ديني ، أوهي تقديس وتسام للآلهة ؟ حيثُ يقام المعبد في أعلى البناء ، ويكون على ربوات إصطناعية ، وإن هذين المثلين المعبد والزقـورة يمـثلان عنصـران

1- د. طه باقر ، د فاضل عبد الواحد ، د. عامر سليمان، **تاريخ العراق القديم** .ج 2 ، بغداد 1980، ص. 101

2 - البردي ، نبات يشبه القصب ينبت في مناطق الأهوار والمستنقعات أوعلى ضفاف الأنهار، ويصـل طولـه الى15مترأو أكثر وقطره ب15سنيمترا وهو مادة ذو ألياف قوية ، وقد استعمله الفراعنة أيضا كـالواح للكتابـة والنقش ، ويستعمل اليوم في إنجاز هياكل البناء أومايسمى (بالرافعات) ، والقصب مادة نباتية غير نفاذة للرطوبـة والماء ، لدنة المراس مطاوعة للإلتواء ، كذلك متينة السطح نظرا لوجود المفاصل العرضية الداخلية التي تكسبها صلادة ، وان حزمة من القصب يمكن أن تتحمل أثقال الشد المتوسط عليها للإلتواء.

3- لوفتوس ويليام كينيـت 1821 – 1858 Loftus. Willam kennet ، عـين عـام 1849 عضـواً جيولوجياً في لجنة الحدود التركية – الفارسية واتيحت له فرصة التنقيب في عـدة مواقـع جنوبيـة منهـا أور والوركاء وتولى مهمة التنقيب في قونجق

وهو من المنقبين البريطانيين الأوائل ، حفر في عدة مواقع اثرية وخاصة في الوركاء في عامي 1850- 1854 ، وفي نمرود 1854. / أنظر. نيكولاس بوستغيت ، مسرد عربي – انجليزي ، بغداد 1991 ، ص. 134

مختلفان ، وعلى العموم فإن الزقورة تمثل بناء دينياً ، وهـي فـي كـل الأحـوال لممارسة طقوس العبادة سواء تعلقَ الأمر بالسومريين أو البابليين ، وتـأتي أهميـة الزقورة في بناء غرفة داخلية فيها منصةُ مشيدة ، وهي بمساحة مناسبة لإستخدامها كمكان للإستراحة [1].

ثانيا : العمارة الآكدية

تتميز العمارة الأكدية بالتغيير الكبير الذي طرأ عليها ، بعد تحولها من السومرية التي كانت تشاركها في موقع جغرافي واحد ، حيثُ ولدت العمارة الأكدية من رحم العمارة السومرية ، وكادت أن تحملَ نفس صفاتها المعمارية ، لكن هـذا التغييـر الكبير الذي كان قد طرأ على شكل العمارة الأكدية يتمثل في شكل اللّبن الذي أصبح أكبر حجماً ، وأصبحت أسس الجدران أكثر سمكاً وتقام في خنادق ، ربما لضخامة الجدران أولعلوها

والتغيير الآخر الأكثر حيوية هو إنقسام الخلوة في المعبد الى نصفين بجدار فاصل ، وغدا القصر أكثر أهمية بتحول الملك السومري الى ملك واله أكـدي ، ولـم يعـد للمعبد الذي يسيطر على جميع الأمور أهمية كبيرة[2].

القصر الأكدي

بني هذا القصر على مخطط مربع يبلغ طول ضـلعه 100 م ،[3] وهـذا القصـر والمعبد في نفس الوقت هو حصن ملكي ونزل للمسافرين في آن واحد ، وقد تحـولَ هذا القصر الى بيت لسكن آخر الحكام العظماء ، يحتوي على البوابة المحصنة التـي تقوم على محور الساحة الرئيسة وساحات صغار، ويضم القصر سور مربع عرضه عشرة أمتار ، ولاتحتل الغرف المسقفة مساحات كبيرة قياساً للساحات ، ولم يبق من سقوف وقباب الغرف ما يمكن الإستدلال بها عليها سوى التخطيط وآثار الجـدران ، ويبدو أن لهذا القصر أهمية سياسية كبيرة[4]

1- ليو اويناهم ، **بلاد مابين النهرين**، ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق ، بغداد 1985، ص . 420

2- انطوان مورتكاد ، **مرجع سابق**، ص.154

3- د. طه باقر ، **مرجع سابق** ، ص . 102

4- ليو أوينهايم ، **مرجع سابق** ، ص . 158

ويبدو من خلال المخطط الأرضي ان شكل البناء على هيئـة مسـتطيل يتجـه مـن الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي ، ويتميز بعرض أساسـات البنـاء ، وضـخامة الجدران ، وتوجد في داخله مجوعة من الغرف والخلوات ، وتلتصق في القصر مـن الناحية الجنوبية مجموعة من الغرف او البيوت الصغيرة ذات التخطـيط العشـوائي يمكن أن تكون سكناً للخدم أو لعامة الناس ، تفتح على بعضـها وللقصـر مـدخلان رئيسيان في الجهة الشمالية الشرقية .

وقد وجد في تل براك مخططاً أرضياً مشابه للقصرالأكدي ، الذي يحمـلُ المـزاج والصفات الأكدية وله جدار مربع وتحيط به أقنية مستطيلة تُفتح على أقسام القصـر ، وتعتبر تل براك ضمن الإمبراطورية الأكدية ، وتقع جغرافياً فـي شـمال الرافـدين ضمن مملكة آشور، وهذا دليل آخرعلى نقل الطابع الأكدي في قالب آشوري ، (الشكل – 33)

ونلاحظ التأثير السومري على الفن والعمارة الأكدية ، الذي إنتقلَ بدوره وتواصلَ مع الحضارة الآشورية حسب المراحل التاريخية مع خصوصيات كل مرحلة التي تؤلفها عوامل كثيرة تطرقنا لها سابقاً ضمن موضوع البيئة والمناخ [1].

ثالثا: العمارة البابلية .

تعتبر بابل من المدن العراقية القديمة التي عثر على شواهدها في منطقـة بابـل قرب مدينة الحلة التي تقع على الفرات الأوسط وتبعد عن العاصمة بغداد بـ 80 كم تقريباً، وكانت عاصمة الدولة البابلية القديمة والحديثة .

وكانت العمارة البابلية في عهودها الأولى تعتبر إمتداداً للعصر السومري- الأكـدي لأنها وجدت على نفس الظروف الجغرافية والمناخية والعادات وطريقة العيش ، لكننا نلاحظ في مرحلة تاريخية ، كان قد ُأعيد بناؤها في عصر الملك نبوخذ نصر سـنة 604 ق.م ، الذي ترك بصماته على شكل العمارة البابلية ، فضلاً عن كونـه ملكـاً

1 - افرام عيسى يوسف ، **مرجع سابق** ، ص . 69

عظيماً يرجع له الفضل في وجود الكثير من المباني ، وهو الذي حـاول أن يجعـل مدينة بابل ذات عمارة كبيرة وطرق واسعة [1]

ومن أهم مظاهرها الطريق المقدس المستقيم الذي يقطع المدينة من الشـمال الـى الجنوب ، وقد استعملَ هذا الطريق لمرور المواكب في الإحتفالات السنوية التي تقدس الآلهة عشتار ، ويرتفع هذا الطريق عن مستوى سطح الأرض بمقدار12.5م ، وقـد رصف ببلاطات من الرخام الأحمر والأبيض ، مساحة كل منهما متر مربع واحد[2] ، كما كانت الحوائط الموازية للطريقُ مزينة بأفاريز من الحيوانـات بـألوان براقـة ، مكونة من ثلاث صفوف متوازية من الثيران والأسود ، وهذا الطريق يؤدي الى باب كبير مزين ، سمي بأسم الآلهة عشتار، وهذا الباب هو عبارة عن صرح أقامه نبوخذ نصر ، وهو من التحف المعمارية في الفن البابلي والعراقي القديم بصـورة عامـة ، وهو أيضاً بوابة للمدينة الجديدة وقد أقيم عند الطريق الشمالي للمعبد (أتمن أنكـي) حيث يمر الطريق المقدس ، وكان لهذه البوابة مدخلان يحيط بها من الجانبين برجان ضخمان ، وتكسو جدرانه طبقة من الطلاء البراق تزخرف 575 ثور وتنينـاً وأسـد أوحيوانات إسطورية[3] ، (شكل- 34) وهي ترمز للالهة

هذا النوع من الفن يعتبر تغييراً كبيراً في العمارة العراقية القديمة والبابليـة بشـكلٍ خاص ، حيث أدخل السيراميك المُتمثل بالآجر المطلي بالألوان الزجاجية [4] التـي إتخذت اللون الأزرق المخضر، وهو اللون المميز عند السومريين [5]، والذي أصـبح بعد ذلك اللون الخاص والأساسي في فن الزخرفة الإسلامية .

1- انطوان مورتكاد ، **مرجع سابق** . ص156

2 - ليواوينهايم ، **مرجع سابق** .ص430 .

3 - د . حسن الباشا . **الفنون القديمة في بلاد الرافدين** . القاهرة 2000 . ص32 .

4 - هذا النوع من التلوين الذي شوهد على جدران باب عشتار يسمى (التـزجيج) .وهـي طريقـة اعتمـدها السومريون في تلوين الأواني الفخارية . لأنه يشكل طبقة تحمي هذه الأواني من التلف بواسطة الماء أو الرطوبـة . وهي ألوان تصبح ذات طبقة شفافة وبراقة عند تعرضها للشمس أو الحرارة القوية وهي تشبه طبقة من الزجاج ومنها أشتق اسمها .

5- ظهر هذا اللون مميزاً للألوان الزخرفة الإسلامية. ويظهرعادة متجاور مع اللون الذهبي .ويشكلان طابع فني للأشكال الزخرفية التي ظهرت بطبيعة الحال بعد زوال الحضارة البابلية من أرض الرافدين .

أما الموضوع الفني الأساسي في هذه البوابة فهي رسوم الحيوانات الخرافية بحجـم كبير وبأسلوب محور، وذلك لإظهار قوة الدولة ومهابتها لكل طارق للمدينة ، صديقاً كان أو عدواً، ومع أن الرسوم والصور تبدو محورة فإنها تتميز بقوة التعبيـر الفنـي والقدرة على الصياغة والقولبة مما يدلُ على إمكانيات الفنان وقدراته ، فضـلاً عمـا يمكن أن يحسه المشاهد لهذه الصورمن القوة المتمثلة بالأسد ، والخيال الذي يعكسـه شكل الحيوانات الخرافية أو الهجينة ، إضافة إلى المهابة من متعة النظر والتأمـل ، ويبدو ذلك أمر متصل بالعناصر العليا وهـي الشـرافات أو المسـننات (بـالتعبير العراقي) ، وهي نهاية الجدران وبداية الأفق الذي َميزه ارتفاع البناء .

وتتميز العمارة البابلية بالزيقورة كبقية العمارة الرافدية ، التي كانت هرمية الشكل ، ذات طبقات ُمدرجة مكسوة من جوانبها بالقرميد الملون ، الذي يرمز كل لون الـى برج في السماء ، فالمدرج الأول ملون باللون الأسود رمز زحل ، والثاني الأبـيض رمز الزهرة ، والثالث الإرجواني رمز المشتري ، والرابـع أزرق رمـز عطـارد، والخامس قرمزي رمز المريخ، والسادس الفضي رمز القمر، والسابع الذهبي رمـز الشمس[1][2] .

تتجسد عظمة بابل في برجها العالي المدور ، وجنائنها المعلقة التي أصبحت موضوع بحث ونقاش من قبل الإغريق وفي عصر النهضة الأوربية في القرن الثامن عشـر، حيث جسد رسم هذا البرج من قبل الفنانين ، أحيانا بعيداً عن الخلفية التأريخية ، وهذا وجه مشرق وجميل لمدينة بابل ، وللمدينة وجه آخر مأساوي يذكرنا بأن هذه المدينة قد حلت عليها اللعنة والدمار نتيجة الحروب وغزو الإسكندر المقدوني .

وهكذا نَجد أن منطقة الحضارة " السومرية الأكدية قد تحولت الى منطقة الحضارة البابلية الآشورية " وتميزت العمارة البابلية في عهد الكيشيين بالبناء بواسطة الآجر ، وأدخل النحت على شكل أفاريز بأشكال آدمية وهو شكل من أشكال النحت البـارز، يضاف الى شكل التغييرات التي طرأت على العمارة البابلية ، الذي أصبح بعد ذلـك جزأً من العمارة ، و تطور بعد ذلك فأصبح يزين المداخل والأبواب وصار ركناً من

1 - د . حسن الباشا، **مرجع سابق** ، ص . 33

2- وجدت بالقرب من الزقورة قطع حجرية ملون ببعض الألوان التي احتوتها طبقاتها .

أركان العمارة الآشورية ، بينما كانت الروحية السومرية – الأكدية والبابلية القديمـة تنفر من كل شئ مشابه لهذه الطبيعة [1].

قصرماري

يعد قصر ماري الذي بني في عهد الدولة البابلية الجديدة أحدى عجائب الدنيا فـي ذلك العصر ، أقيم هذا المعبد على النمط السومري الذي يتمثل في فناء داخلي َتحـفُ به أفنية صغيرة تحيط بها الغرف المختلفة ، وقد إستلزم بناءه أجيالاً عدة مما أضاف اليه روائع جمالية إستلزمتها مهامه الجديدة [2]، وتَميز بالتخطيط المتقن ، كما هو حال القصور العراقية حتى العهود المتأخرة ، وإن مجموع الأبنية المتتاليـة تتحـول مـع مرور الوقت الى شبه مدينة كما في ماري نفسها .

وكان هذا القصر مقراً للدولة ، كما خصصت بعض الغـرف للمـوظفين والإدارة ، وكان مقراً للملك الذي يعقد فيه اجتماعاته[3]،

وقد قُسم هذا القصر الى أقسام ، منها مكان العبادة والمرافق العامة ، والمساكن العامة ، المطابخ ، مخازن ومصانع ، والقصر محاط بجدران سميكة من اللبن ، فيها فتحـة واحدة ما جعله قلعة حصينة تصمد للحصار الطويل .

وتميز القصر بتزيين جدرانة بزخارف ملونة (شكل – 35 أ ، 35 ب) ، مع إحتوائه على النقوش والتماثيل المتنوعة ، وكان يحتوي على قاعات الإستحمام ذات الأحواض الخزفية الجميلة والنظيفة الممتعة ، ربما لاتوجد مثيلاتها في قصور أخرى من الناحية الجمالية ، وتميزت المرافق العامة بطلاء جدرانها بالقطران لكـي تصـبح صـماء لاتتسرب منها المياه ،

وكانت جدران القصر مبنية من اللبن وأساساتها من الآجر وكسيت أرضيات غرفـه ببلاطات من الفخار[4] .

رابعاً : **العمارة الآشورية**

1- نيكولاس بوستغيت ، **مرجع سابق ،** ص.109

2- ليو اوينهايم، **مرجع سابق** ، ص .224 .

3- **نفس المرجع** ، ص. 231

4 - انطوان مورتكاد ، **مرجع سابق** ، ص . 252

شَهدت العمارة في منطقة آشور تحسناً وتغييراً كبيرين ، نظراً لوجودهـا فـي محيط جغرافي يختلف نوعا ما عن تلك المناطق التي وجدت فيها الحضارات الأخرى كالسومرية والبابلية ، وفي المناطق التي وجدت فيها آثار الحضارة الآشورية ، التـي تقع في المناطق الشمالية من أرض الرافدين ، حيثُ تكثر فيها الغابات والأحجار التي طبعت الفن المعماري لهذه الحضارة بطابع خاص يختلف تماماً عن ما وجـد عنـد السومريين .

فهناك فرق بين البناء بالطين أو البناء بالحجر ، ومن أهم مظاهر هذا التحـول فـي النمط المعماري ، هو إدخال النحت المعماري كعنصر جديد ُمتلائم مع فن العمارة ، وهو واحد من مجموعة عناصر وتغييرات طرأت على الفن المعماري فـي العـراق القديم ، وذلك من خلال المسيرة التاريخية لمجتمـع وادي الرافـدين منـذ العصـر السومري وحتى العصور المتأخرة للآشوريين[1] ، ويمكن إعتبـار هـذه التغييـرات إمتداداً لما بدء به البابليون بخصوص النحت المعماري ، الذي يتجسـد فيـه معنـى التوارث الحضاري بين الحقب .

ويعتبر الفن الآشوري في البناء أو النحت والفنون الأخرى تطوراً نوعياً فـي فنـون المنطقة التي شملتها حضارة الرافدين ، نظراً للعوامل التي ذكرناها ، وهـي بيئيـة وجغرافية ، بالإضافة لإعتماد الآشوريين على تجارب وإنجازات أسلافهم ، فكان هذا الفن تتويجا لعملية متكاملة بدأها السومريون .

قصر أداد نيراري ، ومعبد عشتار

يعتبر اداد نيراري أحد كبار ثلاثة حكام من الذين أهتموا بفن الريازة أوالعمارة (Architecture) الآشورية وإحتضنوه [2].

إمتاز القصر المسمى بإسمه بالنقوش المدونة على المباني ، وتعد هذه النقوش ذات أهمية جوهرية في تاريخ العمارة الآشورية ، ويعود تاريخ هذا المبنى الـى الحقبـة الأولى من المملكة الآشورية (أوائل القرن الثالث عشر ق.م) حيث اكتشف عدد من

1 - ليو أوبنهايم ، **مرجع سابق** ، ص . 432

2- د . ثروت عكاشة ، **مرجع سابق** ، ص .417

قوالب الطوب التي تحمل إسم أداد نيراري الأول ، استخدمت فـي الفنـاء الرئيسـي الأوسط [1].

وعلى ضوء المخطط الأرضي فإن القصر هو عبارة عن كتلـة معماريـة إنشـائية مستطيلة الشكل يتجه من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي ، وهو مستطيل منـتظم مدخله يتوسط الجهة الشمالية والقصر في تصميمه على هيئة فنـاء داخلـي مربـع (باباتو) ، تحيطه أروقة تفتح عليه بمداخل تتصل بدهاليز وتنتهي الأروقـة بأجنحـة وحجرات وملاحق مختلفة الشكل والحجم ، يتصل إحداها بالآخر بـدهاليز أخـرى ، وعادة ماتكسى حوائط الدهاليز والأروقة برسومات ملونـة أو منجوتـات مسـطحة تتضمن مواضيع متنوعة تختلف في طبيعتها ومضامينها من عصر الى آخـر، إمـا الحجرات الرئيسية في المبنى فيطلق عليها إسم بيتانو.

وعلى الرغم من إندثار شواهد القصر الرئيسية إلا أن المنقبين يعتبرونه فريـداً فـي طرازه قياسا بكافة المباني القديمة . وهو يعد نمطاً جديداً يشير الى مستقبل العمارة ، بالنظر لما تبقى من أساسات الجدران المبنية من الحجر التي تكون في الغالب جـزءاً من المبنى [2].

إن محيط أفنيته الداخلية لم يتخذ شكلا محدداً ، والمحيط الخارجي غيرُ منظم الشـكل وتحدده مجموعة جدران متعامدة وهي سلسلة غير منتظمة من الدخلات والخرجات . ويتوسط القسم الأول المخصص للإستقبال فناء المدخل المسمى (باباتو) علـى حـين يتوسط القسم الثاني المخصص للمعيشة فناء آخـر يسـمى(بيتـانو) شـأن معظـم القصورالآشورية [3]

وكان المعبد يشمل برجين متدرجين كل برج يحتوي على أربع طبقـات ، حوائطـه وأسوارة مدعمة بالطوب المحروق وهو مقام عبادة ، فيه مسطبة مستطيلة ويتحـوي مدخله على أربع أبراج في الجانبين يصلُ بينهما ممر وينقسم الى مجمـوعتين مـن الغرف منهما أربع غرف صغيرة ، وكانت أحدى الغرفتين الكبيرتين تخص الإله آنو،

1- انطوان مورتكاد ، **مرجع سابق** ، ص. 111

2- د. ثروت عكاشة ، **مرجع سابق** ، ص. 418

3 - نفس المرجع ، ص . 419

والأخرى الإله آداد، وكان يعتقد أنهما يمثلان حرم المعبد [1] (شكل- 36) ويـرجح أن قصر ادد نيراري كان قد بني منذ أوائل القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، ويحمـل مميزات القصر الملكي الآشوري .

عمارة سرجون الثاني

بلغت العمارة الآشورية في عهد سرجون الثاني تطوراً كبيراً ، في ظـل تطـور الإمبراطورية ، بنى سرجون مدينة (دور شاروكين) التي تقع على بعد 15كم شمال شرقي نينوى وتحتلُ موقعاً كانت تشغله خرسباد ، وقدم الملك فيها الشواهد للأعمـال الفنية

وكانت القلعة بنسبها الضخمة التي تفوق كل المباني الأخرى صورة (ريازية للكون) وفي الوقت نفسه(رمزاً) لمفهومه حول الإمبراطورية ، لما تحمله من فخامة ورفاهية والأمر الآخر هو التفاوت الكبير بين مستوى إرتفاع أجزائها المتعددة ، فقد ترامـت المدينة بينما ظلَ الحصن والمعبد شامخاً ، وتبدو الزقورة والمعبد الملكي رموزاً تنبثق من الأرض متطلعة الى السماء . [2]

إمتد نفوذ الإمبراطورية الى العالم الشرقي المتحضر كله ، وأصبح الإلـه الآشـوري كبير آلهة العالم المحيط بالإمبراطورية الآشورية .

ونتيجة لدقة وإتقان تصميم المدينة فقد مثل العلم والكون بأسره فيها ، وسورت بأسوار محصنة ، وكانت على شكل مربعاً متساوي الأضلاع على وجه التقريب ، (شكل -37) وُأقيمت على كل ضلع من السور المحصن بوابة أو بوابتان تصل بين المدينة والعالم الخارجي ، لتحميها من كل المخاطر والأمراض ، بينما وجد القصـر الملكي خارج سورالمدينة مكوناً قلعتها الحصينة ، وقدُ شيد القصـر فـوق هضـبته

1- د حسن الباشا ، **مرجع سابق** ، ص . 40

2- نيكولاس بوستغيت ، **مرجع سابق** ، ص. 77

خاصة أُختيرت خارج الأسوار[1]، وكان شكله بارز من بعيد ممتداً شـمالاً متحـدياً المجهول.
وتعكس ضخامة وقوة وفَخامة المنشآت الآشورية ، الذهنية العسكرية والروح الجبلية للمجتمع الآشوري الذي عشقَ القوة وإمتهن الحرب ، فغزى معظـم بـلاد الشـرق وإستولى عليها بحد السيف ، كالشام ومصر وجزء من بلاد فارس ، وهو ما يتضـح في إهتمامه بشؤون الحرب دون الإهتمام الكبير بشؤون الدين.[2]

المواد الأساسية في البناء (المواد الإنشائية)

أهم ما يُميز حركة التطورالعمراني والمعماري في العراق القديم ،هو إعتمادهـا على المادة الأولية الداخلة في صناعة مواد البناء التي توفرها البيئة الطبيعيـة حيـث كانت مصدراً لها ، وبها عرف الإنسان طريقة تحقيق أهدافه من خلال تطويع المـادة وتسييرها ، من أجل خدمته وترويض الطبيعة القاسية والتفاعل معها .
وقد وجد الفن العراقي القديم الكثير من الصعوبات من أجل الحصول علـى المـواد الأساسية في البناء ، وهي المواد الأولية مثل الحجارة والمعادن ، لأن الـبلاد كانـت شحيحة بها خصوصا في الجنوب ، فاستعيض عن الحجارة في بناء الجدران السميكة الضخمة باللبن أو اللبن المخلوط بقطع قصبية أو التبن ، التي تكون لها متانة الجدران الحجرية ورصفَ فيها تجاويف ونتوآت كانها حصون ، ربما كانت لضرورات حربية ، لإن المعبد مكان لتجمع الناس ، وهو موقع مقدس لأنه مقراً للآلهة .
وكانت المنطقة تستورد ماتحتاجه من مواد من المناطق المجاورة ، وهـذه العمليـة تتطلب جهداً كبيراً في نقل الأحجار والمعادن التي لاتوفرها البيئة في بلاد الرافدين[3]

1- لعل المقصود من ذلك هو واجب الملك في قلعته في فرض النظام ، والسيطرة على الرعية من مكان عالٍ. والدفاع عن المدينة من كل قوى الشر ، ويبدو هذا قريباً للتصور الذي جسده ابو جعفر المنصور عند إتباعه نفس الهدف في بناء مدينة بغداد

2 - د. واثق إسماعيل الصالحي ، **مرجع سابق** ، ص. 191

3- د. وليد الجادر ، **مرجع سابق**، ص . 241

وتدل المكتشفات الأثرية في وسط وجنوب العراق على أن أغلب التماثيل أو البناءآت كانت قاصرة على مادة الطين أما الحجر أو المعادن الأخرى فكانت تشـمل بعـض التماثيل الصغيرة التي كانت توضع للتزيين أو لتشكيل ملحقات البناء[1]

وعليه فإن تحليل المواد الإنشائية وطريقة إستعمالها ُتمهد الطريق لمعرفـة الجوانـب المعمارية الأخرى ومنها الجمالية ومن أهمها :

1- الطين

كان لمادة الطين الدور الأساسي في البناء ، نظراً لتوفرها من شمال العراق الـى جنوبه ولطبيعتها الإقتصادية وإنسجامها مع البيئة ، ولسهولة تشكيلها وتطويعها بأنامل النحاتي والبنائين وتحملها للظروف المناخية التي تسود منطقة بلاد الرافدين كالحرارة والرياح ،إعتبر سكان الجنوب الطين المادة الأساسية التي خلق منها الإنسان، وممـا دعم هذا الإعتقاد هو لون المادة التي تشبه الى حد كبير لون بشرة الإنسان في القسـم الجنوبي من العراق والمقصود بهذا الطين ،هو طبقة الغرين التي تتركها الفيضـانات أو تلك الموجودة على ضفاف الأنهار بعد إنحسار المياه ويكون ذو طبيعة لزجة وقوية وهو مادة محلية ومستخرجة من التربة التي بنيت عليها ، وساهمت بشكل كبير فـي إظهار الشكل المعماري ، ومن صفاته القوة والديمومة وربما كان هذا السـبب فـي مقاومته لهذه الفترة الطويلة من السنين ، رغم التعرية والتدمير التـي يتعـرض لـه البناء[2] .

وكان استعمال الطين لضرورات جوهرية ، بسبب عدم توفر الأحجار، وكان الطين هو المادة التي تعطي أفضل النتائج ، وتتماشى مع الأوضاع المناخية لبلاد الرافدين ، ويمكن استعمال الطين في حالته الطبيعية لصنع الآجر ، وكانوا يمزجون الطين مـع قطع من القصب أو التبن لغرض تعزيز قوته ، وعندما يمزج الطـين مـع القصـب المهروس ُيصب في قوالب خشبية منبسطة ، وتتم هذه العملية عادةً في فصل الصيف الحار أكثر منه في فصل الشتاء [3] .

---

1 - نيكولاس بوستغيت ، **مرجع سابق** ، ص . 59

2- د. خالد الجادر ، **مرجع سابق** ، ص. 326

3- كان الشهر الأول من الصيف يدعى(سيوان) ويعرف أيضا بشهر الآجر/ أنظر . جورج كونتينو. **الحياة اليومية لبلاد الرافدين ،** ترجمة سليم طه التكريتي ، وبرهان عبد التكريتي ، بغداد 1986 . ص. 54

ويختلفُ الآجر عن اللّبن ، لأن اللّبن يقاوم فترات أطول من الآجر، الذي يتفتت أثناء الفيضان ، ونظراً لتقارب الكثافة النوعية لطين الأرض المحيطة بالبناء وبين الطـين المستعمل في البناء ، فإن الإدامة السنوية بنفس مادة الطين تضمن للبناء إستمرارية إذ لايحتاج الى تغيير أو إزالة الطين القديم [1].

وفي العصور الحضارية التي بدأ فيها الإنسان بتنويع المواد المستعملة في البنـاء من بأشكالها وأنواعها ، أستعملَ اللّبن في مختلف الأشكال والأحجام ، وربما أصـبح وسيلة لمعرفة المراحل التي مر بها البناء[2] .

واشتهر الطين المشوي المحدب (وهو في الأصل متوازي المستطيلات) بكونـه غير مستوي بل محدب في الوسط أي منتفخ ، وقد ظهر إستخدامه في بناء الجـدران غريباً ولأول مرة في التاريخ ، حيث ِوضع بطبقة مائلة وتنظم اللبنـات فـي نفـس الصف وبطريقة مائلة وعلى وجه واحد ، أما الصف الذي يلية فيكون مائلاً ، ولكـن في الإتجاه المعاكس ، وقد شبه الآثاريون هذا الطراز من البناء الذي يكون على شكل صفين بالعمود الفقري للسمكة) [3]

وظهر إستخدام هذا النوع من اللّبن (المستوي المحدب) في كل من الوركاء وأريدو وتل أسمر وفي فترات لاحقة في سبار، وإستمر هذا الإستخدام عبر العصـور حتـى وإن تغيرت الأشكال والأحجام .(شكل 38)

يذكر أن لعمل الطابوق طقوساً خاصة ،لأن عمل أول طابوقة لبناء معبداً أوقصراً هي مسؤولية الملك ، ويسلتزم عملها في يوم فأل طيب ، وكان الشهر السادس الأكثر ملائمة فهو (شهرعمل الملك لقالب الطابوق) وكان الملكُ يلزم نفسه بحفظ القالـب المصنوع من الخشب في قصره مصحوباً بالأدعية والموسيقى وتقديم الأضاحي[4]

1- جورج كونتينو ، **مرجع سابق** ، ص . 54

2- نيكولاس بوستغيت ، **مرجع سابق** ، ص64 .

3 ـ د. خالد الجادر ، **مرجع سابق** ، ص. 327

4- د. مؤيد سعيد ، العمارة من عصر فجر السلالات الى نهاية العصر البابلي الحديث . **حضارة العراق . ج3** ، بغداد. دارالحرية للطباعة ، ص. 98

أما المادة التي استخدمت للشد فهي الطين نفسه لإنها تتشابه مع خواص الّلبن ، ممـا يعطي إنسجاماً كاملاً في ردود الفعل ومقاومة العـوارض ، والتـأثيرات الخارجيـة وإستعمل نظام
(الحل والشد) في المناطق الضيقة من الجدران كالفتحات والأبواب التـي تكسـب الجدارَ متانة وقوة[1]، وهي طريقة في البناء إبتدعها السـومريون لإنعـدام أونـدرة الأخشاب في مناطقهم .

2 – الإسفلت

من المعروف ان الإسفلت كان قد شاع في بلاد الرافدين لإستخدامه كمادة إكساء عازلة للمياه والرطوبة ، وإستخدمت لإكساء أحواض الماء وفـي سـاحات البيـوت والمعابد ، وقد وجدت هذه المادة بين طبقات البناء التي الموجودة في الطبقات البنائية للزقورة ، و كانت تشملُ على الوان مثل الأبيض الذي أستخدمت فيه مادة المـلاط ، والأحمر الذي كان يمثل نوع من الطابوق المفخور ، وفي معبد شوسين في تل أسمر طليت غرف الوضوء بالقير، وكذلك معبد الآلهة القمر (ننار) في العصـر البـابلي القديم ،أما في معبد نوزي(في العصر الآشوري الوسيط) فإن أحواض المياه فـي ساحة المعبد كانت مبطنة بالزفت ، وكذلك أرضية الحمامات قي القصر ،وقد أستخدم الإسفلت في العصر الآشوري الحديث والكلادي كمادة عازلة في أحواض المياه وفـي الحمامات ، واستخدم في بابل أيضاً وطليت فيه الجدران منعاً للرطوبة ، وانتقل الى نوع من الرسوم الجدارية المطلية بالزفت ومواد أخرى ،
كما طليت جدران مخازن المؤونة والحبوب بمادة الإسـفلت للحفـاظ علـى المـادة المخزونة[2] وقد وجدت هذه المادة بكثرة في بلاد الرافدين وخصوصاً فـي الجـزء الجنوبي ، لأنها تشكل المادة الأولية للنفط الخام الذي كان يطفوا على سطح الأرض .

3 - الجص

كان إستخدام الجص في المناطق الجنوبية من العراق غير واسع وقليل ، وقـد ظهر إستخدامه عند السومريين في الزخارف المخروطية وفي طلاء بعض الجدران ،

1- د. مؤيد سعيد ، **مرجع سابق**، ص . 99

2- **نفس المرجع** ، ص . 100

حيث غُرست الأجزاء الزخرفية المتكونة من مادة الجص في مادة الطين على جدران الأعمدة ، بالرغم من قلته أوإنعدامه في المناطق التي عاشَ عليها السومريون ، لكـن مادة الكلس كانت متوفرة في المناطق الشمالية والوسطى بنطاق واسع[1]، وقد تركـت تأثيرها على المنشآت المقامة التي مازالت بقاياها موجودة حتى وقتنا الحاضر ، فـي مداخل القصر الملكي الذي ُشيد في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد في عكركـوف [2] ، استمر إستخدام الجص في طلاء الجدران حتى العصر الكلدي ، وفي بابل كسيت جدران معابد نيمناخ وعشتار ونابو شيخاري بالجص ، ثم استخدمت لرسم الزخارف الملونة عليها وصنعت بعض التماثيل الصغيرة من مادة الجص ، ويعتقد بـأن هـذا النوع من التماثيل كان قد نفذ بطريقة صب القالب الجبسي ، ولابد أن يكـون سـكان العراق قديماً ومنهم الآشوريين قد توصلوا الى صنع المواد المقارنة للإسمنت بخلـط مادة البجس بمواد صلبة أخرى ، فلقد تم بناء الجدران الآجرية لجدار المسناة[3] فـي مدينة آشور بمادة رابطة لاتقل قوتها عن مادة الإسمنت التي بقيت حتى الآن بـالرغم من إنغمارها بمياه دجلة عبر السنين ،

كما أن أرضيات القصر الصيفي في بابل صنعت من مادة إسمنتية بيضاء مخلوطة بحصى ناعم جداً

4- الحجر

في وقت مبكر فتشَ الإنسان عن البدائل لمادة الطين ، ومنها الحجر بأنواعه ومقاومته وجاذبيته وألوانه ، ولم يستعمل الحجر للبناء فحسب بل أستعمل كأدوات ، حيث من الممكن تشكيله بالشكل المطلوب بعد صقله ،

1- د. فاروق ناصرالراوي ،المعادن والأحجار والأملاح. **حضارة العراق.ج2** ، بغداد.دارالحرية للطباعة، 1985،ص .360

2- د. محمد أبو المحاسن عصفور ، **معالم حضارات الشرق الأدنى القديم** ، بيروت 1981، ص. 195

3- وهي نتوئات في اعلى الجدار تشكل مجموعة زخرفية . مبنية بالحجر وهي على شكل طبقات تتناقص كلما ارتفع البناء الى الأعلى، وهي تتشابه مع الجدار الذي عثر عليه في بابل ، وكان يحاذي شارع الموكب ، والمسناة هي كل نتوء خارج البناء ، ويطلق العراقيون هذا الأسم على المساحات التي تقع على حافة النهر .

عرف السومريون الحجر بالرغم من ندرته في المناطق الجنوبية ، فصنعوا منه التماثيل الصغيرة وأدوات الإستعمال كالأواني ، وبنيت منه أساسات بعض القصور الكبيرة والواسعة ،[1]

واشتهر البناء والنحت الآشوري بإستعماله لمادة الحجر بأنواعه نظراً لتوفره في المناطق الشمالية من العراق ، حيثُ إستوطن الآشوريون ، ويبدو إنهم كانوا قد عرفوا بكل تأكيد بعض صفات الأحجار ، ودرجة صلابة الصخور وتحديد أنواعها ، لأنهم إعتمدوا في بنائهم على الصخور ، وكانوا على علم بالمعادن والصخور والأملاح ، وكان إستعمال الآشورين لمادة الحجر في البناء او في صنع التماثيل الكبيرة واسعاً ، بحيث أصبح البناء بالحجر من صفات العمارة الاشورية ، وساهم الحجر في بقاء آثار الحضارة الاشورية لصلابته ومقاومته للظروف المناخية ، وكانوا قد بذلوا جهوداً كبيرة في نقل وترصيف وربط الأحجار الكبيرة التي تكون أجزاء البناء ، أوفي نقل التماثيل الحجرية الكبيرة وجعلها في مكانها ، وهذه الطريقة في البناء تعتبر أكثر تعقيداً من الطريقة التي إتبعها السومريون في البناء بمادة الطين .

وأكدت لنا التنقيبات والمباحث الأثرية والنصوص المسمارية معرفة العراقيين القدماء بالعديد من أنواع الحجارة وعشرات الأنواع من الأملاح والمعادن ، ومنها مثلاً حجر السماء وأحجار وأملاح مثل الشب الأبيض والأسود[2] ، وحجر الخفاف أو الزجاج البركاني الذي يستعمل في صقل الآلات والأدوات ، وأملاح مثل الشب الأبيض والأسود ، حجر الخفاف أو الزجاج البركاني الذي يستعمل في صقل الآلات والأدوات كما عرفوا العقيق وحجر الصوان وحجر الشذر أوالفيروز[3]، وعلاوة على ماتقدم فقد توفرت للسكان وصفات صنع الزجاج الملون ، ومما لاشـك فيـه أن انتـاج هـذه الوصفات يكون من الأحجار الكريمة ، على الرغم من عدم وجود المعرفة الفنية في ذلك الوقت[4] ، وقد استعملت هذه الخامة في الأختام الإسـطوانية أو فـي زخرفـة الجدران .

1- د. وليد الجادر ، صناعة التعدين . **حضارة العراق . ج2** ، بغداد 1981 ، ص. 243

2- د. وليد الجادر ،**مرجع سابق** ، ص . 245

3- د. خالد الجادر، مرجع سابق ، ص . 327

4- جورج كونتينيو ، ترجمة سليم طه التكريتي ، **الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور**، بغداد 1986، ص. 457

استعمل سكان الرافدين القدماء الفرن البسيط [1]، الذي من خلاله تم صب بعـض المعادن والأحجار[2] ، وقد أثر إستعمال الفرن في تشكيل قوالب أو إعـادت تشـكيل معادن أخرى واستعملَ الفرن في صناعة الحلي والفخار بعد شي الطـين واسـتخدام التكوين الثابت ، أي تزجيج الحجر الذي تطور الى صناعة الزجاج وهـذا يعنـي أن جميع المواد المعدنية تم تحويلها بواسطة النار[3] .

5- المعادن

يصف الإستاذ فوربز forbes [4] التعرف على المعادن والتعدين بقوله :-

(إن علم المعادن أحد الخطوات الحضارية العظيمة في تاريخ البشرية ، ولكنه لـيس الخطوة الرئيسية لتقدم البشرية) .

أثبتت لنا المباحث الآثارية بأن العراقيين القدماء كانت لهم معرفة بكثير مـن أنـواع المعادن ، ومنها معدن الحديد ، الذي كان من المعادن المهمة في الصناعات الأولية أو في إستعماله في البناء وفي شد أجزائه ، وهو أفضل من البرونز وأشد صـلابة ولـم يتمكن العراقيين من إدخاله بشكل فعال في قطاع البناء والهندسة ، ربما لندرة وجـوده آنذاك وتأخر شيوع إستخدامه حيث لايتعدى ذلك بداية الألف الثـاني قبـل المـيلاد ، يضاف الى ذلك عدم الحصول عليه بشكل نقي ، الا في حالة وجود ذرات منـه فـي حجر البازلت[5] .

ويبدوأن إرتباطه بالسماء عند العراقيين القدماء جاء نتيجة لسـقوط نيـازك تتكـون معظمها من الحديد ، ولقد ورد ذكر إصطلاح آن – بار an – bar عند السـومريين مشيرين به الى(آن) تعني السماء و(بار) تعني الحديد ويراد به المعدن المعظم[6] .

1- تشتهر الآثار العراقية بكثرة التماثيل والأختام الإسطوانية الصغيرة المصنوعة من البرونز والنحاس والمعادن الأخرى. وتحتاج مادة البرونز الى درجات حرارية عالية جداً لصهرها ولصبها في القالب ، وهذا بدوره يحتاج الى أفرانُ منجزة بطريقة متقنة من اجل تنفيذ هذه الأعمال الفنية .

2- كلمة معدن بالاتينية تساوي كلمة حجر .

3 - ليو أوبنهايم ، ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق ، **بلاد مابين النهرين** ، بغداد 1985 ، ص . 426

4 - Forbes, R.j ,**Metallurgy in Antiquit,** Bill Leden,1950

5 - د. فاروق ناصر الراوي، **مرجع سابق** ، ص. 362

6- د. وليد الجادر، **مرجع سابق** ، ص .359.

ولم تظهر أدلة أثرية تدلُ على إستعمال السومريين لهذا المعدن بشكل واسع ، لكـن الآشوريون إستفادوا بشكل كبير منه ، ربما لسهولة الحصول عليه أو لوجـوده فـي المنطقة الشمالية من العراق ، في تطوير جيوشهم وحركاتهم ، وفي صناعة العربات وبعض الأسلحة وفي العمارة والبناء وعرفوه بإسم بارزسلو[1] Barzillu .

وبعد أن شَهدت التجمعات السكانية في العراق الإستقرار وأكتشفت الزراعة،تمكنت هذه التجمعات السكانية من معرفة إستخدام المعادن في صناعة الأدوات البسيطة (كالمحراث والفأس) المستعملة في أول الأمر وهو مايعرف بالتعدين ،

وقد أستخدمت هذه الأدوات في الحياة اليومية ، وتمثلُ مراحل هذه المعادن نسبة الـى شيوع إستعمالها فسموها عصر النحاس،ويليه عصر البرونز ثم عصر الحديـد، مـع العلم أن معادن إخرى مثل القصدير والفضة والرصاص والبرونز، كان قـد عرفهـا سكان الرافدين قديماً ،

ورافق عملية إستخدام هذه المعادن في العراق القديم وتصنيفها ومـا صـاحبها مـن تخصصات لازمة إنجاز عمليات كبيرة ومعقدة في توفير هذه المواد وتطويعها ، وقد إنعكس هذا على تطوير الإقتصاد والفكر في جميع مجالاته ، وكان العصر البرونزي وماتبعه من إكتشاف النحاس عصر تقدم تقني صاحب نشأت المدن وعملية البناء [2]

وعن إمكانية معرفة أنواع متعددة من نفس الحجر ، فإن ذلك يتم من خـلال وجـود صفة التذكير والتأنيث التي تطلق على الحجر الواحد ،

كما عرفوا العقيق الأحمر، وحجر الصوان ، وحجر الشذر أو الفيروز، ومن الأملاح والمركبات عرفوا : ملح الطعام ، والملح المستخرج من النهر ، وملح الجبال ونترات البوتاسيوم الأبيض والأسود ، وكاربونات الصودا ، ونترات البوتاسيوم ، والكبريت . وأنواع لاتحص من الأحجار التي صنعت منها التماثيل وأحجار أخرى [3]

1- د. وليد الجادر، **مرجع سابق** ، ص 360 – 361

2- د. مؤيد سعيد ، **حضارة العراق ج3** ، دار الحرية للطباعة . بغداد 1985، ص. 99

3- د. وليد الجادر، مرجع سابق ، ص .361

6 - الألوان

بما أن سكان الرافدين كانوا وقد عرفوا الأحجار والمعادن ، فمن المعروف أنهـم عرفوا العديد من الألوان ، و إستخرجوها من مصادر مختلفة

وأنَ جودت الألوان المستعملة عندهم ناتج عن جودت موادهـا الأوليـة ، وطريقـة تنفيذها وتثبيتها في مكانها .

وكانت هناك رموز لمعظم الألوان التي إستخدموها ، بالإضـافة الـى إسـتخداماتها المعمارية ، فظهرت على ألبستهم وفراشهم أيضا، وكانت ألبستهم متكونة من شـعر الماعز والغزلان ومن الصوف والقطن وبعض الجلود ، إضافة الى إرتباط العديد من هذه الألوان المستخدمة بمفاهيم دينية وبتقاليد خاصة معروفة عندهم ، والتـي ظلـت موروثة الى يومنا هذاً [1].

وقد ظهر في بعض المكتشفات الأثرية وفي أحوال نادرة رسوم دهنيـةُ مثبـة علـى الأنسجة بدلاً من صبغها ، وكانت على شكل خاطات لونيـة ذات أصـول مختلفـة عضوية وحيوانية أو مساحيق ملونة وكانت هذه الألوان تخلط بمادة الشب لتثبيتها .

أما الألوان الشائعة في وادي الرافدين فهي عموماً الأزرق بأطيافه المتعددة ، وكان أهم مصدر للحصول على مثل هذا اللون هو حجر اللازود إضافة الى نبات النيلج أو النيل،

وعرفوا اللون الزجاجي المستخرج من أملاح النحاس ، وكان الآشوريون يستخرجونه من كاربونات النحاس القاعدية ذات اللون الأزرق (شكل – 39)

ومنذُ وقتٍ مبكر عرف السومريون اللون الأزرق المخضـر والرمـادي والأصـفر وتدرجاته وعرفَ منه البرتقالي ، وميزوا بشكل واضح بين اللون الأصفر والأخضر في تعابيرهم [2]

بالإضافة الى هذا إستخدموا اللون الأبيض ، الذي يكون عادةً من الحجر الأبـيض بعد طحنه وخلطه مع ألوان أخرى ربما كان ذلك للتقليل من قـوة ودرجـة اللـون ، وكذلك استعمل اللون الأسود المستخرج من حرق الأخشاب ومواد أخرى تنتج السخام

1- د. وليد الجادر ، **مرجع سابق** ، ص . 246

2- د. مؤيد سعيد ، **مرجع سابق** ، ص. 100

لزيادة قوة اللون ، وعرفوا الصبغة الذهبية ، وكما ظهر في تـزيين الأعمـدة فـي الفسيفساء المخروطية حيث لون بالأبيض والأسود ،

وهناك ألوان أخرى كالأخضر والأحمر كانت قد اسـتخرجت مـن مـواد طبيعيـة أوعضوية كالنباتات ، ومن الغريب أن اللون الأسود لايرمز الـى الحـزن ، لكـنهم يعتقدون بأنه يزيل آلام الرأس أو للتخلص من بعض الأوجاع الجسمية[1] .

وانتشر إستعمال هذه الألوان فشملَ الآشوريون والبابليون ، وفي الواقع تشير الآثـار الى أن هذه الصبغة يراد بها تشبيه لمعان اللون الأزرق بلون الذهب .

واستخدم اللون الأزرق بأطياف متعدده ، واستعمل في تزيين الآثاث الحلي السـتائر، وميز الآشوريين الخلطة الزرقاء المنفذة على الأنسجة عن تلك التـي تسـتخدم فـي التزجيج أو الطلاء . [2]

أما اللون الأحمر بأطيافه ودرجاته العديدة ، فقدَ تمكن سكان الرافدين من إسـتخراج أنواع عديدة منه ٌأستعملت في نواحي كثيرة ، ومنها العمارة وتزيين الجدران الداخلية للبناء ، وهو يرمز الى تعاويذ مثل طرد الأرواح الشريرة والمرض ، ولهـذا وجـد بكثرة في العمارة المدفنية ،

وكذلك رمز اللون الأحمر الى القوة الجسدية والنشـاط ، وتعـدى إسـتعماله عنـد الآشوريون الى العلاجات النفسية ، ووجد هذا اللون في مناسبات عديدة مجاوراً للون الأزرق [3].

ويحدث أحياناً أن تصبغ ُأطر الأبواب باللون الأحمر ، ولايمكـن أن يكـون هـذا خياراً جمالياً بقدر ماهو خياراً نابع من الطقوس والرقي ، وكان يعتبر مخيفاً للأرواح الشريرة ويبعدها وبذلك يحمي المداخل ، وكان اللون الأحمر يستحصل من أوكسـيد الحديد على شكل صباغ أحمر اللون قابل للحل بالماء ، وإعتمدوا مصادر وأنواع من

1- جورج كونتينو، **مرجع سابق** ، ص . 72

2 - د. وليد الجادر، **مرجع سابق** ، ص. 363

3- وفي أحدى النصوص الطريفة التي عثر عليها ، وترجع الى الملك البابلي نبو خذنصر يتضمن بشكل طريف عملية خلط النسب الخاصة بتحضير الألوان ((مايعادل 1500غرام خلاصة القرمز – صبغة زرقاء – ومقدار مايعادل 80 غراما من الفضة و250 غراما من زيت الآس)) /أنظر ، د. خالد الجادر.مرجع سابق ،ص . 366

الإصول النباتية والمعدنية للحصول عليه عند البابليين والآشـوريين ، إضـافة الـى إعتمادهم في الحصول عليه من مصادر حيوانية ، مثل ديدان الأشـجار ومنهـا دودة القز أو القرمز الذي إستخرج منه اللون القرمزي، ويسمى بالأحمر القاني[1]

وعرفَ الآشوريون إستخلاص أنواع وأشكال اللون الوردي والأحمر المصفر وهـو لون الذهب ولعب الفينيقيون دوراً هاماً في تزويد سكان الرافدين بالصبغة الضرورية والرئيسية للحصول على اللون الإرجواني وذلك من القواقع الخاصة التي إشتهرت بها سواحل صور.

استُثمرت غَزارة الألوان في العمارة الإسلامية بحذاقة فـي التـزيين الخـارجي والمعالجات الداخلية لبيوت ا ، وذلك بإستعمال التزجيج المعشـق ، الـذي ينسـق ويتآلف مع الفسيفساء التي يغلب عليها اللونين الأزرق والفيروزي الغامق ، وتعكـس ماهو موجود في الطبيعة ، ومن خواص الزخارف الإسلامية الصحيحة هي تـراص الألوان المتعاكسة وتجانسها في المساحات الكبيرة . بحيـثُ تتشـابك بتنـاغم مـع المساحات البارزة والُمنيرة (Accentuate) [2] لتخلق إنطباعات لونية أخاذة .

1- لقد وردت كلمة اللون ومشتقاته تسع مرات في سبع آيات كريمة .

2- د. وليد الجادر، **مرجع سابق** ، ص. 368

الفصل الرابع

فنية المنشآت المعمارية في وادي الرافدين
وقيمها الجمالية

- الزخارف المعمارية

- الظاهرة الجمالية في عمارة الرافدين

- العملية الإبداعية وإنعكاساتها الجمالية .

تمهيد

الحضارة كما وصفها الدكتور علي القاسمي: (هي حصيلة التراكم الكمي والكيفي لإسهامات الشعوب المختلفة وخبراتها) .

والعمارة تعكس درجة إنسجام الإنسان مع محيطه ، وهي تساهم في تأطير المجتمع المدني والإستجابة الى إحتياجاته وتسيير حياته والرقي بها ، ومن ثمة فهي تكتسـي بعداً سياسياً وعمرانياً، وتدخل في علاقة جدلية مع الحكم بحيث يصير العدل أساسـاً للملك وشرط إزدهار العمارة . [1]

وقد تعرفنا من خلال هذه الدراسة في الفصل السابق أن سـرجون ونبوخـذ نصـر وحمورابي ، إهتموا إهتماماً بالغاً بالعمران والعمارة إهتمامهم بمزاولة السلطة والحكم .

وقد إستفادت الشعوب التي تلت الحضارة القديمة الممتدة من العصر السومري الـي العصر الآشوري ، من الموروث العمراني والمعماري والفني وظلت الأساليب القديمة تعيش وسط هذه الشعوب مثلما نراه في عمران وعمارة بغداد العباسية ،الذي جسـدته شخصية الخليفة ابو جعفر المنصور وهو يشبه في ولعه بالبناء وتأثره بالتخطيط مـن بعض الأوجه الملوك الآشوريين العظام حيث وقع إختياره على الشكل المستدير لمدينته بغداد ،على غرار مدن عراقية قديمة مماثلة لأسباب موضوعية مثلمـا يـرى إحسـان فتحي نقلا عن إبن الأثير[2]

وبعد مرور السنين تجسدت هذه الإمور في شخصية أبو جعفر المنصور باني بغداد ، فبالرغم من ممارسته للسلطة ، كان عارفاً بالفقه مقدماً الفلسفة محباً للعلماء ، وقد كان مولعاً بالعمارة ، فشيد الهاشمية بالقرب من الكوفة حال توليه الخلافة لتكون مقراً له ، و إختار المنصور لبغداد الشكل الدائري(شكل- 40) الذي تعود جذوره الـى شـكل البناء السومري في مراحله الأولى ، وفي عمارة مدينة الحضر التي ظهرت بـالقرب من مواقع الحضارة الآشور

وتتصل الفنون بشكل عام بروح الحضارة للفترة أوالعصر أو الكتلة الزمانية ، وإن الدراسة العلمية لما صنعه الإنسان ، ومايرتبط به من مواضيع وأحاسيس تساعدنا على فهم أعمق للحضارة ، وهذا يوضح لنا معرفة أفضل في إسـلوب تفكيـر الشـعوب ،

1- د.علي القاسم،**العراق في القلب،دراسات في حضارة العراق** ، بيروت.المركزالثقافي العربي2004،ص. 71

2- د. احسان فتحي . د. جاسم الدباغ ، **مجلة الثقافة الجديدة** . العدد290. دمشق 1999، ص. 32

ويكون الحكم على القيمة الفنية والمستوى الجمالي لمجموع الأعمال المرتبطـة بواقـع إجتماعي وإقتصادي

أن الكثير من الآثار العراقية كالحلي والأواني تدلنا على التحول من الجانب النفعي الى الجانب الجمالي لأنهما يشتركان بنفس الهدف والنتيجة.

وعرفت التماثيل المصنوعة من الطين أو الحجر ، التي تـرتبط مواضـيعها بالعبـادة والخصوبة ، الناحية الجمالية التي يمكن أن نتحسسها ، وهي في هذه الحالـة تعكـس جانب التقديس والجلال .

ثم إنتقل الشكل من الواقعية الى التحوير أو التجريد ثم الرمزية ، وربما أُريد من خلال هذا كإسلوب تعبير عن اللغة في رؤية الشئ ، مع الإرتباط في علاقات أخرى كالمعتقد والتأثيرات البيئية .

ودراسة كل هذه العناصر تمنحنا معرفة المزيد عن ما كان يفكر به إنسـان العصـور القديمة .

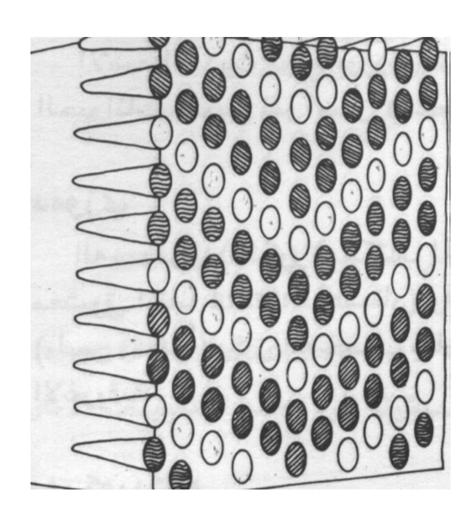
الزخارف المعمارية

1 - الزخرفة بالمخاريط الفخارية .

المخاريط الفخارية هي أشكال مصنوعة من الطين المفخور أو الجص يبلغ طـول الواحد منها عشرة سنتيمرات تقريباً وعرض رأسه 2 سنتيمتر، شبيه بالمسمار، رؤوسها مستوية ومزينة بحزوز ملونة بالألوان السوداء والبيضاء والحمراء ، تغرز هذه المخاريط بالآلاف بطبقة من الطين ، على الجدران أو الأعمدة وأنصاف الأعمدة ، وتـم تنظيمهـا لتؤلف أشكالاً زخرفية فسيفسائية تشبه في مظهرها أشكال المنسوجات ، وهذا يقودنا الى إفتراض قربها من طريقة نسج الحصر .

وقد شاع إستعمالها في بلاد الرافدين لقرون عديدة ، وظهر إسـتعمالها أول مـرة عنـد السومريين [1]، وفي قاعدة الجدران والأعمدة ، وهذه الطريقة في عمل جـدران متينـة مكسية بالفسيفساء تعد صفةً مميزة لعصر فجر التاريخ كله ،

1- انطوان مورتكاد ، **مرجع سابق** ، ص. 23



رسم تخطيطي يبين طريقة غرس المخاريط الزخرفية

وهذه الطريقة تتلائم بشكلٍ ما مع الطبيعة السومرية ، ويبدو أن هذه الممارسة لم تكن في مجال العمارة فحسب ، بل والى حدٍ واسع في الفنون التشكيلية حتى نهاية العصر السومري ، وزينت بعض الجدران المبنية بالطين بالحجر الملون ، بإستعمال نفس الطريقة في غرس القطع الحجرية الصغيرة بالطين .

وهذه الأحجار حمراء وسوداء وبيضاء مثلت جدران الفناء ، ويبدو الصرح برمته وكأنه أشبه بإنتقال من البناء الحجري الخالص الذي يمثله الحجر الكلسي الى بناء من الطين مُدعم بواجهات حجرية ،

وربما كانت هذه الدعائم الفسيفسائية المُزينة بأشكال زخرفية في الغالب زخارف هندسية طبقاً لأجزاء المادة المكونة للشكل الزخرفي ، لم تكن سوى بديلاً لشكل الأعمدة الحجرية ، وإن الأعمدة والدعائم هي عناصر تكوينية في البناء.[1]

إن دراسة الأشكال الزخرفية تؤكد بأنها لاتعني سوى أشكالاً فَرضتها طبيعة المادة المُستعملة بالرغم من طابعها الديني ، ووجودها في مكان مقدس عند السومريين ، وإحتوائها في الغالب على ثلاثة الوان هي : الأحمر ، الأسود ، الأبيض ، ربما كان لدلالات ومعاني فلسفية وتعبدية .

1- د. عبد العزيز حميد ،الزخارف المعمارية، **حضارة العراق**.ج9 ، دار الحرية للطباعة . بغداد 1985، ص. 371

ومن الملاحظ أن واجهة المعبد ومداخله كان زاهياً وبراقاً ، وكانـت الزخرفـة ذات الألوان البراقة والأشكال المختلفة التي تؤلف الواجهة والزخرفة التي تفيض حركة وحياة وقد وفقَ السومريون في طريقة تدرج أنواع زخارفهم ، فكانت الزخارف تصـبح أكثـر تسطحاً وأقلُ عمقاً كلما زاد إرتفاعها ، وهي لاتعدو أن تكون طريقـة لإحتـرام قواعـد الزخرفة ومنطقها[1]

2- الزخارف الجصية

عرفَ العراقيون الزخرفة في الجص وذلك منذ عصور موغلة في التاريخ ، فـبلاد الرافدين غنية بحجر الكلس ، الذي يتم منه الحصول على الجص وذلك بحرقه وسـحقه فطليت به الجدران ثم نقشت عليها أشكالاً زخرفية ، (الشكل- 41)

إن فكرة إضافة مادة الجص وتغطية الجدران بها في الحجرات والدهاليز والأجنحة في المنشآت المعمارية فكرة شرقية أساسها وادي الرافدين وبلاد فارس لطبيعة المنـاخ الذي يسودهما ، ولما يتسم به الجص كمادة عازلة وحافظة للرطوبة ، ومنها انتشـرت فكرة إستخدام الجص في التكسية الجدارية والزخرفة لمناطق أخرى في العـالم القـديم كالإغريق والرومان وغيرهما ، فأخذوا تلك التقاليد الفنية المتصلة بتـزيين واجهـات الأبنية المبنية من الآجر،

تتميز الزخارف الجصية بإسلوبها الفني والتقني العالي[2] ، ومن أقـدم الزخـارف الجصية المكتشفة في العراق في القرن الأول الميلادي في عمائر مدينـة آشـور ، كذلك الزخارف الجصية المكتشفة في منشـآت الوركـاء فـي معبـد (كـاريوس) ، والزخارف في كلا الموقعين عبارة عن نقوش هندسية ونباتية بسيطة تتخللها رسـوم بعض الحيوانات عثر عليها في بلاد بابل فضلا عن مكتشفات أخرى لـبعض القطـع الزخرفية في المسرح الإغريقي ببابل ، وظهرت نفس الفكرة في آشور باستخدام نفس الأساليب السابقة التي عرفتها بابل ، حيث تم دمج الفكرة البابلية لإظهار تأثير الضوء والظلال على عناصر الزخرفة المعمارية ، ويزداد تأثير النسيج الزخرفـي عنـدما

---

1 - د . عيسى سلمان حميد ، **مرجع سابق** ، ص . 31

2- د. حسن الباشا ، **مرجع سابق** ، ص . 57

يتعرض لأشعة الشمس المباشرة ، وكل التأثيرات التي ظهرت تؤكد إستمرار التقاليـد البابلية القديمة في مجال المخطط الزخرفي[1] .

هذه القيم الجمالية المتمثلة في الزخارف الهندسية والنباتية ، ورسوم الكائنات الحيـة وما أضافته عليها الألوان والضوء والظلال من رقة وجمال ، سوفَ يستمر أثرها في المنظومة الفنية للآشوريين مثلما يتضح ذلك في الصور الملونة لقصر نبو خذ نصر ،

ومن الأدلة على ذلك ، المزار الصغير الملاصق لجدار معبد آنو – أنتم في الوركاء المُشيد من الطابوق وواجهته مُزينة بزخارف تتألف من صف من أصـناف أَعمـدة ملتصقة ، تقسم الواجهة الى دخلات تعلوها أقواس ،

وهناك معبد كاريوس في الوركاء وهو مشيد من الطابوق وإحتـوى علـى العناصـر الأساسية للمعابد البابلية التي إشتملت على مقدمة خلوة ، وخلـوة – مصـلى وقاعـدة لوضع تمثال الإله ، وتظهر التأثيرات الهلنستية على الواجهة التي تضمنت زخرفتهـا أنصاف أعمدة محززه وأقواس تقوم على الأعمدة ، لتشابه قوس نصر روماني ، ولكنه لايحتوي على زخارف ، بل هي أشكال لكلاب وتنين مجنح ذي ذيل طويل طلي هـذا المعبد من الخارج بطبقة من الملاط البراق الذي يضيف له اللمعان والحماية من تقلبات الأحوال الجوية ، ومن تقاليدهم الفنية هو تزيينهم لقاعد الأعمـدة بأشـكال زخرفيـة هندسية ، [2]

وفي العهد العباسي تطورت الأشكال الزخرفية نظراً للإستقرار والثـراء حيـث إنصرفَ الناس للبناء والتشييد ، وإنعكس هذا على الفن المعمـاري ، واسـتعمل فـي أظهار الأشكال المعمارية .

تعتبر الزخرفة بالجص من أكثر الزخارف المعمارية شيوعاً في العمارة الإسـلامية ، وزخرفة جدران القصور، والمساجد أيضاً حيثُ إعتبر ذلك في نظر الفقهاء تبرعاً وهو من تعظيم شعائر الإسلام [3]

---

1 - مارتين جونز ، **نبش الماضي** . ترجمة د . أحمد مستجير ، مصر 2004 ، ص. 281

2 - د. واثق إسماعيل الصالحي، العمارة في العهد السلوقي والفرثي. **حضارة العراق ج 3** ، دار الحرية للطباعة . بغداد 1985، ص . 209 – 212

3- د. عبدالعزيز حميد ، **مرجع سابق** ، ص . 372

إن من أقدم الزخارف الجصية التي اكتشفت في بلاد الرافدين ، كانت قد وجدت في قصور ترجع الى القرن الأول أوبداية القرن الثاني للميلاد وذلك فـي مدينـة آشـور الواقعة على نهر دجلة ، وكذلك الزخارف الجصية المكتشفة في معبد (كاريوس) الذي يرتقي الى القرن الميلادي الأول بمدينة الوركاء ، وتحتوي هذه الزخارف فـي كـلا الموقعين على نقوش هندسية ونباتية بسيطة تتخللها رسوم بعض الحيوانات ، وسـجلَ تطوراً في شكل الزخارف الجصية في بعض المدن العراقية ، ترجع الى القرن الرابع والخامس الميلادي ، في العصرين الأموي والعباسي[1] .

3- **الزخارف الآجرية**

لعبت الزخارف الآجرية دوراً جمالياً في مباني وواجهات بـلاد الرافـدين ، فـي العصر البابلي والآشوري ، بالرغم من قلة الشواهد التي تدلُ علـى إسـتعمالها فـي العراق قبيل الإسلام ، وظهرت هذه الزخارف في الكوفة والبصرة ، في العصـرين الأموي والعباسي ، وكانت هذه الزخارف موجودة في جـدران قصـور وحمامـات وخانات المدينة المدورة (بغداد) ،إن أقدم النماذج في زخرفة الأطباق النجمية كان قد ظهر على زخرفة الحجر ثم الفسيفساء وبعدها في الرسوم الجدارية ، ثم تَطور هـذا النوع من الزخرفة الآجرية في القرن السابع الهجري

، وتجسد في المباني العباسية وأهمها زخارف واجهة المدرسة المستنصرية ببغداد[2] ويلاحظ فيها الزخرفة الهندسية مايطلق عليه إسم (الزخرفة الحصيرية) وهي طريقة رصف الآجر بطريقة بسيطة ينتج عنها مايشبه نسيج الحصـر ، لتشـكل زخـارف هنديسة متناسقة ، بخطوط مستقيمة ومتداخلة ، وكلما زادت تعقيداً صـارت أجمـل تأثيراً في نفس المشاهد ،[3]

وهناك نوع آخر من الزخارف الآجرية الا وهو الإستعانة بالقراميد المزججة ، وقـد ظهر هذا على باب عشتار ببابل ، أو ما يسمى بالخزف المعماري في زخرفة البناء ، وظهر في العهد الإسلامي في قصر الإمارة الذي شيده الحجاج بن يوسف الثقفي سنة

1- نفس المرجع ، ص . 378

2 - د. وليد الجادر، **مرجع سابق** ، ص . 362

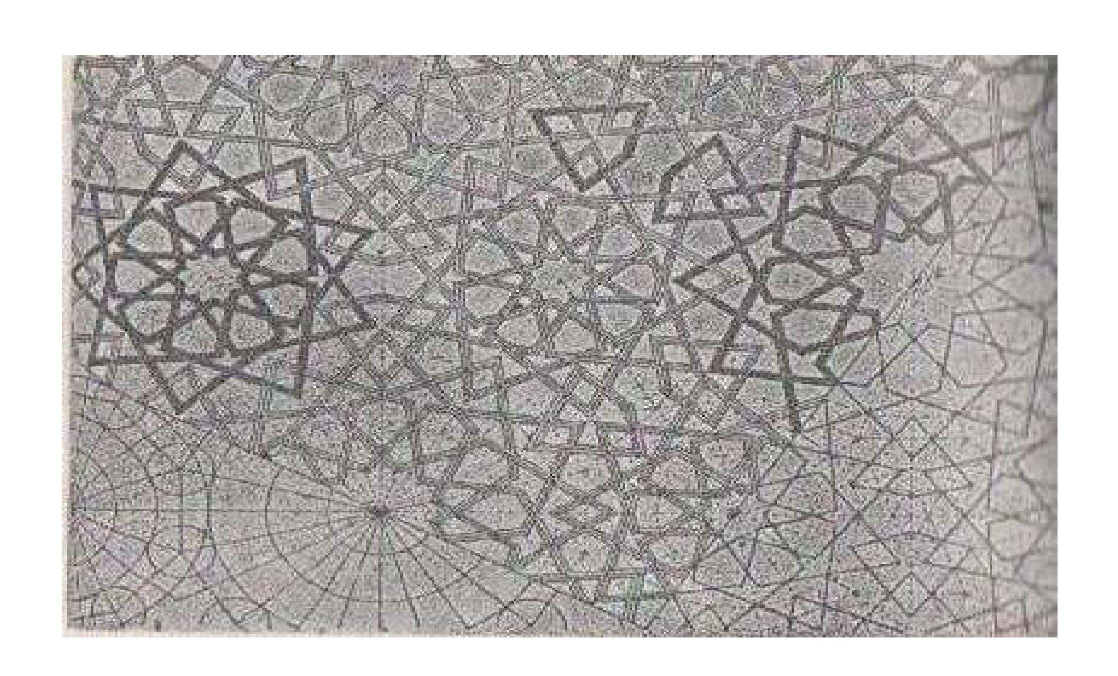
3 - د . عبد العزيز حميد ، **مرجع سابق** ، ص . 411

83ه / 710م . وكانت قبته خضراء ، ولاشك أن إخضرار القبة كـان مـن نتيجـة إكسائها بالقراميد المزججة الخضراء

، وتجسد في المباني العباسية وأهمها زخارف واجهة المدرسة المستنصرية ببغداد[1] ويلاحظ فيها الزخرفة الهندسية مايطلق عليه إسم (الزخرفة الحصيرية) وهي طريقة رصف الآجر بطريقة

بسيطة ينتج عنها مايشبه نسيج الحصر، لتشكل زخارف هنديسة متناسقة ، بخطوط مستقيمة ومتداخلة ، وكلما زادت تعقيداً صارت أجمل تأثيراً في نفس المشاهد ، [2]وهناك نوع آخر من الزخارف الآجرية الا وهو الإستعانة بالقراميد المزججة ، وقد ظهر هذا على باب عشتار ببابل ،أوما يسمى بالخزف المعماري في زخرفة البناء،وظهر في العهد

الإسلامي في قصر الإمارة الذي شيده الحجاج بن يوسف الثقفي سنة 83 ه / 710م وكانت قبته خضراء ، ولاشك أن إخضرار القبة كان من نتيجة إكسائها بالقراميد المزججة الخضراء[3]



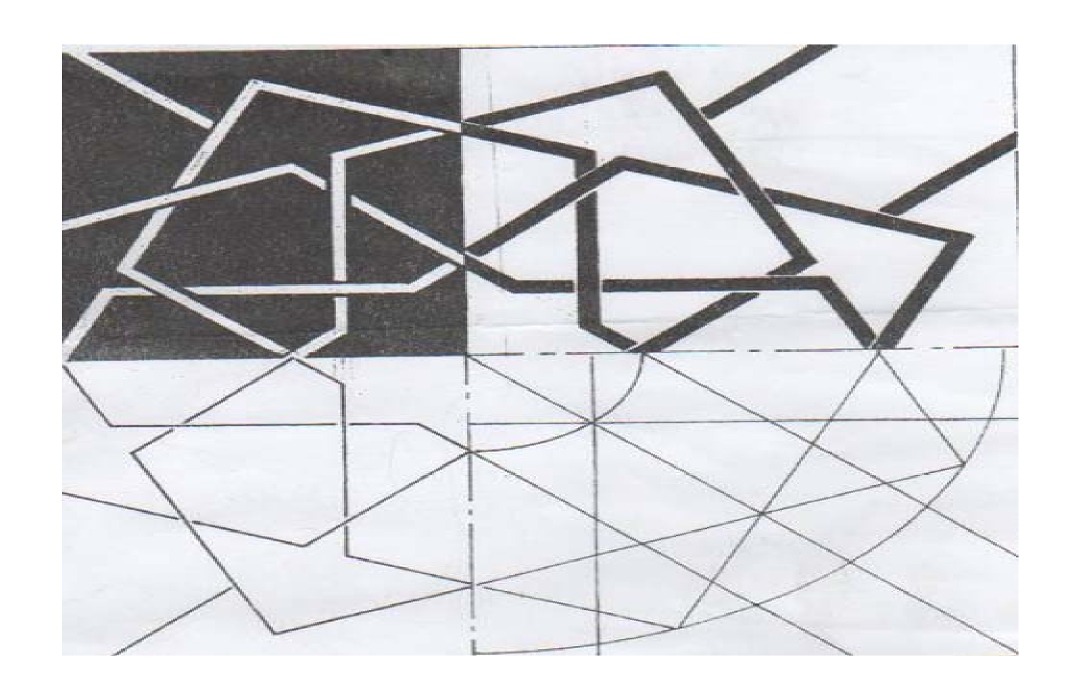
---

1 - د. وليد الجادر، **مرجع سابق** ، ص . 362

2 - د . عبد العزيز حميد ، **مرجع سابق** ، ص . 411

5- **نفس المرجع** ، ص . 415

دراسة تفصيلية لنموذج واحد من زخرفة الأطباق النجمية في الزخارف الجصية للمدرسة المستنصرية ببغداد.



رسم تخطيطي لنموذج واحد من زخرفة الأطباق النجمية في الزخارف الجصية للمدرسة المستنصرية ببغداد.

وقد كان قصر المنصور في المدينة المدورة يسمى قصر القبة الخضراء ، وقد ظلت قائمة لأكثر قبل خمسمائة سنة ، وكانت رمزاً لمدينة بغداد وهي في موقع بارز فـوق مرتفع وترى من مسافات بعيدة ، لكنها سقطت صيف 653 هجرية نتيجـة فيضـان عظيم تعرضت له المدينة ، ولازالت غالبية القباب في العـراق تكتسـي بالبلاطـات المزججة ، وقد إنتقلت هذه الظاهرة الجديدة في الزخارف المعمارية من العراق الـى بقية الأقطار الإسلامية التي تستخدم الآجر في البناء[1]

4 – **الرسوم الجدارية**

عرفَ الإنسان العراقي قديماً الرسوم الجدارية الملونة في أفضل أشكالها ، وذلـك في عصر جمدت نصر جنوب العراق حيثُ زينت جدران المعبد الملون ، وهو معبـد أُقيمت جدرانه فوق أرضية مطلية بالقار ، وكانت جدرانه مغطات بطبقة مـن مـلاط طيني بسمك 3- 5 سنيمتر ، صُبغت باللون الأبيض بواسطة مادة جصية خفيفة مـن الخارج ،

1 - عادل نجم عبو ، القباب العباسية في العراق ، رسالة ماجستير غير مطبوعة . بغداد 1976 .

أما في الداخل فقد ُطليت جدرانه بالماء الملون الثقيل عدة مرات حتى أصبحت الجدران ناعمة من الطين المخلوط بالتبن ، ثم ُطليت باللون الأبيض وهي المادة الجصية نفسها ثم قام الفنان برسم الأشكال باللون الأحمر أو البرتقالي وحددها باللون الأسـود الـى جانب اللون الأحمر ، وكان النظام الذي إعتمده الفنان في توزيع الألوان هو الحقـول الشريطية وهو الأفضل ، أما الأجزاء السفلى من الجدران فقد طليت بـاللون الأحمـر وعلى إرتفاع متر واحد تقريباً ، وتحتوي هذه الأشرطة على أشكال زخرفية هندسـية إرتفاعها 30 سنتمترا، أما الأجزاء العليا فكانت [1]مزخرفة برسوم أشخاص وحيوانات ولم يبقى من الرسوم إلا الأجزاء السفلى من الجسم ، بسبب فقدان الجزء الأعلى مـن الجدران ، وكانت رسوم الواجهة ذات طبيعة معمارية ، حيثُ تحتوي الواجهـة علـى دخلات وطلعات ملونة وبخطوط متوازية ، وتحتوي علـى نقـوش هندسـية تشـابه والزخارف الموزائيكية التي عرفناها في الوركاء[2] ،

ولابد أن يكون الإنسان في العراق قديماً قد إسـتخدم الألـوان فـي تـزيين مبانيـه وزخرفتها، وقد إقتصر إستخدام الألوان على تزيين المباني الدينية وذلك في العصور السومرية تحديداً، وعرف السومريون النقوش البارزه والمسطحة ، حيث إسـتخدموا الأحجار والمعادن والأصداف في إنجازها ، وزينت بها الأفاريز والأبواب وغيرها ،

وظهرت الرسوم الجدارية الملونة في العصر البابلي القديم أيضاً وفي مدينة ماري، حيث عثر على لوحة جدارية في قصر الملك زمريلم الأول ملك مـاري ، و بـدى وكأنه يتناول إشارات السلطة من الآلهة عشتار ، كما ُعثر على مشاهد أخرى ُتمثـل جنوداً محاربين ومنظراً أسطورياً يرينا الليل والنهار،[3]

وفي بوابة عشتار ُنقشت أشكال حيوانية خرافية مثل الثيران والأسود وحيوانات ، تبدو خيالية أو إسطورية ، وكانت الثيران ذات الـون البنـي ، خضـراء القـرون والحوافر ، وقد رسمَ حول ظهورها وذيلها خط أزرق ، وكانت الإسود بيضاء ُمضللة

---

2 - د. وليد الجادر ، **مرجع سابق** ، ص. 63

3- د. واثق إسماعيل الصالحي ، مرجع سابق ، ص. 192

1 – كان السومريون قد إعتمدوا هذه الطريقة في الرسم ، وقد ظهرت في الشكل رقم (28)

بالأصفر عند الأنياب والمخالب وطرف الذيل ، وهذا النوع من الزخرفة على الآجر كان معمولاً به في البناء في بلاد الرافدين منذ العصر السومري ،

ويشهد شارع المواكب وباب عشتار على الدور الذي لعبه الآجر في زخرفة المبـاني العامة في بابل في العصر الكلداني ، ولاشك إن هذا كان امتداداً لما كان معمولاً بـه في عصور عميقة في التاريخ ، نظراً لوجود بعض القطع الأثرية التي عثر عليها في المناطق الجنوبية وأماكن أخرى من أرض الرافدين وهـي تحمـل صـفات الآجـر الخزفي[1] ،

وهذه البوابة كما هو معروف عند البابلين تمثلُ المدخل المؤدي لطريق الإحتفالات والمواكب التي تقوم بتقديم النذور والهدايا الى الآلهة ،

وقام متحف برلين في إعادت بنائها بعد أن نقلت حجرة حجرة ، ليتيح لرواده مشاهدة أحد روائع الفن المعماري القديم دون الإنتقال الى بابل نفسها .

ويبدو أن النقوش المعمارية إمتدت من مدخل عشتار، الى الطريق المـؤدي الـى زيقورة بابل[2]، وتزدهر بابل بالكثير من المعالم الأثرية ، التي تحمل أشكالاً زخرفية أو لوحات جدارية مشابهة لتلك النقوش المعمارية التي ظهرت علـي بـاب عشـتار وتتميز بكثرة الألوان وتشابك الخطوط الزخرفية ، بالرغم من إندثار أوضياع أجزاء كثيرة منها ، أولإنعدامها نهائياً كالجنائن المعلقة ، وهذا نتيجة لظروف بيئية ومناخية ، ومن هذه المعالم تلك النقوش التي وجدت في فناء قاعة العرش الموجودة فـي أحـد قصور بابل الشاهقة ، وقد نقشت الزخارف الخارجية على الآجر المزجج . ويظهـر فيها موكب الإسود تعلوه أعمدة مترادفة صفراء اللون تشكل زخارف نباتية على شكل أعمدة أيونية تشكل تيجان مؤطرة بأفاريز مزخرفة ،

ينتهي التاج العلوي بأشكال دائرية على شكل تيجان وكل تاج يحتوي على مجموعة من زهور اللوتس ، أما الألوان فهي صفراء وسوداء وبيضاء ، ويبدو أن هذة التيجان تحملُ تأثيرات آشورية أو أنها جاءت من قبرص أو فينيقيا[3] . (شكل - 42)

---

1 - د. مؤيد سعيد ، الرسوم الجدارية منذ أقدم العصور . **حضارة العراق** . ج3 ، بغداد 1985، ص. 297

3 - د.ثروت عكاشة ، **مرجع سابق** ، ص . 62

1- د. عبد العزيز حميد ، **مرجع سابق** ، ص .412

وظهر التوافق التام بين العمارة والزخارف ،التي تشكلُ هـذا العـدد الكبيـر مـن الحيوانات البالغ خمسمائة وخمسة وسبعون تنيناً ومائة وعشرون أسداً، وكان الجـزء السفلي ُمزين بزهرة اللوتس
ويقابلها في الجزء العلوي صنفٌ من نفس الزهور في أحجام أكبر، ويتوج المبنى كله شرفات مسننة[1].
إنتقل هذا التأثير الفني على العمارة في العهد العباسي ، وخير شاهد بقي حتى وقتنـا الحاضر الزخارف الآجرية الموجودة في الواجهة الداخلية للمدرسة المستنصرية التي بناها الخليفة العباسي المستنصر با [2] (شكل 43)

4- **المنحوتات المُجسمة.**

وجدت في مدن متعددة من بلاد الرافدين مجاميع من التماثيل المجسـمة ، وهـي لرجال ونساء في حالة وقوف أو جلوس ، وتتقترب هذه التماثيل الى الواقعية، والإتقان في الصنعة ، أضافة الى مميزات أخرى في حركة التمثال وتفاصيله وزخرفته ،
وتميزت العمارة العراقية القديمة بالمنحوتات الكبيرة الملاصقة للجدران ، ويبدو إنها قد شملت جميع المراحل الحضارية ، لكنها كانت واضحة عند البابليون والآ شوريون ، وتتكون أشكالها عادةً من رأس إنسان وجسم حيوان وجناحي طائر ، وهي َتجمـع القوى العظيمة المسيطرة التي أولتها الديانة والأساطير العراقية القديمة كـل إحتـرام وتقديس.
وهي في ما كانت الأغاب تزين بها جدران المعابد والقصور ، وتتركز وظيفتها في إضفاء الهيبة والوقار على الصرح المعماري ، أو لطرد الأرواح الشريرة ، بالإضافة الى وظيفتها الجمالية التي تعبر عنها قوة التعبير والإتقان[3] ،
وقد َظهرت المنحوتات البارزة عند الآشوريون وشملت جميع مراحل الإمبراطورية ، حيث كان القصر الملكي الآشوري ُمتميز بالعظمـة ، وسـعة المـداخل وعلوهـا ،

1- خالد خليل حمودي الأعظمي . **الزخارف الجدارية في آثاربغداد** ،. رسالة ماجستير ، بغداد 1980، ص101
3- د. طارق عبد الوهاب مظلوم ،**مرجع سابق** ،ص . 90- 93

3- خالد خليل حمودي الأعظمي ، **مرجع سابق** ، ص . 102

ورفاهية الآثاث والأرضيات المفروشة بالسجاد ، وكانت جدران الغـرف والقاعـات ُمزينة بزخارف وأشرطة ُمزخرفة مكونة من ألوان متباينة ، ونقوش من الرخام بصفة عرضية .

وتعد القاعات الخاصة بالإحتفالات والتي تؤلف الجـزء الأكبـر مـن المجموعـات الآشورية المحفوظة في كل من لندن وباريس وبرلين[1] .(شكل- 44) .

إن أول الملوك الآشوريين الذين إستعملوا هذه المخلوقات الحارسة ، هـو آشـور ناصر بال الثاني ، رغم أن الكتابات الآشورية ُتشير الى وجودها قبل زمن هذا الملك لقد أدت هذه المخلوقات المركبة خدمتين أساسيتين : الأول كما سـبقَ ذكـره وهـو لحراسة المداخل وحماية المباني بطرد الأرواح الشريرة منها ، والثاني هو غَـرض معماري تزييني ، حيثُ أن هذه المخلوقات ُتغاف جدران المـدخل مـن الجـانبين ، إنسجاماً مع فكرة إستمرار الألواح المرمرية المنحوتة بالنحت البـارز التـي تـزين وتحفظ الجدران في المباني الآشورية

وتقابل هذه المنحوتات المشاهد بهيأتها الأمامية وهي واقفة بوضعية الحراسـة علـى زوج واحد من الأرجل ، بينما نحتت أرجلها الأربعة في حالة سير عند إمتداد المدخل ، فيكون مجموع أرجلها خمساً ، وهو أمر إقتضتها الضروره في إظهـار وضـعية الوقوف الأمامية وحالة السير الجانبية ، وهذه التماثيل تتألف مـن صـفائح المرمـر والجبس، وبفعل العوامل الطبيعية(أصبحت هشة عند إقتلاعها لأن الحجـر مـازال يحتفظ برطوبته الطبيعية ويأخذ في التصلب كلما جف)

ويبدو أن هذه الصفائح كانت توضع بمستوى الأرض ، ولم تكن تستعمل لصنع الأفاريز التي كان الإغريقيون يستعملونها ، وهناك آثار الربطات التي نحتت بعد تثبيتها في الموقع وقد غطت هدة المنحوتات مساحات كبيرة ، وهذا مايضعنا أمام صورة هذه الإمبراطورية وقوتها التي إستطاعت أن تنجز مثل هذا الشئ الكثير في فترة قصيرة من الزمن،

ذلك أن بناء خرسباد لم يستغرق سوى خمس سنوات تقريباً، وكانت موضوعاتها محددة وفي أغلبها مشاهد الصيد والرياضة [1]

1- د. عبد العزيز حميد ، **مرجع سابق** ، ص 413

6 - المنحوتات المحفورة

أظهرت الإكتشافات الأثرية أن هناك مجموعة من الرسوم الجدارية المحفرة ، والتي يمكن أن تشكلَ نوعاً من أنواع النحت الذي جسده الفنان العراقي القديم ، من خلال تنوع المواضيع الفنية ، التي أُنجزت بصورة خاصة في فترات مختلفة من السلالة الآشورية ، وكانت في عهد الملك سرجون تتصفُ بطول يفوق الحجم الطبيعي ، وكانت تفاصيل الصورة واضحة وتعكس المنظر العام الذي يضمها [2]،

إن الطريقة التي رسمت بها الحروف المسمارية كانت أولى المحاولات التي نفذت من خلالها الرسوم الجدارية المحفورة على الطين والحجر.

وكانت أغلب هذه الرسوم محفورة على قطع حجرية ترتب بالتسلسل لتعطي شكلاً فنياً يكون عادةً من ضمن بناء الجدار نفسه .

وأحياناً كانت تُلون بألوان الأبيض والأسود والأحمر لتزيد النقوش عمقاً، بدليل العثورعلى بعض الكسرالملونة بالأبيض والأسود في المسرح الإغريقي ببابل .

وجدت مثل هذه الرسوم في القصر في سلوقية ، وظهرت في آشور بطريقة تقليد سابقة ، حيثُ تم دمج الفكرة البابلية حول إستعمال الضوء والظلال، فيزداد تأثير هذه الرسوم عندما تتعرض الى ضوء الشمس مباشرةً [3].

الظاهرة الجمالية في عمارة الرافدين

تتميز عمارة بلاد الرافدين بالمظاهر والمعاني الجمالية التي ظهرت عليها منذ أقدم العصور، وإنتقلت بشكل تدريجي وتركت تأثيراتها على العمارة والبناء في وقتنا الحاضر ،حيث أن تاريخ بغداد مثلاً يعكس خليطاً إستثنائياً من التأثيرات الحضرية ، بدءاً بحضارة الرافدين القديمة ، الآشوريين ، العباسيين ، البويهيين ، السلاجقة ، المغول ، التركمان ، الصفويين ثم العثمانيين ، هذه الحقب التاريخية التي شهدتها

1- جورج كونتينيو ،**مرجع سابق** ، ص. 201

2- د. عبد العزيز حميد ، **مرجع سابق** ، ص. 391

3- د. واثق إسماعيل الصالحي، **مرجع سابق** ، ص. 202

بلاد الرافدين ، إنعكست على تكوينها الحضاري وتراثها المحلي ، فالتقاليد العراقيـة القديمة ،البابلية والآشورية ، كانت مصدراً لمجموعة من الإبداعات والتـراث الـذي أغنى المعمارالعراقي ،

وقد إمتزجت تدريجياً مع عناصر العمارة الإغريقية لتنتج عمارة ذات صفات متميزة ، مع وجود جميع العوامل الأساسية التي ترافق البناء كنوعيـة البنـاء ، والحاجـة الإجتماعية ، وتوفر الأموال اللازمة ، والتقنية والمهارة في البناء ، إضافة الى ماذكر من إمتزاج للتقاليد المعمارية المختلفة .

فمدينة سلوقية على سبيل المثال إحتوت على زقور وهي الصفة البارزة في عمـارة العراق القديم ، واشتملت على معابد ذات تصميم بابلي قديم ، وإحتوت أيضـاً علـى المسرح والملعب وعلى الاكوارا ، وهما من العناصر المهمة للمدينة الإغريقية[1]

وفي الأبنية القديمة وماتبقى منها هو عدد محدود ، تبدو المظاهر العامـة التـي جاءت بها حضارة الرافدين موجودة في العمارة الإسلامية وأهـم رموزهـا العقـود والأقواس والقباب ، والزخارف الجصية التي إشتهر بها الآشوريون ، ومن الشـواهد التي ترجع بنا الى عهد السومريون والآشوريون ، هـي نوعيـة البنـاء والأشـغال الهندسية ، والتزيين الداخلي الذي يعود الى تـاريخ إسـتعمال الطـابوق المفخـور (المشوي) والملون والمزجج [2]وهو يعود الى نفس الحقب الزمنية ، حيـثُ إسـتخدم لحل ُمعضلة عدم توفر مواد بنائية متينة كالحجر، وإدخل في البناء كمـادة للأعمـال النهائية ولتزيين الجدران والقباب في محيط ُعرفَ بمناخه القاسي (الشكل 45) ،

ففي مجال إستعمال المواد البنائية فإن عمارة بغداد تعتمد أساساً على القيم الجمالية لأعمال الطابوق ذي اللون الأصفر- البني والطابوق المزجج وعادةً مايكون أخضـر مزرق (التركواز) "وهو لون يميز عناصر الزخرفة والقباب في العمارة الإسلامية " والمؤشر الآخر هو إعتماد المخططات المعمارية على الإيوان ذي القباب الملتصـق بالفناء المفتوح المؤدي الى فناءآت داخلية أخرى ، إن الفناءات كما هو معروف كانت تتوزع ضمن المخطط العام للبناء ،

1- **نفس المرجع** ، ص. 206

2- د. وليد الجادر ، **مرجع سابق** ، ص. 81

ويبدو أن الهدف من هذا هو خلق سلسلة من متدرجة من الفضاءات المنغلقة على نفسها ، وهذا الإتجاه يتشابه مع الطريقة التي كانت تُعتمد فـي بنـاء المعابـد عنـد السومريين والآشوريين حيثُ تترك فضاءآت ومساحات وسطية أوخلفية بعد إحاطات البناء بالإيوان، وتبدو هذه الفكرة وكأنها تؤدي وظـائف كثيـرة مـن ضـمنها درء الفيضانات التي كانت تحدث كل موسم[1]، وتعتمد عمارة العراق القديمة على تـرابط العموميات المذكورة سابقاً مع وجود نمط وتكييف ُمتميـز ، وإن البنـاء بالطـابوق والخشب يعود الى أسباب بيئية ومناخية .

لكننا نجد أن العمارة في عصور متأخرة أصبحت لاتهتم بالإعتبارات الجمالية على حساب التنظيم الوظيفي ، ويمكن تفسير هذا التغيير من (الفضاء) (والإستعمال) لعدم ثباتهما في توزيع الفضاءآت في مخطط الدار العراقية ، فالغرف والإيوان والفناء ليس لها حدود إستعمالية ، ولايوجد تخصيص لغرف الطعام أو المعيشة أوالنوم ، وسـكان الدار ينتقلون ببساطة من غرفة أوطابق الى أخر موسـمياً أوحتـى يوميـاً ، نظـراً للإنعكاسات المناخية . ففي أشهر الصيف يهبطون للسرداب في وقت القيلولة ظهـراً ويصعدون الى السطح للنوم ليلاً. [2]

والعامل الآخر لهذه الحركة الداخلية هو عدم وجود آثاث محدد للإستعمال ، فلقد تمت معالجته معمارياً ، فإما أن يكون ضمن البناء أو يوضع على الأرض مباشرة لذا من السهولة تغيير مواقع الأفرشة والوسائد[3] .

تأثر الفن الإسلامي بفنون الحضارات الأخرى ، التي عاشت على نفـس الأرض وتأثرت بنفس الظروف البيئية والمناخية ، وأخذت الفنون الإسلامية هـذه التـأثيرات بشكل عبقري وفعال مع إضافات جديدة ، وتأثر المصورون ببعضهم بشكلٍ متواصل ، وبالطبيعة المحيطة بهم ، وهو مايدفع الفن الى أن تَبلغ حلقاتـه غايتهـا وتكاملهـا التشكيلي .

1- للعلم إن السيطرة على خطر الفيضانات كان قد حسم نهائياً عام 1956حيث أستكمل بناء مشروع سد الثرثار

2- إ د. إحسان فتحي . د . جاسم الدباغ ، **مجلة الثقافة الجديدة** العدد290 . دمشق، 1999 ، ص. 32- 34

2- د. ثروت عكاشة ، **القيم الجمالية في العمارة الإسلامية** ، القاهرة .1981، ص. 34

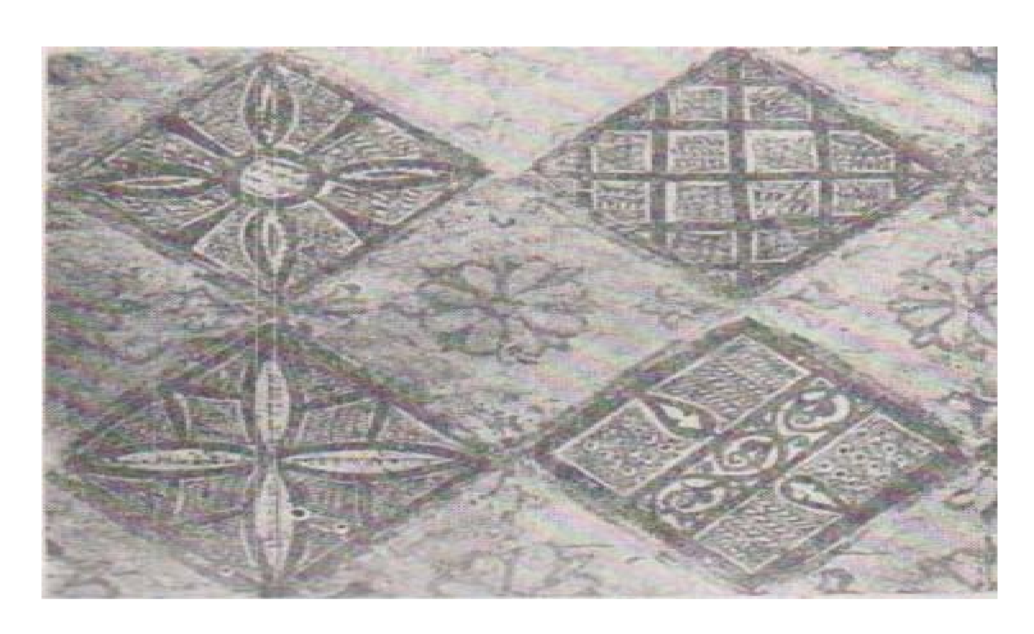
3 ـ د. وليد الجادر ، **مرجع سابق** ، ص. 81

إبتكر المصريون النظام المعماري (ماقبل الدوري) ، و أخذت منه أشكال الأعمدة النباتي الموجودة في عهد الإسرة الثانية عشر ، وأخذَ منه الإغريق وطوره حتى بلغوا فيه قوة الكمال .

وبدورها تأثرت القيروان بفنون الرافدين ، فلو نظرنا الى حشوات المنابر(منبـر جامع قرطبة بالقيروان) الذي يشكل مرجعاً للتأثيرات البيزنطية والساسانية يظهرعليه جلياً تطورات الفن الإسلامي وريث فنون الشرق القديم ، وتتمثل هذه التطورات في (المربعات الخزفية ذات البريق المعدني)[1] ، وجامع عقبة بالقيروان الـذي ُبنـي ببعض بقايا الأطلال الرومانية ، و كان يشكلُ حيزاً من الإبداع إنطلاقاً من خامـات ُأخذت من الأسلاف ، وكانت طبيعته نباتية تصميمية وتخطيطية وعناصرها المعمارية كلها أثرت في المنشآت المعمارية للمساجد في بلاد المغـرب العربـي، كالمسـاجد الزيرية ، الحمادية ، المرابطية والموحدية ، وتتشابه مآذنه بطابع القيروان المعماري ، الذي إنتقل بدوره الى الأندلس وتآلف مع تأثيرات مشرقية (ومثال ذلك في قرطبة) ، ثم عاد الى خصوصية الفن العربي الإسلامي في بلاد المغرب ممثلاً في قرطبة ثم غرناطة ،[2] وأهم مايميز شكل المأذنة قاعدتها المربعه ، بينما تأخذ شكلها المدور في بلدان المشرق الإسلامي .

---

1 - د . وليد الجادر ، **مرجع سابق** ، ص . 82



نماذج لبعض القراميد ذات البريق المعدني المصنوعة في العراق في القرن الثالث الهجري ،
وهي تزين اليوم المنطقة المحيطة بمحراب جامع القيروان بتونس .

إرتبطت العمارة في المغرب العربي بالأرث الأندلسي الى حدٍ كبير ، وهو في العمق وريث طابع القيروان المنبعث أصلاً من إسلوب العمارة في بلاد الرافدين في الفترة الإسلامية المتأثرة بدورها بالخصائص العراقية القديمة[1] ، وفي الواقع فإن مؤرخو الفنون أمثال جورج مارسيه ، وبروسبير ريكار، وهنري تيراس إختلفوا حول الأصل الزخرفي الموجود في المغرب العربي ، وإن إتفقوا على أن الأصل في الأندلس ، غير أن هناك من يرى إن أصلها الحقيقي يرجع الى بلاد الرافدين[2].

تكونت لدى العراق ثروة معمارية عبر الحضارات التي نشأت على أرض الرافدين ، وكانت حصيلتها مجموعة من النشاطات الفنية ، أفرزت أشكالاً تتابعتها الأجيال ونقلتها عبر المراحل التاريخية ، واستطعنا أن نتلمس هذا التدرج في الأشكال في كثير من المعالم المعمارية التي ظهرت في العراق وفي بغداد تحديداً .

2- د. عثمان إسماعيل عثمان ،.**تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى ج4،** مطبعة المعارف الجديدة . الرباط 1992، ص . 303

3- د. واثق إسماعيل الصالحي، **مرجع سابق** ، ص. 204

وقد إنصهرت هذه الموروثات لتفرز عمارة عراقية عربية نابعه مـن البيئـة المحليـة ، ومستمدة من جذور الحضارات القديمة ، إنعكست بـدورها علـى متطلبـات المجتمـع الإسلامي[1] ، كالمساجد والمدارس ، الأمر الذي أضاف اليها ملامح معماريةً متميزة كانت العمارة العراقية في العهد الإسلامي خاضعة للطريقة التي فرضتها ظروف ، مثل الحروب والفتوحات التي َفتحت آفاق التبادل ، ونقل تراث وعادات شعوب وبلدان مختلفة فضلاً عن المبادئ الروحية للإسلام ، بالإضافة الى التأثيرات الطبيعية والمناخية ،

و يختلفُ الشكل المعماري بين منطقة وأخرى ، فظهر شكل مدينة بغداد[2] الدائري في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور الذي راعى في تصميمها بناء الأسـوار مـن أجـل حمايتها ، وبنى قصره والجامع الكبير في وسطها وعلى مكان مرتفع (ويبدو أنه قد أخذَ هذا من العمارة السومرية) ، وكان المنصور يدرك بأن العدل أساس الملك وأن العمارة من أركان المُلك وإنها لاتزدهر الا بإقامة العدل .

تبدأ قصة إنشاء المدينة الجديدة بإختيار الموقع المناسب لها ، وقد إهتم الخليفة أبو جعفر المنصور اهتماماً كبيراً في هذا الموضوع ، وقام بنفسه في إختيار الموقع ، لكن أغلب كتب التاريخ والجغرافية والِسير تذكر بأن الخليفة َأمر مجموعة ممن يثقُ بهم من أهل العلم والمعرفة والفضل لتطوف بلاد الرافدين وتفتش عن موقع تتوفر فيه الشروط لبناء مدينة جديدة تتماشى وتطلعات الخليفة ، وذلك بعد أن نجح العباسيون في إسقاط الخلافة الأموية عام 133ه / 750 م ، فقرروا أن تكوة حاضرة دولتهم في العراق لأسباب عديدة ، منها موقع العراق ودور أهله في دعم الحركة والثورة العباسية ، ولعمقه الحضاري وتوفر ثروة مائية هي دجلة والفرات ، ثم الثـقل الإقتصادي والبشري الذي يتصف به العراق ،[3] وقد وقع إختيارهم على موقع يتوسط الرافدين على أرض سهلة زراعية ، يمكن الوصول اليها براً وبحراً بسهولة ، وتتميز أيضاً بمناخ جيد وحصانة

1- د. ثروت عكاشة . **مرجع سابق** ، ص. 74

2- بغداد عاصمة العراق الحديث أسسها الخليفة أبو المنصور على ضفة نهر دجلة عام 726م ، لتكون عاصمة الدولة العباسية إما معنى الكلمة فقد فُسر بمعاني كثيرة ويقال بانها كلمة أعجمية وتعني بستان التفاح .

3- د. عيسى سلمان حميد ، **حضارة العراق . ف1 .ج9** ، دار الحرية للطباعة . بغداد 1985، ص.29

عسكرية . وقد ارتاد الموقع وخَبره بنفسه واستفسر من الذين كانوا يسكنون فيه وأمر أن يبدأ البناء به عام 145ه/ 762م.[1]

يمثل تخطيط مدينه السلام قمة ماوصل اليه فن تخطيط المدن . والمعروف أن الخليفة هو الذي خططها . وأراد أن يرى شكل المدينة على الأرض قبل أن يبدأ البناء بها ، فأمر أن ُتخطط بمادة قابلة للإشتعال ، فأشعلَ النار فيها ليلاً فظهرت المدينة على حقيقتها ولكن الأكثرية تقول بأن المهندس (الحجاج أبن أرطاة)[2] هو الذي قام بتصميم المدينة لكن الفكرة والتوجيه كان من الخليفة أبو جعفر المنصور ، وهي تتشابه مع مدينة واسط الواقعة جنوب بغداد ، والتي بناها الحجاج بن يوسف الثقفي .

وعلى كل حال فأن تصميمها متقن جداً وتدويرها تام ، أسوارها ضخمة ومتينة يتوسطها الجامع والقصر ودواويين الدولة ،ُمشكلة بطريقة َمركزية وتحيطُ بها الأسوار السور الداخلي ، السور الأعظم ثم السور الخارجي[3]

وبهذا تتشابه الى حد كبير في تخطيط المدن السومرية كالوركاء ، والآشورية كنينوى.

وقد مرت على بلاد الرافدين فصول من التاريخ ، كانت تحملُ أحداثاً كبيرة أثرت سلباً أوإيجاباً في تاريخها على مر السنين . وكأي كائن تمر المدن والحضارات بدورات من الرقي والضعف والإهمال والسقوط وكذلك بغداد التي طالما مرت بحالات وأعراض من والتدهور والإنحطاط ، لكنها كانت في كل مرة تنهض من بين الأنقاض والأوجاع لتعاود الإقلاع والإرتقاء ، مثلما تبرز عشتار من العالم السفل بعد إطلالة الرب

أبدع المعماري العربي في إستخدام الطابوق ، وهو تقليد متوارث من العصورالقديمة واستعمل القيشاني لتغطية الجدران والقباب وصناعة الزخارف بأنواعها، (شكل – 46)

1- د. عيسى سلمان حميد ، **مرجع سابق** ص 32.

2- **نفس المرجع** ، ص. 33

3- ابن بطوطة (ابو عبد ا محمد بن ابراهيم الواثي) . **تحفة النضار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** ، بيروت 1964، ص. 72

وفقدت العمارة في العراق ثوبها المحلي ولبست أشكالاً غربية في اللون والنسـيج ، في فترة الخمسينات ، بعد مرورها بمحطات حضارية أثرت سلباً أوإيجاباً في الشـكل المعماري لبلاد الرافدين[1] ، بدأت تظهر تطلعات حديثة لدى المجتمع ، فإنحسـرت حرفة البناء بالطابوق وأكسيت الجدران بالأسمنت والمرمر أو أنواع من المعـادن ، وهذا في مدينة بغداد وبعض المدن الكبيرة ، لكنها ولحسن الحظ عادت وحافظت على شكلها الُمتميز بفضل معماريين عراقيين تلقوا تعليمهم في جامعات غربية أمثال رفعت الجادرجي وعبدا إحسان كامل[2]. (شكل - 47)

1- د . وليد الجادر ، **مرجع سابق** ، ص . 84

2- د. إحسان فتحي . د . جاسم الدباغ ، **مرجع سابق ،** ص.34

1- علم الجمال أو الإستيطيقيا .

2- العملية الإبداعية وإنعكاساتها الجمالية .

القيم الجمالية والفنية

في هذا الفصل نحاول إستخلاص العناصر الجمالية الكامنة فـي عمـارة بـلاد الرافدين، وتشكل محور البحث الذي يشملُ أيضاً التاثيرات الجمالية لحضـارة وادي الرافدين ، وإنعكاساتها على العمارة المعاصرة في المنطقة والعالم .

ومن المهم في الأمرمعرفة فلسفة الجمال عند الأقوام التي سـكنت أرض مـابين النهرين

ولتحليل الظاهرة الجمالية ، أو الإحساس بالجمال المطبوع في الأعمال الفنية الموجود في الآثار التي تركتها حضارة الرافدين ، من الممكن دراسة الفنون الزخرفية والنحتية التي إرتبطت بموضوع العمارة العراقية القديمة ، للتوصل الى معاني جماليـة الفـن وأقسامه وتفرعاته الكامنة في تلك الآثار ، فجوانبها الفنيةُ متعددة الأوجـه ، و منهـا النحت و النقش

هذا الإحساس الذي نسميه الجمال ، كيف فهمه هؤلاء الأقوام الذين سـكنوا أرض الرافدين ، هل هو تصرف فطري في طبيعة النفس البشرية ، أم هو نابع من الـروح الإبداعية ؟ إن كل الآثار وبقايا المدن تؤكد أن الجانب العلمي والجمالي كانا متوفران في التخطيط والبناء نفسه ، وكانا أساساً في إنجاز وبناء مراكـز التجمـع البشـري وممارسة الحياة اليومية في حيز سكاني يميزه الطابع الإجتماعي .

وهذه من مكونات حضارة الرافدين . وتكاد تكون القاسم المشترك لجميع الحضارات التي سادت في هذه الدنيا.

يتساوى الوجه الفني مع الوجه الحضاري، الذي يعرف به مقياس تقدم ورقي الأمـم والشعوب المعروفة بفنونها وتقاليدها وتراثها ،

أحياناً يتغلب الجانب الفني للدلالة على الأثر التاريخي ، ولكـن الفـن هـو تـوأم الحضارة وروحها، ولتأكيد هذه الفكرة فنحن نعرفُ إن أساس علـم الجمـال ، هـو تصرف فطري لدى الانسان لأنه يرجع الى مجموعة من النشاطات الفلسفية ، إرتبط

عند سكان الرافدين بالوعي وإدراك الأشياء ، كان بول فاليري يقول : (ولـد علـم الجمال ذات يوم من ملاحظة وشهية فيلسوف)[1].

ولكن ماهو تحديداً علم الجمال ؟ أصلاً فلسفة الفن تعنـي (الحساسـية) بمـدلوليها المعرفة الحسية (الإدراك) وفي هذا المعنى فإن علم الجمال هو علم الإحساس[2] .

إن علاقة الانسان بالفن علاقة متقدمة . فالانسـان المتـوحش فنـان ، والإنسـان المتحضر فنان . وكلاهما عبد للجمال ، والفن توأم الجمال .

ربما لم تكن هذه الاحكام مطلقة في علم الجمال لكن الصفة المشتركة هي(الإحساس) وبقدر مايكون البحث في (الفن – الجمال) تاريخيـاً ، فلسـفياً ، إجتماعيـاً ،بقـدر ماتتوسع المعارف للدخول الى دراسة الأثر الفني .

وعلى مايبدو فإن الفن خلافاً لجميع نتاجات النشاط الانساني(العلم. التقنية اللغـة .. الخ) يمتاز موضوعياً بتعدد الوظائف ، وبالقدرة على حل مهام إجتماعية متعددة .

وللفن قيم كثيرة منها : القيمة الترفيهية . وهي قدرت الفن على تقديم المتعة الجمالية وهو وسيلة إتصال وإستكشاف ، فلولا الفن لما استطعنا أن نتعرفَ على الكثير مـن المعالم الحضارية ، ووظيفته تنويرية ، لأنه يحمل في داخله نوعـاً محـدداً مـن المعرفة حولَ الحياة ، وهو بهذا يلعب دور الوسيلة الهامة لتنوير وتعليم الناس فهو إذن وسيلة تربوية

ربما وجدت هذه القيم بعض التفسيرات لوظيفة الفن، وعلاقتها بالمجتمع عنـد سـكان العراق قديماً ، وبها توصلوا الى المتعة الجمالية التي تكونهـا الوظـائف المـذكورة مجتمعة

ففي بناء المعابد نلاحظ الوظيفة التنويرية والوظيفة التربوية ، وفي بناء القصـور تتحقق الوظيفة الترفيهية والبعد الإجتماعي[3] ،

1- هربرت ريد ، **مرجع سابق** ، ص . 32

2- دني هويمان **مرجع سابق** ، ص . 15

3 - هربرت ريد ، **مرجع سابق** ، ص . 34

كان الإغريق يصفون الفن بالصناعة والفنان صانع ماهر، وقد حقق سكان الرافدين الوظيفة النفعية للبناء ، وبالتالي أصبح الفن نافع ومفيد لحياة البشر مثله مثل العلم أوالصناعة ، وكل نافع جميل ، كما هو معروف في الفلسفة الإفلاطونية .

كان العراق القديم َمهبط التجمعات البشرية التي نزحت اليه من المرتفعات الشرقية و إيران خلال عصور ماقبل التاريخ فإستوطنت هذه الجماعات ، وأصبح لديها وعياً جمالياً يتشكل فناً وزخرفة وعمارة في طميها وأحجارها فإستخدموا الطين (طمى النهرين) في صناعة الأواني والأدوات بدلاً من الحجارة ، فظهر التذوق الفني في بلاد الرافدين [1] .

إرتبطت روح الفكر الجمالي عند الأقوام التي عاشت قبل العصر الوسيط أو العصر اليوناني باللاهوت ،أي أن الآلهة هي التي تصنع وتوجه ، حيثُ أن الإمور الدنيوية كانت ُمرتبطة في شؤون الدين ، وكان من الطبيعي أن تـ ـنعكس هذه الروح على وظيفة الفن ودلالته ، فالفن هنا ليس قيمة مستقلة بذاتها[2].

إن وظيفته أو غايته الأساسية ليست في التعبيرعن قيم جمالية خاصة به وإنما تزيين معبد الإله ، وربما كان هذا الدافع الذي حملَ السومريون والآشوريون الى تزيين المعابد وإنجاز الهياكل المعمارية الخاصة بالآلهة ، التي تعلو على كل شئ في محيط المدينة أو المنطقة لأنها تحملُ أغراضاً دينيةً ُمقدسة ، وأصبحت الكاتدرائيات بعد ذلك أهم الأنماط المعمارية ، التي تحملُ الطابع الديني والتزييني حيثُ شملَ كل جدرانها الداخلية وأسقفها وواجهاتها وتيجانها وأعمدتها ، وهذا يعكس ويجسد مفهوم العصر

1- دني هويمان ، **مرجع سابق** ،ص . 17

2 – د. سعيد توفيق ، **مدخل الى موضوع علم الجمال** ، دار الثقافة للنشر والتوزيع . القاهرة 1992، ص .21

للجمال المرتبط بالدين ، وهي علاقة الجمال بالجلال أوالجليل ، وهو مفهوم لايمكن إدراكه حسياً، وإنما بالعقل الباطن والروحاني. [1]

والجمال هو شئ أوإنتاج حسن الصنع ونافع ، سواء أكان هذا الصانع الكون نفسه أومحاكاته بصنع شئ حسن ، وعلى ضوء النظرة الإغريقية للفن فإن الصانع بالضرورة ينتج شيئاً حسناً مفيداً وجميلاً ، وهكذا قدر للفكر الجمالي أن يكون تابعاً لاهوتياً . [2]

كان سكان الرافدين وهم الأقوام السومرية والآكادية والبابلية والآشورية ، ينجزون أعمالاً فنية كالأختام الإسطوانية والمنحوتات الصغيرة والكبيرة ، ويشـيدون الأبنيـة التي تمجد الإله والآلهة أوهي طريقة للتقرب من الآلهة ، يكون الفكر الجمالي عندهم متوجهاً نحوالجلالة أو الجليل حين يساوي الجميل الجليل ، وأصبحت كل الفعاليـات التي يقومون بها هي في نتيجة الأمر أعمال جميلة تنتج شيئاً مرغوباً ومفيداً وحسناً . ولأن علماء الإغريق فسروا هذا النوع من الفعاليات البشرية ، فنحنُ نخضع الأعمال الفنية التي أنتجتها الحضارات العراقية القديمة لفلسفة الجمال ،لأن المبدع عندهم كان بمنزلة كبيرة عند الآلهة.

علم الجمال أو الإستطيقيا Aesthetics[3]

عرفَ اليونانيون تأملات وتساؤلات كثيرة حول الكون وإنتظام الأشـياء وتجـددها وقوتها وذلك من قبيل تساؤلات كثيرة حول ماهية الفن وطبيعة الإبداع الفني والتذوق الجمالي

1- د. شمس الدين فارس . د سلمان عيسى الخطاط ، **تاريخ الفن القديم ط1،** بغداد 1980، ص . 45

2- هربرت ريد ، **مرجع سابق** ، ص . 35

3 - وهي كلمة مشتقة من الألمانية asthetich المستعارة من الأصل الإغريقي التي تعني الشخص الحساس .

إن إهتمام اليونان بالجمال هو إهتمام بفكرة ميتافيزيقيـة ، وبـنفس الإتجـاه يكـون إهتمامهم بالفن والقضايا المرتبطة به، ونتيجة لكل النظريات الفلسفية التي تناولت علم الجمال بما فيها الإنسجام في أجزاء الشكل نفسه ، يمكن أن يكون مستمد مـن نظـام الكون وتناوب الليل والنهار كذلك النظام أو الإئتلاف أي النسب المنسجمة التي نجدها في الموسيقى نجدها في السماء مثلاً [1].

تُعتبر مساهمات الفلاسفة الإغريق من أولى المساهمات المسجلة تاريخيـاً فـي مناقشة موضوع الجمال ومعاييره، ولاتزال أغلب طروحاتهم تمثل مصـدراً أساسـياً للكثير من الأفكار والنظريات في علم الجمال حتى يومنا هذا .

كان سقراط أول من خاض في هذا الموضوع بأفكـاره القاضـية بتطـابق وتماثـل وتزامن مفهومي "الجمال" و"الجودة"، فكل جميل يجب أن يكون جيداً ، وكل جيد لابد أن يكون جميلاً ، على أن كلاهما ينضوي تحتَ مظلة "الفائدة والقيمة"، وبهذا يكـون سقراط قد ربطَ الجمال بالقيمة الإستعمالية للاشياء ، واشترط فيـه الإسـتجابة الـى الحاجة العقلانية التي يسعى الإنسان الى اشباعها، أضافة الى أن سقراط كان يـؤمن بنسبية الجمال ، اذ ليس هناك جمال ذاتي لديه من دون تدخل العقل المدرك.[2]

أما افلاطون فقد كان يؤمن بالجمال المطلق المتأصل في الاشياء بشكل ضـمني، وكان قد حدد عناصر الجمال الأولية بمجموعة من الصفات شملت التناسب والتنـاغم والإنسجام والإتحاد والتكامل، التي قد تجتمع وتتظافر معاً، على سبيل المثال ، فـي ظاهرة بسيطة مثل إستقامة وسلاسة وإنسياب خطوط شكل ما ونقاء لونه.[3]

إن فكرة المحاكات عند إفلاطون ترجع الى تفسير عملية الإبداع الفني ، فتميزه بين المحاكات السيئة والمحاكات الصادقة ، هو تمييز بين الخداع والحقيقة ، ومثـل هـذه التفسيرات يتجه نحو التفسير الأخلاقي ، وهنا يتوصل إفلاطون الى الجمال الروحـي

1- د. شمس الدين فارس . د سلمان عيسى الخطاط **، مرجع سابق ،** ص 46

2- كتاب **أرسطوطاليس في الشعر** . ترجمة وتحقيق د. شكري محمد عياد ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر . القاهرة 1967 ، ص . 52

3- د. سعيد توفيق ، **مرجع سابق**، ص . 22

والإختلاف في تنظيم الشخص ، وليس الشكل الظاهر لأن الأول يبقى وينمو، والثاني زائلُ مندثر. [1]

إتخذَ سقراط موضوع الخير ، حيثُ يرى في المستحب يكمن الخير ، ولـيس العكـس ومن هنا يهاجم سقراط فنون عصره ، التي تهدف الى مجرد المتعة كالعزف على الناي أو القيثارة حيث إنه يرى في العمل الفني الذي لايجعل الناس أفاضل لاقيمة له .

لكن فيثاغورس كان يعتبر الموسيقى دليل لعملية التطهير النفسي ووقاية لها بـل إنـه إعتبرها وسيلة من وسائل العلاج النفسي ، من الناحية الطبية فإنها تحقـق نـوع مـن التعادل والإنسجام في الجسم ، ومن الناحية الدينية فإن المصطلح يشير الـى التطهيـر والتهذيب النفسي ، الذي يحدثُ عند الإنفعال الشديد للألحان المقدسة المصاحبة للطقوس الدينية ويرى بعض الباحثون(إن الفن بوجهٍ عام يكون ذا قيمة لأنه يعملُ على زيـادة المعرفة تحسين الأخلاق) [2]

مفهوم العلاقة الجدلية بين الفن والإنسان

يرتبط الإنسان بالفن بعلاقة متقدمة في التاريخ ، وقد مارس في نشاطاتة الحياتية ، عبادته فناً نقش على الحجر ورمى عليه من إبداعه، لونه، توهم إسـطورة ، جعـلَ الجدران معركة مصير فأصبح الفن توأم للجمال، ظهر الفن فـي الحيـاة المشـاعية البدائية بشكلين .

الشكل الأول :

هو شكل موضوعات النفـع الماديـة ، الأدوات والأسـلحة وكانـت فـي البدايـة عبارة عن أحجار بسيطة تم إنتقائها ثم شطفها ، أخذ بتشكيلها من جديد لملائمة الحاجة الإنسانية[3].

وكانت صناعة الفخار (الطينية) من أهم الصناعات التي مكنت الإنسان من تطويـع المواد لتلائم حاجتة ، وهذا نشاط إنساني موضوعي ، وبهذا يشـكل الفـن مجمـوع العلاقات الإجتماعية التي تشكل في مرحلة متطورة عملية الإنتقال بقدر كونه وظيفـة

1- د. شمس الدين فارس . د سلمان عيسى الخطاط ، **مرجع سابق ،** ص. 47

2- كتاب أرسطوطاليس ، **مرجع سابق** ، ص. 48

3- هربرت ريد ، **مرجع سابق** ، ص .35

فنية ، إن الأداة الحجرية هي إنجاز تكنولوجي وفني معاً ، فالإبداع الصـناعي أمـر يخص التكنولوجيا بقدر مايخص الفن ووظيفته .

الشكل الثاني :

يتمثلُ في الطقوس القائمة على العقائد السحرية ، وقد ظهر هذا الشكل في العصـر الحجري القديم ، الذي عرف فيه الإنسان الرسم والنقش منذ بداياته الأولى ، قبـل أن يكتشف الكتابة التي فتحت له الآفاق لمزيد من المعارف ، وكانت أداة للتواصل وتبادل المعلومات ،

رغم إنها ولدت من خلال رسم الرموز والإشارات الدالة على الشئ ، فتطور مع تطور القدرات البشرية[1] .

ونحن نعلم من خلال الدلائل التي كُشفَ عنها ، بأن ظهور الإنسـان العاقـل قبـل 4000 سنة ق.م الذي نقشَ وحفر رسوماً وأشكالاً حيوانية ، كانـت بمنتهـى الدقـة والواقعية ،وربما كانت على الأرجح هي(البداية الأولى للفن التشكيلي) ،وإن معظم هذه الأعمال الفنية في شكلها ومضمونها والظروف التي اقترنت بها لاتترك مجـالاً للشـك بأنها لم تكن فنناً من أجل الفن،بل إنها كانت تهدف الى خدمة المجتمع.

فالفن التشكيلي في بداياته الأولى كانت يحملُ وظيفة إجتماعية متأصلة في الحيـاة ، وتظهر الآثار أيضاً بأن الإنسان صانع أدوات حجرية ، وقد كشف هذا عن نمط عـام يمكن إيجازه بما يلي: [2]

1- ظهر الإنسان كقوة فنية من قوى الطبيعة وصانع للأدوات .
2- إن ملكة الإنسان الفنية تطورت مع الطبيعة ، وإقترنت بتقليدها.
3- كانت الوظيفة الإديولوجية تستهدف بشكل تام تقريبـاً السـيطرة علـى العـالم الحيواني ، والتقليد هو الذي ينتج الوظيفة الأديولوجية . في صنع شبهاً بلاستيكياً غرافيكياً. [3].

1- د . سعيد توفيق ،**مرجع سابق** ، ص. 67
2– هربرت ريد ، مرجع سابق ، ص .48
3 - د . سعيد توفيق ، **مرجع سابق** ، ص. 23

4- هناك جانب آخر ، هوأن الفن في عصر ماقبل التاريخ كان يلقي الضوء علـى أبعاد الوظيفة الفنية في مجتمع كان مشغولاً كلياً في السيطرة على الطبيعة

وبما أن من صفات الطبيعة التجدد ، فهي لاتنتهي ولاتنضب ، وكذلك الإنسان الذي يتجدد بدوره مع الطبيعة ، لذلك لايمكن تحديد الموضوع المرئي نظراً لتجدد العلاقة ، وإن العلم لايلغي أبداً وظيفة الفن التقليدية بالرغم من المراحل المتطورة التي بلغها ، ووصوله بالتالي الى أعماق المادة ، وهكذا فكما كان الإنسان في الماضي يمارس إبداعه الفني ، وجدت علاقة الإنسان بالطبيعة شكلها المحسوس في التعبير عن مجموعة من الصور، وتنتفي الحجة القائلة بأن الإنجازات العلمية قد الغت وظيفة الفن كتقليد أو وصف للطبيعة ، وتصبح هي بدورها ملغات بتأثير الإنجازات الجديدة للعلم ، بإكتشاف واقع مادي جديد ، عن الطبيعة والمحسوسات المادية، ومجموع النشاطات البشرية زماناً ومكاناً، وهو يعكس بطبيعة الحال شكل الحقبة الزمنية من تاريخ البشرية ، وعادت ماتكون هذه الحقبة مرتبطة بعوامل حضارية وبيئية ، ومجموعة معقدة من العلاقات البشرية والنشاطات الحياتية المرتبطة بالحاجة الجمالية[1] ،

يتباين التذوق الجمالي مثلما تتباين الجمتمعات البشرية بسبب تقنياتها الحضارية ، والتأثر الحضاري وسيلة وليس هدفاً ، فلا يمكن إعتبار القيم الجمالية في مجتمع قابلة للتطبيق في مجتمع آخر، كما هو معروف لقد بدأ الإنسان القديم برسم الحيوانات، وكانت تتصفُ بالحركة والنشاط.[2]

في الماضي مثلاً إختارت كل أمة طريقة لتجسيد رسم الخيول ، فقد جسد المصريون والآشوريون الحصان الجاري وهو يقف على ساقيه الخلفيتين ، ومنهم من صور الحصان وهو طائر في الهواء مع إظهار حوافره الأربعة مرتفعة عن الأرض

وتبدو الثيران المجنحة ذات الجسم الهائل ، التي كانت تحرس القصر الملكي ، لاتخلـوا من التفسيرات والمعاني الفلسفية[3] فهي إما أن تكون ذات معاني دينينة ناتجـة مـن

1- د ثروت عكاشة ، **مرجع سابق** ، ص . 63

2 - د. وليد الجادر، **مرجع سابق** ،ص .89

3- هربرت ريد ، **مرجع سابق** ، ص. 17

إقتباس هذا الشكل الغريب الذي يحملُ للمشاهد أشكال التعاويـذ والطقـوس الدينيـه ، جناحي الثور يبدوان بارزين ، في حين ُجعلَ الرأس والجزء الأمامي ثلاثي الأبعـاد ، ووضع الفنان للشكلِ رجلٌ خامسة بالإضافة الى أرجله الأربعة ، ولا تخلو هذه العمليـة من الحيلة أو (الخداع البصري) الذي يبدو من خلاله الشكل وكأنه في حركة مستمرة ، والفضل في ذلك يعود الى مهارة الفنان ، وخياله الواسع الكبير المرتبط أساسـاً فـي إخضاع الأشياء الفنية الى أفكاره ، التي فاقت الواقع وتعدتـه الـى التفكيـر الفلسـفي الجمالي اللاهوتي

من ناحية أخرى فقد تجسدت مهارة الآشوريين بواسطة تصوير الحيوانات كالأسـد المحتضر ، والدم النازف يخرج من فمه بطريقة ُمثيرة لأحاسـيس الإنسـان ، واهـتم النحت الآشوري في مواضيع الصيد وأشهرها الواح صيد الأسود المكتشفة في نينوى ، إستغل النحات الآشوري كامل مساحة اللوح ليعطي مشاهد مستمرة لعمليـة الصـيد ، فتظهر الأسود وهي في وضعيات مؤثرة متنوعة ، فبعض الإسود صورت وهي تهاجم العربة الملكية ، وأخرى مطعونة بالسهام .[1] (الشكل – 48) ،على أن أقوى التعـابير الفنية قد ظهر على مايعرف باللبوة الجريحة الذي أصيبت بثلاث سهام فـي جزءهـا الخلفي الذي يبدو ميتاً وهي تنازع أنفاسها الأخيرة ، تقف على رجليها الأماميتان وترفع رأسها الى السماء ، و تجر نفسها بكبرياء متحدية الصياد ، ثم صور الأسد وهو يغادر القفص. وتتميز هذه المنحوتات بالدقة في التعبير والأشكال الواقعية ، وأعطى للوحـة أشكال متدرجة معتمدا في ذلك على تجسيد العمق في اللوحة أو مايسمى بعلم المنظور كل هذه الصور الفنيه جديرة بالملاحظة والدراسة الفلسفية ، فقد أراد الفنان أن يظهـر التعابير المملوءة بالعاطفة ، أوالحزن وربما قوة الإنسان بالتغلب على الصعاب ، فضلاً عن القيمة الفنية العالية في تجسيد التفاصيل بدقة متناهية وقد تحققت الغاية في إخـراج موضوع متكامل يشمل عناصره الأساسية المتمثلة في الشكل والمضمون وهنا يكون[2]

1- هربرت ريد ، **مرجع سابق** ، ص. 19

2 ـ وليد الجادر، **مرجع سابق** ،ص.90

الفنان الآشوري قد أنجز أصول المتعة الجمالية في إتقان الأشكال وإظهـار المشـاعر واستثارتها [1] وجعلت هذه الأشكال الحقيقية منها والهجينة تفرض على المشاهد وحـدة الموضوع والتفكير في المعاني الفلسفية المحيطة به .

فالفن كأي قيمة معنوية لن يكون مطلقاً مثالياً، إنما هو مطلق إجتماعي ، وما فيه هـو التقاء في العموميات، والفن لن يكون بدون القيمة الجمالية، وإن كان في الفلسفة والعلم شئ من الجمال فهذا لا يعني انهما يدخلان في حقل الفن ،

لكن إفراغ الفن من الحس الجمالي يدخله بعد ذلك فـي المفهـوم الفلسـفي والعلمـي[2]

1- هربرت ريد ، **مرجع سابق** ، ص. 20

2- د ثروت عكاشة ، مرجع سابق ، ص . 65

الخاتمة

موضوع حضارة الرافدين القديمة واسع ومتشعب ، نظراً لإرتباطة بإمور كثيـرة تتعلق بنشوء الحضارة وتطورها ، كما هو معروف فإن الحضارة التي دامـت آلاف السنين تركت إرثاً حضارياً كبيراً من الإنجازات ، وكثير من المعالم والآثـار علـى المستوى المادي ، وعلى المستوى المعرفي العلوم والفنون .

والبحث في العمارة العراقية القديمة وحدها يتطلب دراسة عامة لمجمل الجوانـب المرتبطة بها وهذا شأن أي دراسة ، لكن خصوصية العمارة عند سـكان الرافـدين جعلها مرتبطة بشكل مباشر بالبيئة والمناخ ونوعية السكان وفعاليتهم .

فكان لابد من التعرف على هذه العناصر و معرفتها بشكلٍ شامل ، نظراً لإرتباطهـا المباشر بموضوع البحث .

هذه العناصر التكوينية المرتبطة بالبحث تؤدي بالنتيجة الـى تكـوين صـورة عـن الحضارة التي ظهرت الى الوجود قبل 4000 سنة تقريباً قبـل الميلاد،علـى أرض الرافدين وشكلت مجموع الحضارات ، السومرية ، الآكدية ، البابلية والآشورية .

إن هذه الحضارات تشترك في وحدة مكانية كونها نشأت على ضفاف نهـري دجلـة والفرات اللذان يقطعان العراق من شماله الى جنوبه ، وقد جسدت هذه الحضـارات هذين النهرين بالرسوم والمنحوتات ومنهما استمد إسمها وسميت بحضارة الرافدين .

وقد أبدع سكان هذه الحضارات في تطويع البيئة وتحويل عناصرها لصـالحهم مـن أجل منفعتهم والمساهمة في بنائهم الحضاري ، كإستخدام الطين الناتج عن الفيضانات الموسمية في البناء وصنع الأواني الفخارية والأختام الإسطوانية أو الرقم الطينية ،تلك الوثائق الخالدة التي عرفنا منها الشئ الكثير ، وبنفس الوقـت إسـتطاع السـكان أن يتغلبوا على الفيضانات بشبكة من الري وقنوات التصريف .

وهم بذلك يكونوا قد بذلوا جهوداً كبيرة في بناء حضارتهم ، وحققـوا النتـائج التـي جعلتنا اليوم نتسائل عن مغزى الإبداع الفني ، وفي الوقت نفسه نتعرف على العناصر الجمالية الموجود في هذه الأعمال التي شكلت محور البحث .

ولأنني إخترت عنصر العمارة المؤثر في الحضارة العراقية القديمة ، وبصـورة خاصة عناصرها الجمالية ، حيث أن هؤلاء الأقوام كانوا قد أسسـوا لمبـادئ علـم الهندسة ، وكل ماله علاقة بعلوم الأرض والمناخ ، وأبدعوا في إسـتخدام الخامـات المحلية في البناء وهي التي ساهمت في ترسيخ البناء الحضاري ، وكان لهـا الـدور الكبير في إظهار خصوصية البناء الحضاري لبلاد الرافدين ،

تبدو صورة المعبد الذي كان ُيسخر من أجل الإله وهو يكتسب التقديس والتعظـيم لمحاولة إخراجه بأحسن الأشكال من أجل إرضاء مقام الآلهة ، و يحاولون بنائه بشكلٍ عال من أجل السمو والتقرب من الإله الموجود في السماء من جهة ، وإضفاء الترفع والبروز على جميع النسيج العمراني المحيط به من جهة أخرى ، ووصفت الزقورات التي تمثل المعابد على أنها صلة الوصل بين الأرض والسماء ،(ومثال ذلك برج بابل الذي ورد ذكره في الكتاب المقدس) حيث كان أساسه في الأرض وراسه يكاد يضيع بين السحب ، وكان الملوك يأتمرون بأوامر الآلهة وكان الفن إلهياً ، وتتجسد المنفعـة الجمالية في هذا الشكل من التقديس والمفاضلة والجلال، لإخراج البناء بأحسن الصور والأشكال المعمارية

إحتوت الحضارة العراقية على روائع النحت السومري والآشوري ، وتظل الرائعة الفنية وهي سيدة أوروك المتمثلة في راس إمراة سومرية مزينة باحن الحلي ، يخفي إبتسامة غامضة و يتمتع بحساسية عالية وكأن الفنان يتحدث عن صنع وتجسيد الجمال ، أوإنه ُيعبر عن الأحاسيس الداخلية ، التي لم يتوصل اليها الإنسان الا في مراحـل متطورة من الفن ، وتمثال إمرأة آشورية مبتسمة تجسدت فيها تعابير الوجه الضاحك ، وقد شبهتها الروائية الإنكليزية أغاتا كريستي بالموناليزا الآشورية ، وهذا يـذكرنا بتمثال فينوس الإغريقي الذي يرمز الى الهة الحب والجمال ، ولوحة الفنان العبقـري ليوناردو دافنسي (الموناليزا) .(الشكل- 49) يخفي وجه هذه السيدة إبتسامة خفيـة ،ولها عينان كبيرتان ملونتان ، تفيضان قوة وحيوية ، تذكرنا بالعيون السومرية مـن ناحية التجسيد والمبالغة ، ويغلب الظن بأن هذا التمثال لملكة آشورية ، عثر عليها في قعر بئر بقصر على الملك شلمنصر بنمرود ، من الملاحظ إنه نادراً ماتمثل المرأة في

النحت الآشوري وأقتصرعلى تصوير الرجل وما يقوم بـه مـن أعمـال كالصـيد والفروسية ومشاهد من المعارك التي كانوا يخوضونها .

وجسدت العبقرية الفنية عند الآشوريين الذين أبدعوا فـي مجـال النحـت بأشـكالة المدور، والبارز والنافر ، ومنها مشاهد الصيد الرائعة ، وتماثيل الثـور المجـنح ، واللبوة الجريحة الممتلئة بالمشاعر والأحاسيس والإتقان ، ربما كانت لهم فيها مقاصد أخرى تتعلق بعالم اللاوعي والسحر وطرد الأرواح الشريرة ، وبهاُ زينت القصـور والمعابد وحتى الطرق والمداخل .

ويظهر من خلال المقارنة بين فن الرافدين والفن الفرعوني ، أن ثمة فروق فـي الشكل المعماري الذي إنعكست على شكل البناء ووظيفته وفائدته ، فلم يكـن سـكان الرافدين يميلون الى تَشييد العمارة المدفنية وتزيينها نظراً لإختلاف الرؤى في مسألة الحياة والموت ، والحياة مابعد لموت (البعث) ،

لكن العمارة الفرعونية تزدهر بزخم كبير من المنحوتات والصورالملونة والمنقوشة ، التي كانت سجلاً للتفاصيل الحياة الفرعونية .

ويبدو التدرج واضحاً في تطور العمارة فـي العـراق منـذ العصـور الأولـى للسومريون ، مروراً بالعهد الإسلامي وصولاً الى العصر الحديث ، أن الكثيـر مـن المنشآت المعمارية العراقية أخذت بعين الإعتبار كل تأثيرات وإنعكاسات الحضارات القديمة ،السومرية ، الآكادية ، البابلية ، الآشورية .

كان شكل الزقورة يتكرر بأنواع مختلفة مشكلاً بعداً جمالياً فرضته طبيعة الأرض والمناخ ،

ويكاد يكون هذا الشكل المعماري الصفة الجامعة لحضارة الرافدين ، نظراً لتكـراره في جميع المراحل الحضارية لبلاد الرافدين ، مع ظهور التحويرات والتغييرات التي طرأت على شكلها فأصبح لكل حقبة حضارية شكل من أشكال الزقورة يحملُ تأثيرات ومواد بناء محلية .

وقد أضافَ النقش والنحت البارزالذي أشتهر به الآشوريين عنصـراً مهمـاً الـى العناصر المعمارية الأخرى ، وشكلاً إتبعه الأسلاف وتطور مع تطور الأشكال .

إن تشكيل الجدار بالطابوق أو الآجر وبطريقة زخرفية ، يشكل بعداً فنياً تتميـز بـه عمارة الرافدين ، وهو أي الطابوق حالة متطورة من اللّبن الذي إستعمله السومريون ،تطور شكله عند البابليون والآشوريون ليصبح ذا بعدين الأول نفعي والثاني جمالي .
وادخلت خامات ومعادن أخرى كالحجر ، المعادن ، والآجـر المـزجج ، الألـوان الزجاجية لتدعيم منشآتهم المعمارية وإضافت عناصر جمالية أخرى لمجموع العناصر التي حملتها حضارة الرافدين ، أما العاج والذهب والفضة والمعادن الثمينة الأخـرى فقد إستعملت في صناعة الحلي والتماثيل الصغيرة ، وتميزة بالدقة والإتقان .
ومن المثير من مجموع هذه الأمور المعمارية ، هو تشكيل البناء بحيث يحافظ علـى عناصره المهمة ، كاستعمال ضوء الشمس ، وإستغلال التيارات الهوائية .
ومن ناحية وقاية البناءآت فقد شيدت المنشآت المعمارية على روابي أصطناعية مـن الطين لدرء خطر الفيضان ، وكانت هذه المنشآت تبنى فوق بعضها لتشكل مرتفعـاً ، كان أهل الرافدين قديماً يتقربون بها الى الإله .
ويذكر إن برج بابل العالي كان يضاهي بناء عالياً، ويقصد به التقرب مـن السـماء حيث يوجد الإله وجنائنها المعلقة التي أصبحتَ مثار نقاش ودراسة ،ُجسدت بلوحات فنية خيالية من قبل فنانين أوربيين تأثروا بهذه الصروح الحضارية ، وبعظمة بابل .
إن دراسة كل هذه الأشكال دراسة فنية وجمالية ، يوضحَ بأن مفهوم الجـلال سـبق مفهوم الجمال عند سكان الرافدين ، حيثُ أن الإعتقاد السائد عندهم هو تعظيم وتقديس وتفضيل الآلهة بإضفاء الجلال على المنشآت المعمارية ، ويعتقدون أيضـاً أن كثـرة الزخرفة والتزويق والإخراج الجيد للبناء إنما يهدف الى الكمال ، ولأن الجمال عنـد الإغريق يعني الكمال والإنسجام ، وهو يساوي العمل الفني الجيد الذي تكون أجزاءه متساوية ، و ينتج في النهاية الخير والفائدة والمنفعة العامة .
ويبدو إن كل العناصر الزخرفية أو النقوش الموجودة ضمن الهياكـل المعماريـة وبالتحديد عند الآشوريين كان يقصد به إخضاع البناء برمته إلى العبـادة والمشـاهد الحياتية للملوك ونشاطاتهم المختلفة ، أوا للتقديس أو التمجيد من أجل إضافة عناصر الهيبة والفخامة ، حيث يوضع الإله أو الملك في هالة من الترفـع والسـيطرة علـى المجتمع ،

وربما كانت هذه الرسوم تعكس تعاويذ وحركات تطرد الشر أو المرض وتجلب الخير والمنفعة والفائدة ،

وكانت كل الرسوم والنقوش متـقنة وتَمزج بين الواقعية والخيال ، كمـا فـي بـاب عشتار في بابل أو الثور المجنح في نمرود ونينوى عند الآشوريون ،

تتفرد الحضارة الآشورية بكثرة المنحوتات باشكالها ومواضيعها ويغلب عليها الطابع الواقعي والإتقان في إظهار التفاصيل ، وفي أحيان كثيرة تميزت المنحوتات بإظهـار العواطف والأحاسيس في المواضيع النحتيية ، كالأسود الجريحة التي إحتوتها لوحات مشاهد الصيد الكثيرة التي تعكس الحياة الآشورية بقوتها وقسوتها ، فضلاً عن إمتزاج النحت بالعمارة أو مايسمى بالنحت المعماري عند الآشوريين .

تبين لنا إن أغلب مابقي من المواقع الأثرية في بلاد الرافدين وخصوصاً السـومرية متميزة بوجود أقواس في أعلى المداخل وكذلك القباب والعقود ، وهو عنصر معماري جديد ظهر عند السومريون والمعروف أن هذه الأقواس أوالعقود كانت ضرورية لحل مشاكل كثيرة في البناء ، نظراً لإنعدام الغابات في مناطق واسعة من العـراق وفـي الجنوب خاصة ، فإستعيض عن مادة الخشب باللّبن الناتج عن الترسبات الغرينية التي تتركها الفيضانات الموسمية

حيث تُشكل الأقواس في أعلى الباب أو النافذة ، تنجز بمادة اللـبن المخلـوط بقطـع صغيرة من القصب من أجل تقويتها ، واحياناً من الأحجار ، حيـثُ تشـد الأجـزاء بعضها البعض ، ويتوزع الضغط المسلط بشكل متدرج وبالتساوي على أجزاء مدخل البناء في الأبواب والنوافذ ، يتكرر هذا الوضع في لوحات الفن الإسلامي فالمحور في الصورة يكون وسطها ، وتحيط به أشكال تتوزع على الجانبين ُمشكلة نصف حلقـة متدرجة .

ويشكل هذا المنهج الرياضي في الرسم الإسلامي القديم بما يسمى بالمنظور الهـوائي حيث ينعدم العمق أو البعد الثالث في اللوحة ،

تقريباً كما ظهر في العمارة السومرية حيث تكون القمة في أعلـى المـدخل ، وهـو المحور وتتوزع الكتل الطينية على جانبي الشكل ، ويتشابه هذا مع معـالم معماريـة إسلامية ، ومنها القصر العباسي ببغداد والجامع الكبير بتلمسان- الجزائر.

ومع مرور الوقت أصبح شكل القوس رمزاً جماليا في عناصر العمـارة الإسـلامية الُمتميزة بالعقود المزخرفة المتناسقة (هندسية أونباتية) ، بحيث يسـتحدم الضـوء الطبيعي الساقط على هذه الأشكال ، ليعكس خيالاً من الضوء والضلال ، يترك أشكالاً مكملة لحلقة الزخرفة . وتنتقل من جهة الى أخرى حسب دوران ضوء الشمس ُمشكلة حركة من الزخاف والظلال .

وبهذا يشكل القوس والعقدة بعداً روحياً وصفة جمالية من صفات الفن الإسلامي .

هذه الحصيلة العامة المستنتجة من هذه الدراسة التي تناولت العمارة في بلاد الرافدين قديماً وكل ما رافقها من عناصر ساهمت في التكوين الحضاري ، وبقدر ماتوفر لدي من مصادر ودراسات.

ومن الجانب العملي ومن خلال الزيارات الميدانية التي قادتني الى بعض المواقع الأثرية . وجدتُ أن بعض التقاليد التي إتبعها القدماء مازالت باقية في شـكل البنـاء وطريقة العيش .

ومما يؤسف له أن ظروفا قاهرة تعرضت لها بلاد الرافدين متمثلـة فـي الحـروب والغزوات وعوامل طبيعية وبشرية ساهمت جميعها في ضياع وتدمير ثروة كبيرة هي ملكاً للإنسانية

وفي الحرب الأخيرة التي شنت على العراق عام 2003 وما تلاها من نتائج كارثيـة متمثلة بالإحتلال والإستباحة والسرقة ، أصبحت آثار العراق سلعة تباع هنا وهناك ، ووجدت الناس يبحثون في كل ركن عن قطعة أو اثر يسترزقون منه . صادفني هـذا اثناء البحث وأذكره بكل وحسرة والم.

في الأخير نذكر بأن تأثيرات العمارة العراقية القديمة إمتـدت وأصـبحت بعـض عناصرها إمتداداً طبيعياً . كطريقة البناء ومواده الأساسـية ، وأصـبحت الرمـوز الجمالية لحضارة الرافدين مصدراً خصباً في مجالات فنية كثيرة كالتشكيل والعمارة ، لكنها وبالرغم من تطورها فقد حافظت على جوهرها الذي فرضته الظروف الطبيعية والمناخية

ويرتبط سكان الأهوار في جنوب العراق بكثير من العادات والتقاليد التي توارثوهـا من حياة أسلافهم السومريون ، ويتداولون بعض المفردات الكلامية التي يرجع أصلها

اليهم ، مما يؤكد العمق التاريخي والتأثير الحضاري الكبير الذي ترك أثره على حياة الناس .

وبالرغم من كل ما مر على أرض الرافدين مـن كـوارث وحـروب والعوامـل الطبيعية القاسية ، تبقى حضارة الرافدين تثري الحضارة الإنسانية بفنونها وعلومها ، وربما نجهل الكثير من عناصرها الغير معروفة الى يومنـا هـذا، نظـراً لمعرفتنـا المحدودة أو لعدم اكتشافها بشكلٍ كامل ، وكل هذا ساهم بشكل سلبي فـي مسـارها الحضاري .

ثبت بالمصادر والمراجع

المصادرالعربية

1- البهنسي (عفيف)

تاريخ الفن والعمارة . ثلاثة أجزاء دار الرائد اللبناني – بيروت 1982 م .

2- الباشا(حسن)

الفنون القديمة في بلاد الرافدين . الدار العربية للكتاب – القاهرة 2000 .

3- الجباخجي (محمد صدقي)

الموجز قي تاريخ الفن . القاهرة . دار المعارف 1980

4 - الجبوري (محمد شاكر)

القيم الجمالية في العمارة الإسلامية . القاهرة 1981

5 ـ الأحمد (سامي سعيد)

العراق القديم .ج1 ،العراق حتى نهاية العصرالأكدي

بغداد 1978 الجزء الثاني،العراق حتى نهايةالعصر البابلي القديم بغداد 1980

6 - الأحمد (سامي سعيد)

السومريون . تراثهم الحضاري . مطبعة الجامعة . بغداد 1975

7 - أحمد عبد الجواد (توفيق) .

تاريخ العمارة والفنون الإسلامية 4 أجزاء الطبعة الثانية . دار الرائد. القاهرة .

8- السواح (فراس)

الإسطورة والمعنى (دراسات في المثيولوجيا والديانات المشرقية) دمشق . دار علاء الدين . 2000 .

9 - أرنولد (هاوزر)

الفن والمجتمع عبر التاريخ . ترجمة فؤاد زكريا. الجزء الأول بيروت ، ط2 1981 ،الطبعة الثانية . بيروت 1985

10- أفرام (عيسى يوسف)
ملحمة دجلة والفرات . ترجمة علي نجيب إبراهيم . سوريا
اللاذقية دار الحوار 2001
11- الزغبي (محمد)
طبيعة الفن ومسؤولية الفنان . دار المعرفة . القاهرة 1964
12 - الصراف (عباس)
آفاق الفن التشكيلي . دار الرشيد . بغداد .1979
11 - الطعان (رضا)
الفكر السياسي في العراق القديم . الجزء الأول . وزارة الثقافة
بغداد. بدون تاريخ
13 - القاسم (علي)
تاريخ الشرق الأدنى القديم الجزء الأول . تعريب توفيق سليمان
القاهرة 1970 . والجزء الثاني . العراق حتى نهاية العصر
البابلي القديم . بغداد .1980
15 - باقر (طه)
مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة . الجزء الأول . بغداد 1973
14 - باقر (طه) عبد الواحد (فاضل) . سليمان (عامر)
تاريخ العراق القديم . الجزء الثاني . بغداد .1983
15- بوستغيت (نيكولاس)
حضارة العراق وآثاره (تاريخ مصور) . ترجمة سمير عبد
الرحيم الجلبي . دار المأمون – بغداد 1991.

16- توفيق (سعيد)
مداخل الى موضوع علم الجمال. القاهرة.دار الثقافة للنشروالتوزيع 1992
17- تقي (الدباغ) وليد (الجادر)
عصور قبل التاريخ ، بغداد . مطبعة جامعة بغداد 1983

16- جامعة الدول العربية
المعالم الآثرية في البلدان العربية . القاهرة 1970 .
17 - حسن (محمد زكي)
الفن الإسلامي في مصر،ج1 من الفتح العربي الى نهاية العصر الطولوني مطبعة الكتب المصرية . القاهرة 1935
18- خليل إسماعيل (بهيجة)
مسلة حمورابي ، بغداد ، 1980
19- خلف (جاسم محمد)
جغرافية العراق ، القاهرة - 1965
20 - دني (هويمان)
علم الجمال .ترجمة ظافر الحسن.الشركة التونسية للنشروالتوزيع. تونس . ط2 .1975 .
21 ديبة (رامي)
الدراسات التحليلية المعمارية . دار قابس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ط1 2002
22- ذنون (عبد الحليم)
بدايات الحضارة . دمشق . دار علاء الدين 1994.
23 – روتن (مارغريت)
تاريخ بابل . بيروت 1984
24 - سفر (فؤاد) مصطفى (محمد علي)
الحضر مدينة الشمس. مؤسسة رمزي للطباعة. بغداد 1974
25- سوسة (أحمد)
تاريخ حضارة وادي الرافدين . بغداد . دار الحرية للطباعة 1983
26- سوسة (أحمد)
الري والحضارة في وادي الرافدين . بغداد 1968 .
27 - ساكز (هاري)

عظمة بابل . ترجمة . د. عامر سليمان. لندن 1962

28- شمس الدين (فارس)

تاريخ الفن القديم . بغداد 1980 .

29- عبد العزيز (حميد) ، صلاح (العبيدي) ، أحمد (قاسم)

الفنون الزخرفية العربية الإسلامية . بغداد 1982

30- عباس (راوية عبد المنعم)

الحس الجمالي وتاريخ الفن.دارالنهضة العربية. بيروت ط1 . 1998.

31 - عثمان (إسماعيل عثمان)

تاريخ العمارة الإسلاميةوالفنون التطبيقية بالمغرب الأقص،ج4.

عصرالدولةالمرينية ودولة بني وطاس،مطبعة المعارف الجديدة.الرباط 1991

32- عزت (محمد مصطفى)

قصة الفن التشكيلي.العالم القديم . القاهرة . دار المعارف 1961

33 - عصفور (محمد أبو المحاسن)

حضارات الشرق الأدنى القديم . بيروت 1981 .

34- عكاشة (ثروت)

الفن العراقي القديم . سومر . بابل . آشور

المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت . دون تاريخ

35- عكاشة (ثروت)

القيم الجمالية في العمارة الإسلامية . القاهرة 1981.

36 - عيد (كمال)

فلسفة الأدب والفن.الدار العربية للكتاب . ليبيا . تونس 1978

37 - فاضل (عبد الواحد علي)

الطوفان في المراجع المسمارية . جامعة بغداد 1976.

38 - فرانكفورت (هنري)

فجر الحضارات في الشرق الأدنى.ترجمة ميخائيل خوري .

بيروت 1985.
39 - كونتينو (جورج)
الحياة اليومية في بلاد الرافدين،ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي
وبرهان عبد التكريتي . ط2 . بغداد . وزارة الإعلام 1986
40- ليوا (وينهايم)
بلاد مابين النهرين. ترجمة سعد فيضي عبد الرزاق. بغداد 1981
41- مارتين (جونز)
نبش الماضي /علم الآثار القديمة والبحث عن الدنا القديم . ترجمة
أحمد مستجير. القاهرة 2004
42- مجموعة من الباحثين والآثاريين العراقيين .
حضارة العراق (12) جزء . دار الحرية للطباعة بغداد 1985
الأجزاء 1 ،2 ، 3 ، 5 ، 9
43- مورتكاد (إنطوان)
الفن في العراق القديم . ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي
بغداد 1975
44- مورتكاد (انطوان)
تاريخ الشرق الأدنى القديم الجزء الأول . تعريب توفيق سليمان
بدون تاريخ
45- هربرت (ريد)
الفن والمجتمع . ترجمة فارس متري ظاهر. دار القلم. بيروت
دراسات في حضارة العراق . بيروت .المركز الثقافي العربي 2004
46- هستد (كوردن)
أسس جغرافية العراق الطبيعية. ترجمةجاسم محمد خاف. بغداد 1948.

المعاجم

1- بهنسي (عفيف)

معجم العمارة . مكتبة لبنان 1999 .

2- أطلس المواقع الأثرية . مديرية الآثار العامة .العراق . بغداد 1976 .

الرسائل والمجلات

1- مجلة الثقافة الجديدة . العدد 290 . دمشق 1999.

(العمارة المعاصرة في بغداد . جذورها وتطورها)إحسان فتحي، جاسم الدباغ

2- مجلة فنون عربية . العدد 1 . 1981 . لندن .

(أثر المجتمع في تكوين القيم الجمالية في سومر واكد) د . فوزي رشيد

3- مجلة سومر . المجلد الثلاثون 1974

(البيئة الطبيعية القديمة في العراق) فؤاد سفر

4- مجلة سومر- العدد 23 ، بغداد 1967

(المدائن في المصادر العربية) د. صالح أحمد العلي

4- Braudel M. Fernande , A History of civilization
(England pengun 1995)

5- مجلة آفاق عربية – السنة السادسة – بغداد . ماي 1981

(الأساطير في الحضارة العراقية القديمة)

6- مجلة الإستاذ ، بغداد ، 1961

(الآثار والمستوطنات الزراعية الأولى في العراق) د. تقي الدين الدباغ

7 – مجلة كلية الآداب، ملحق العدد 23 . بغداد 197

(المدينة والبناء في بلاد وادي الرافدين) د. وليد الجادر

8 – (دور المعبد في المجتمع العراقي) من دور العبيد حتى نهاية دور الوركاء رسالة ماجستير في الآثار ، بغداد 1975 ، غير مطبوعة

المعاجم والموسوعات والأطالس (الأجنبية)

1- le Grrand Atlas de L' Architecture Mondiale . France 1988
2- Lees,G. and Falcon,N. The Geographical History of the Mesopotamian plains, Geographical Journal , Vol . 118 , 1952
3- P.A .l ́artet, les grandes civilsations . Paris1977.
4 – FRANKFORT , H The Art and Architecture of the Ancient Orient , london , 1954
5 – PAROT , A . Sumer , london 1960

الفهـ ـارس

الفهرس الأول: تواريخ أساسية في حضارة وادي الرافدين

القرن الخامس والرابع قبل الميلاد , إستقر السومريون والساميون وأعراق أخرى في بلاد الرافدين ، عرفت في ذلك العصر صناعة الخزف . وأستعمل الطين للبناء وصنع الأختام الإسطوانية ، وتربية الحيوان ، والزراعة ، والتجارة ، وصناعة النسيج .

عصر أوروك: من 3750- 3150 . ولادة المدن .

العصر التاريخي : حوالي عام 3200. إختراع الكتابة .

الملكية القديمة : حوالي 2900- 2334 .جلجامش ملك أوروك . مقبرة أور .

إمبراطورية أكاد : حوالي 2334- 2100. سرجون يؤسس سلالة اكد.حكم ناران سين . هيمنة اللغة الأكادية

سلالة أور الثالثة : حوالي 2112 – 2004. حُكم اور – نامو وشولجي ، وإيبي – سين

العصر البابلي القديم : 2000 – 1595 . حمورابي وقانونه .

العصر الآشوري الوسيط :1595- 1000آشوريا تثبت قوتها.آشورأوبالي لأول وشلمنصر الأول

العصر الآشوري الحديث : 1000- 612 . حكم آشور نصر بال الثاني . وسرجون الثاني ، سنحاريب ، سقوط نينيف سنة 612 ق. م .

العصرالبابلي الحديث 612- 539 ق.م.نبو خذنصرالثاني:والسلالة الكلدانية.عام539إحتلال بابل

العصر الفارسي الإخميني :539- 330 ق. م كوروش الأكبر .

العصر السلوقي : 323- 64 ق. م . سلوقس الأول .

العصر البارثي:130ق م224.بعد الميلادحكم ثيرايدات.نهوض المدن الجديدة مثل آشورأو نينيف.

العصر الساساني: 226- 651 بعد الميلاد ، شهبور الأول .

العصر العربي 637- 1258 ، الأمويون والعباسيون .

العصر المغولي : 1258 – 1534.

العصر العثماني :1534- 1917 . العصر الحديث إحتلال العراق ، والإنتداب البريطاني أستقلال العراق 1932.[1]

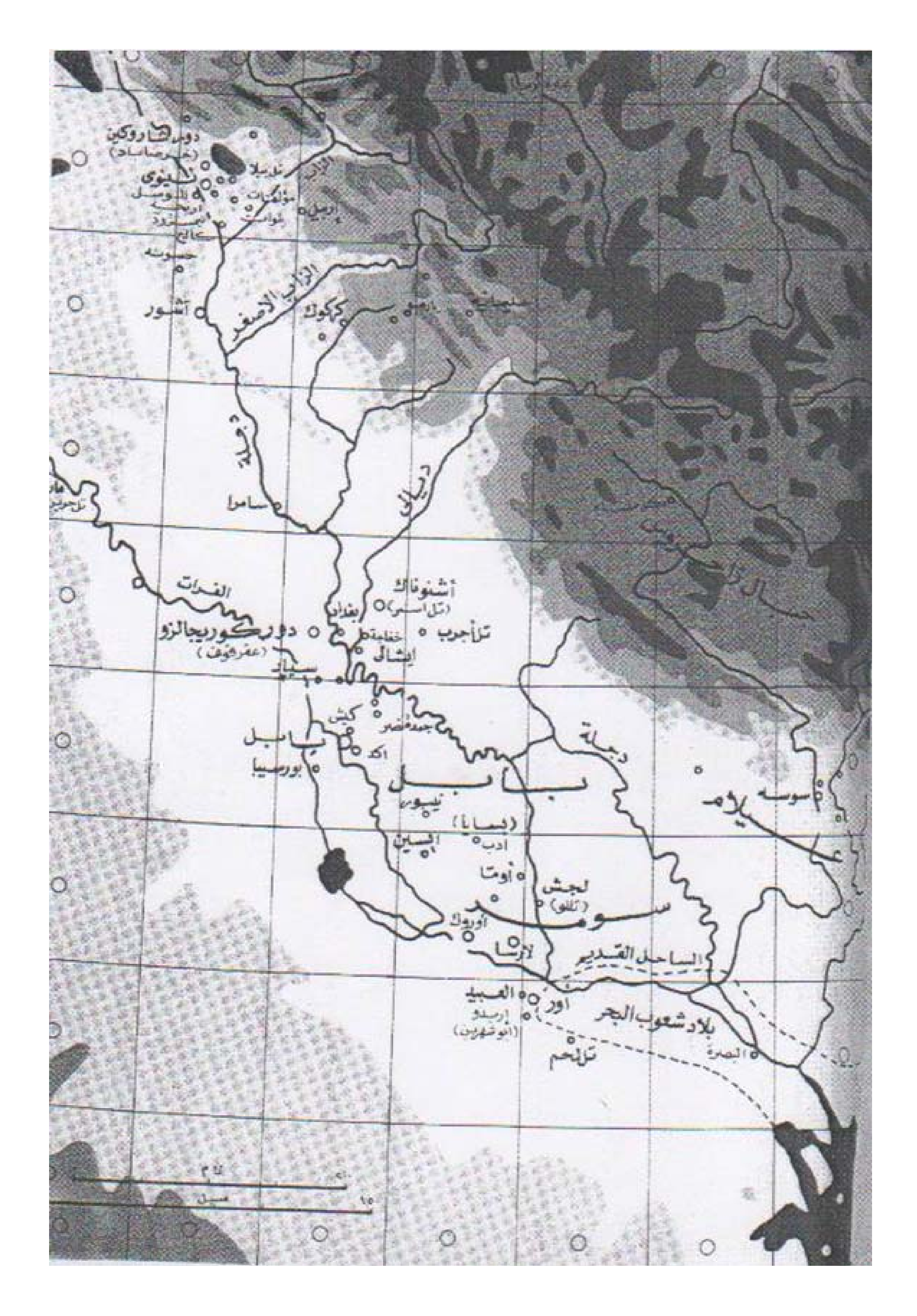
ملاحظة .(تواريخ العصور السحيقة . تواريخ تقريبية)

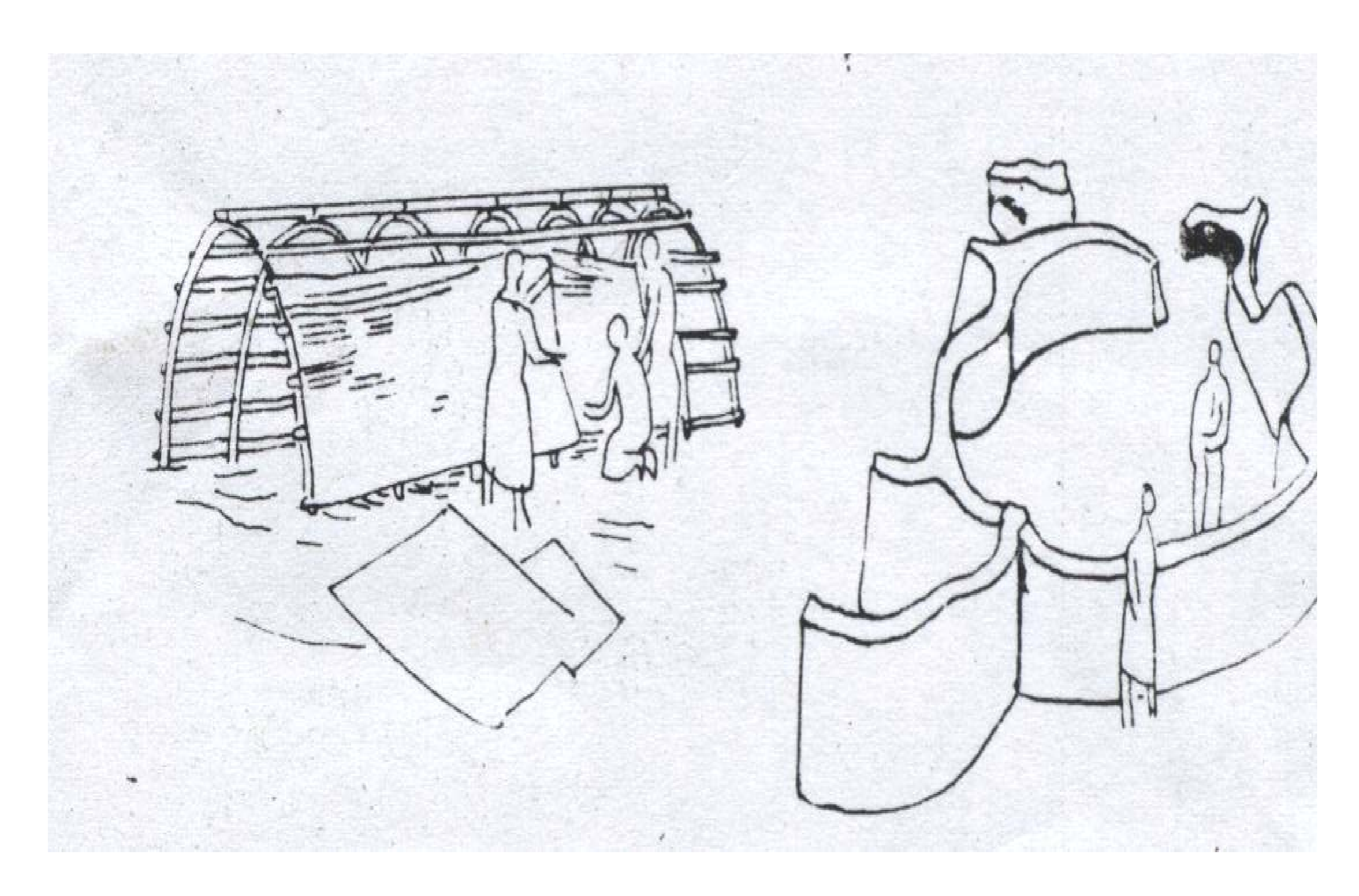
1- أفرام عيسى يوسف / ملحمة دجلة والفرات . لبنان 2000 ص174

فهرس الأشكال

ملحق بالأشكال والصور

خريطة العراق الأثرية

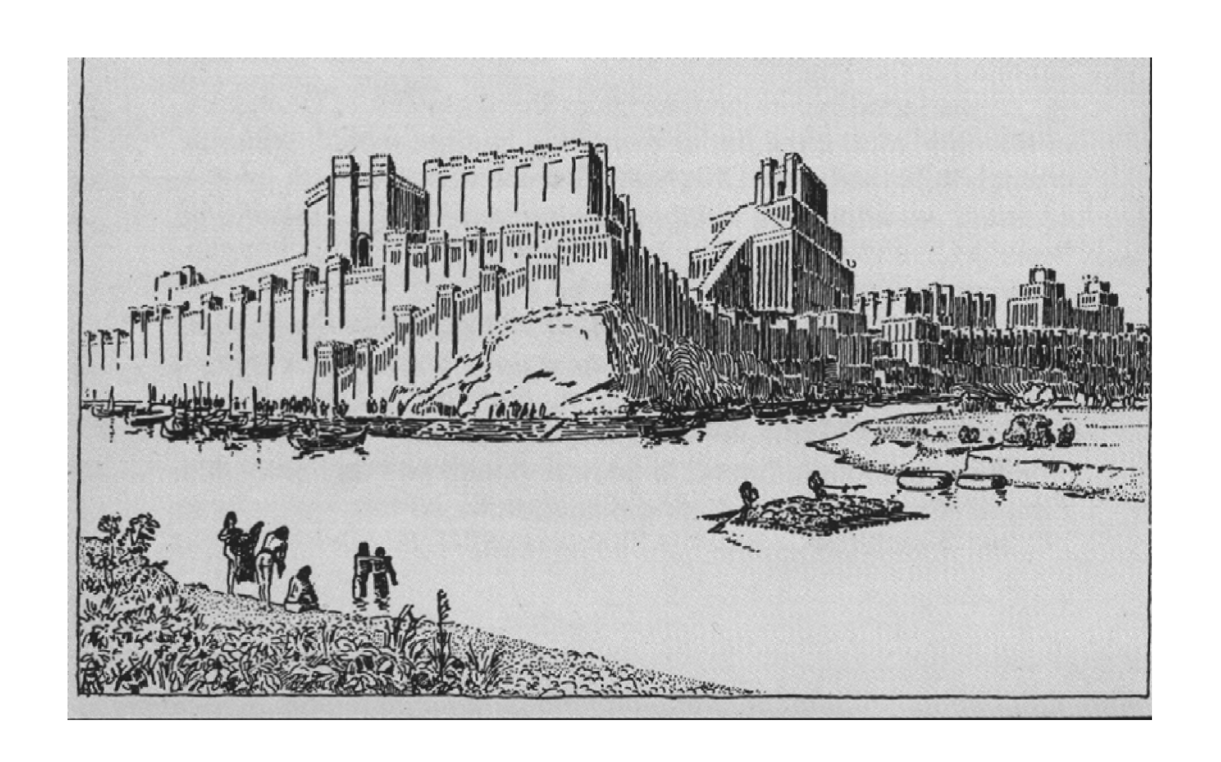




(شكل –1)

طريقة بناء البيوت التي إتبعها سكان الرافدين قديماً . وهي طريقة بدائية لازال سكان الأهوار في جنوب العراق يتبعون نفس طريقة البناء . ويستعملون الخامات المحلية المتمثلة في القصب والنخيل والطين .

(رسم تخيلي)



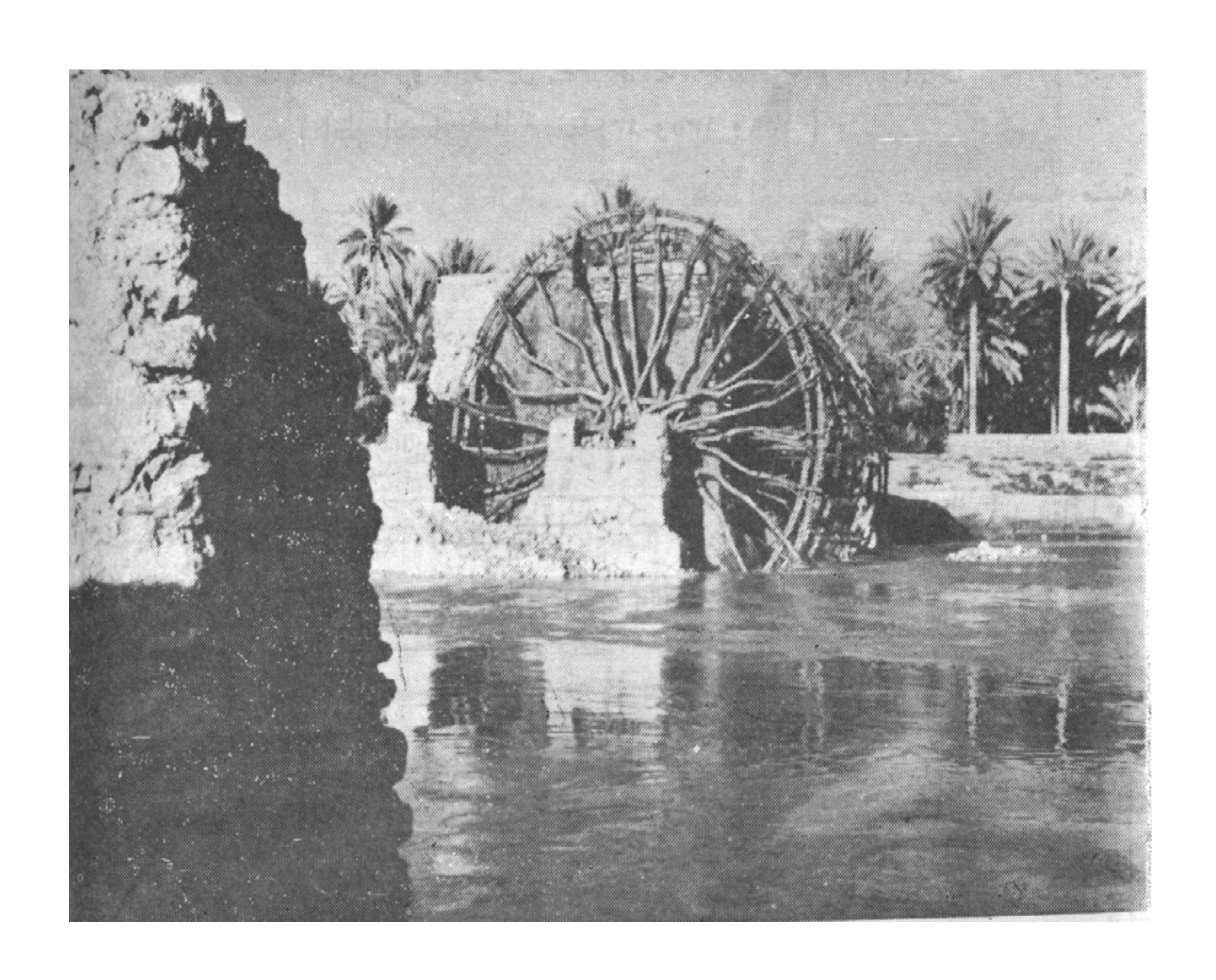


(شكل 02)

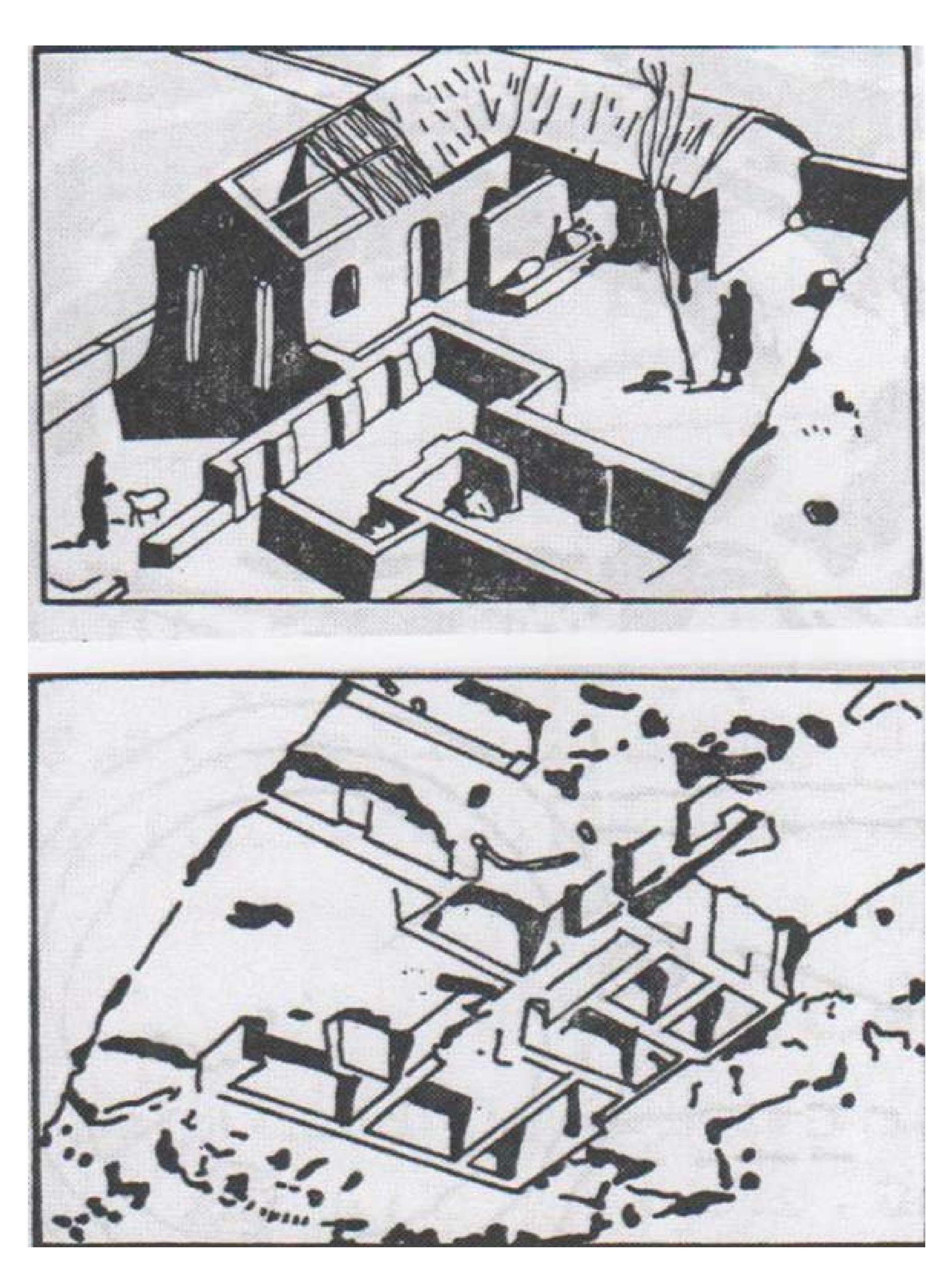
(المياه في العراق القديم)

1- رسم تخيلي لمدينة أور ، ويبدو فيها حركة التجارة النهرية

2- الإله " أنكي " يتدفق المجريان من صدره وتحوما لأسماك حولهما



شكل 03
الناعور المائي لرفع المياه وهي آلة بدائية مازالت مستعملة الى يومنا هذا في أعالي الفرات .

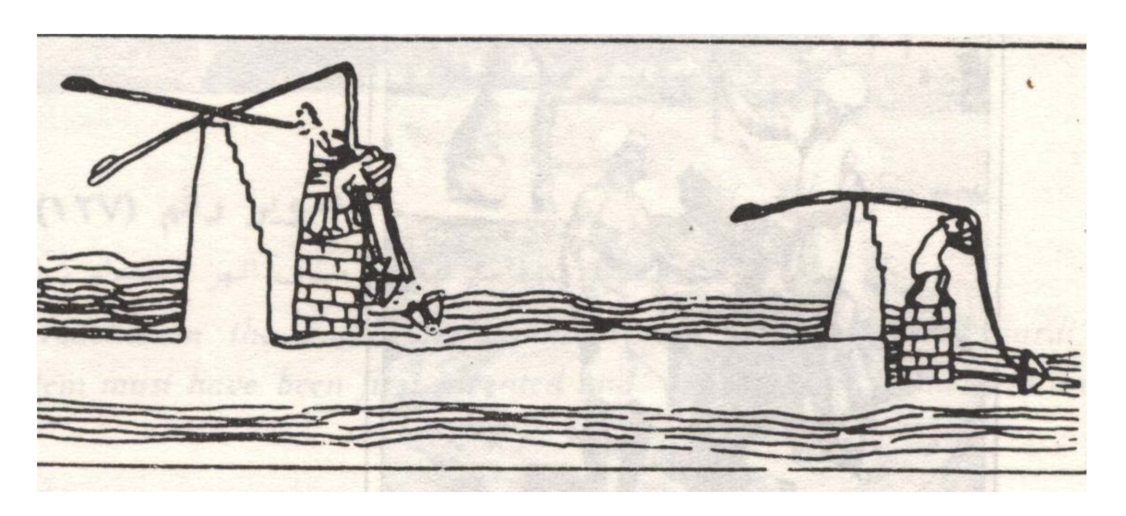


شكل 04

1 - إعادة بناء مقترح لأحد البيوت مثلما أكتشف ،

2 - بقايا قرية في تل حسونة

المصدر/ سلوين لويد وفؤاد سفر.

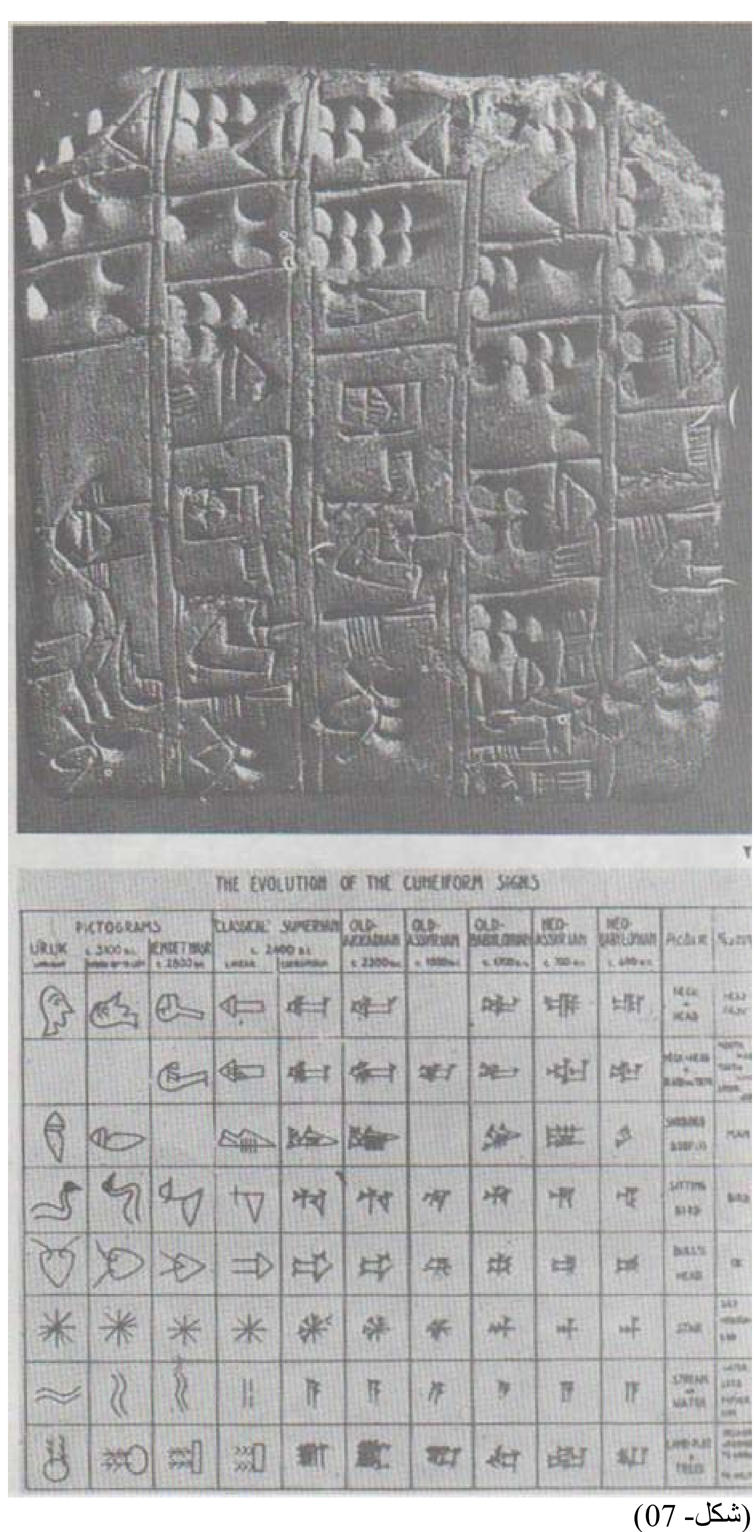


الدالية الآشورية

(شكل- 05) **يمثل مشاهد الزراعة والري عند السومريين والآشوريين**



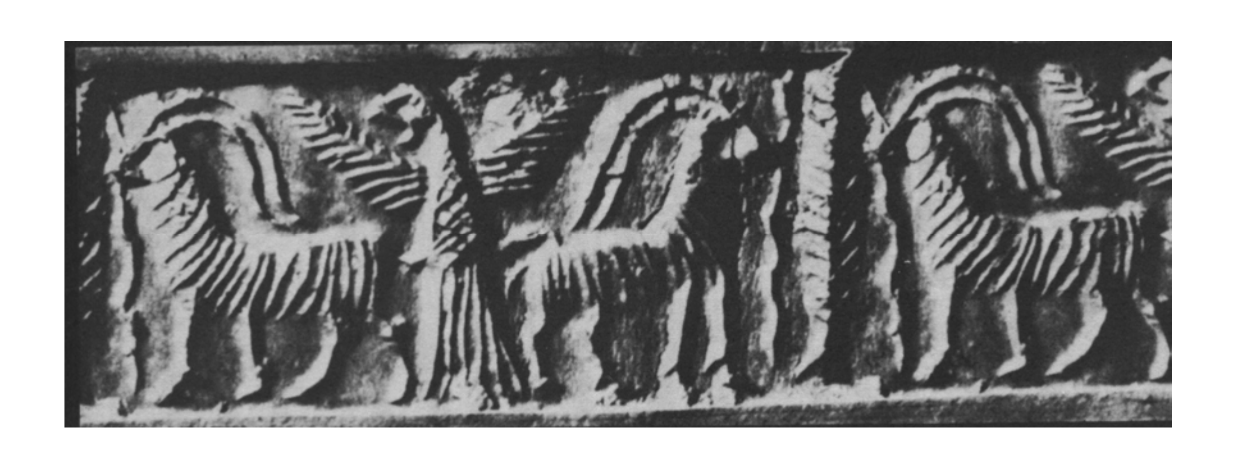
(شكل -6 0)
القيثارة الذهبية بعد ترميمها (الإرتفاع 120سنتمترا) المكتشفة في مقبرة أور الملكية
(المتحف العراقي)

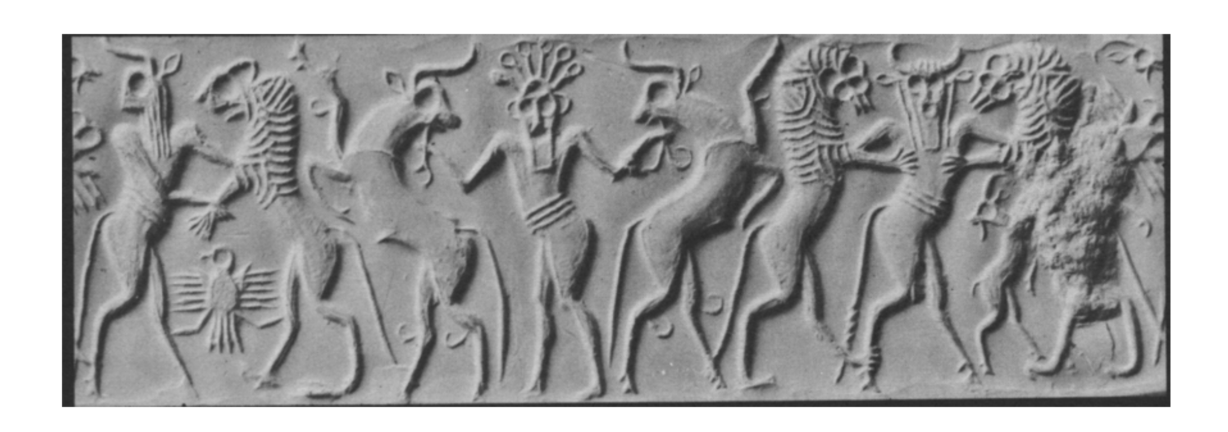


(شكل- 07)

بعض الرموز المسمارية من الرسوم المحززة ، لأشياء يمكن تمييزها الى مجموعات . اعطيت اشكالاً معينة . ويظهر الشكل الثاني نماذج من الكتابة المرسومة . استعملها سكان الرافدين للدلالة على المعاني التي وضعت. المرجع نيكولاس بوستغيت .ص 29

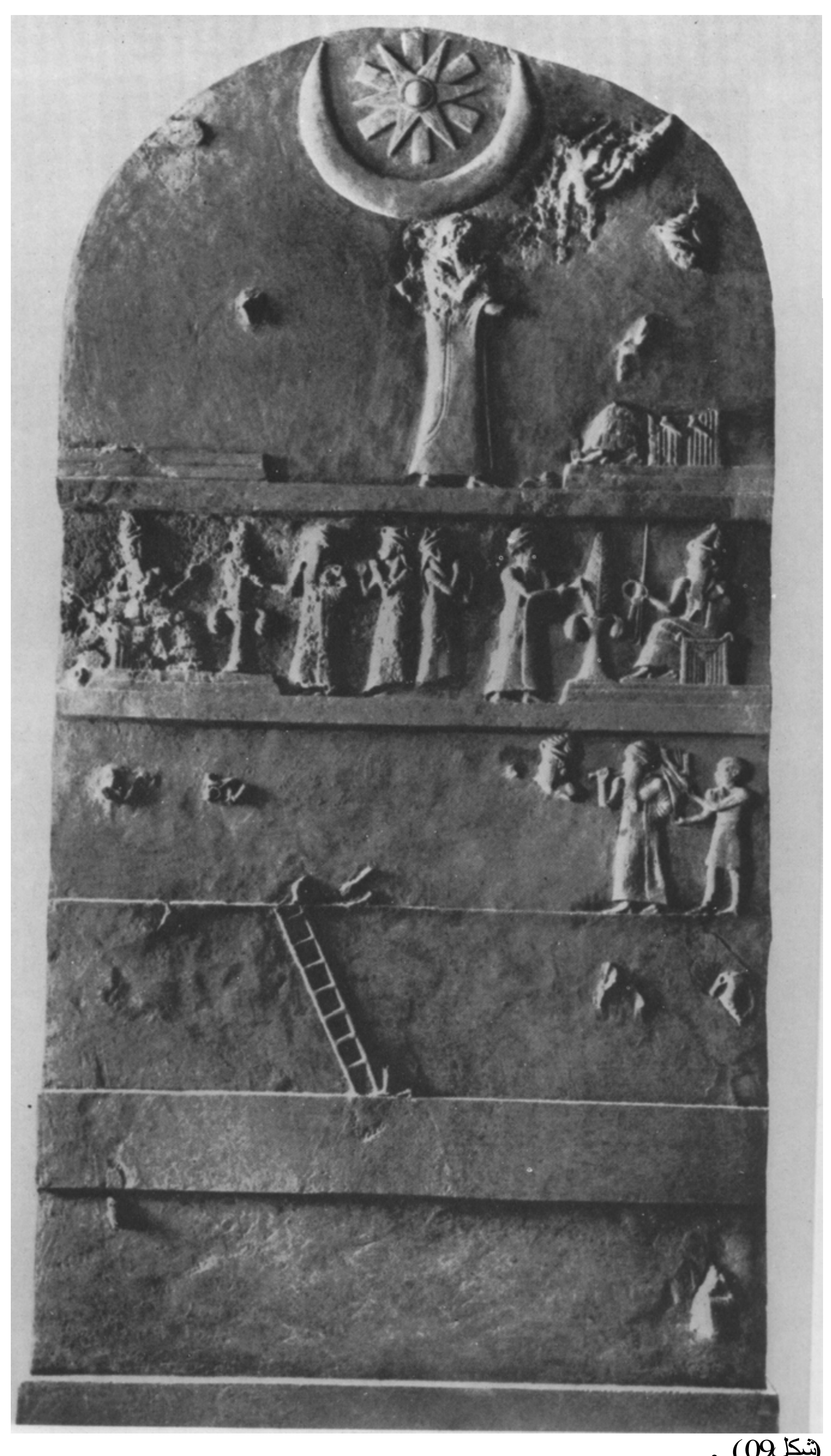




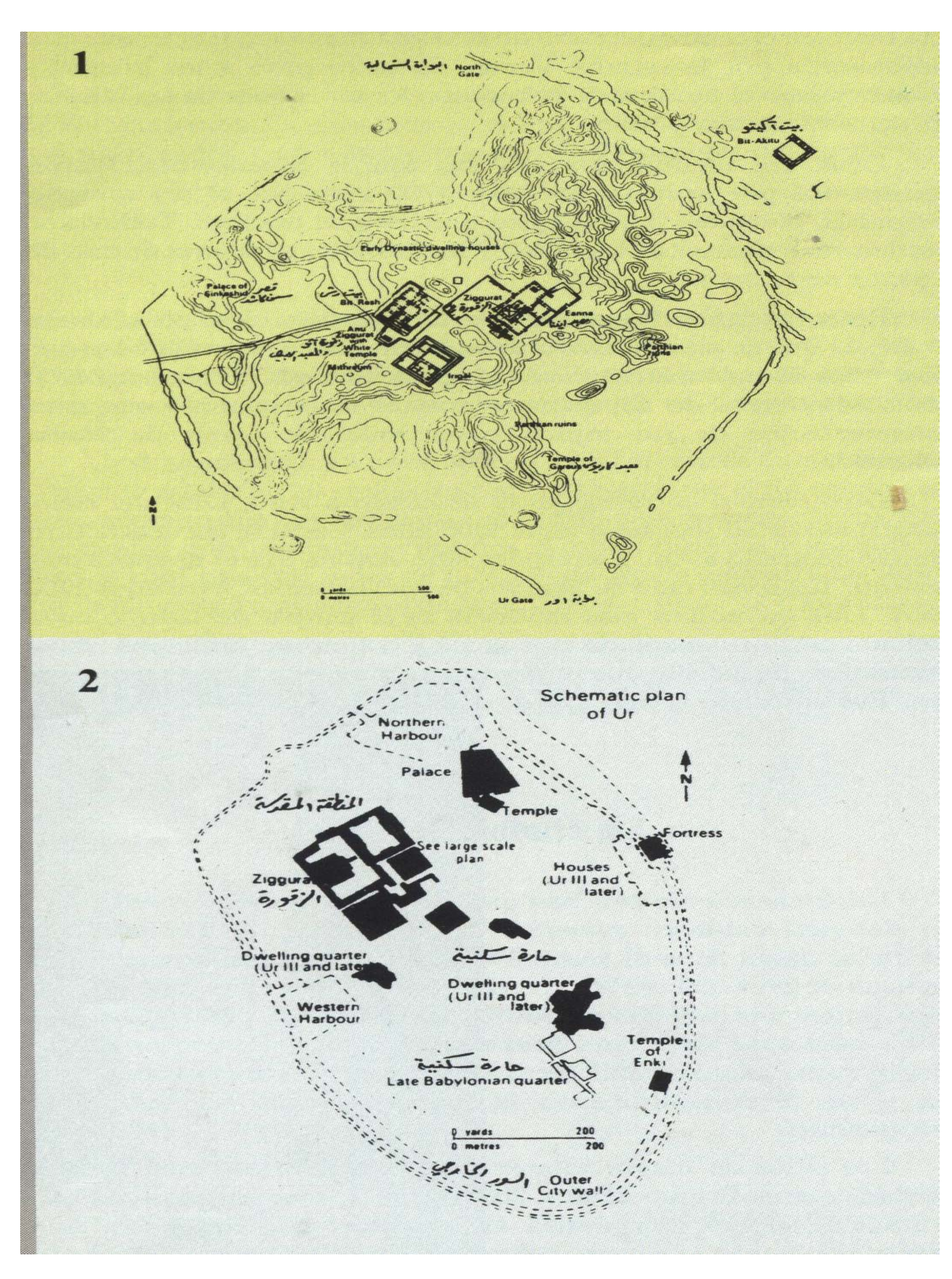


شكل 08

أختام إسطوانية سومرية تمثل الحيوانات والأشجار ، والحياة .ولاتخلو من الأشكال الإسطورية من حيوان والإنسان .وتمثل القضاء على الحيوانات من طرف انكيدو رفيق كلكامش .



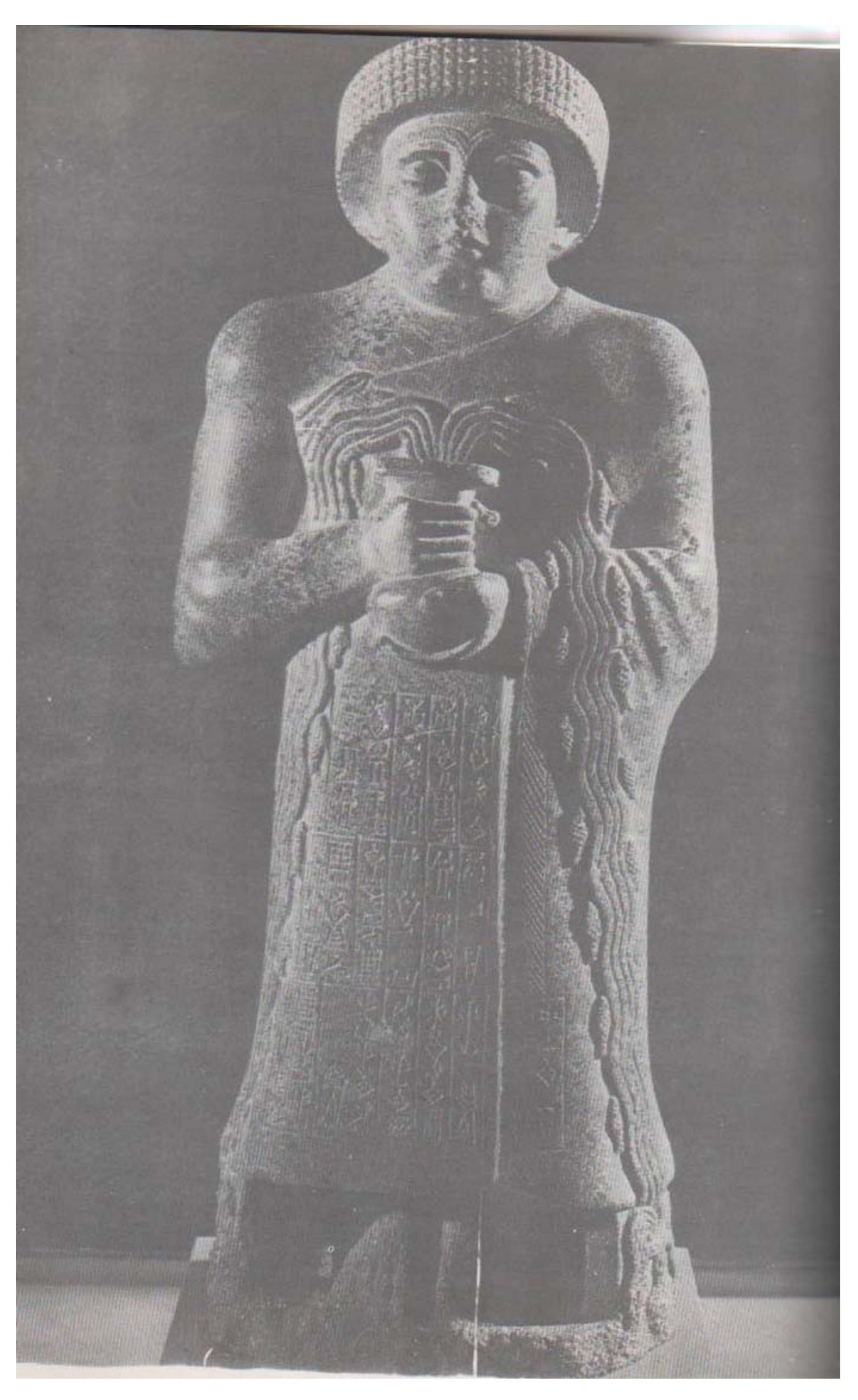
(شكل09) .
مسلة من حجر كلسي للملك السومري أور–نمو . ارتفاعها نحو ثلاثة أمتار بعد تجميعها
(متحف الجامعة-فيلادلفيا)



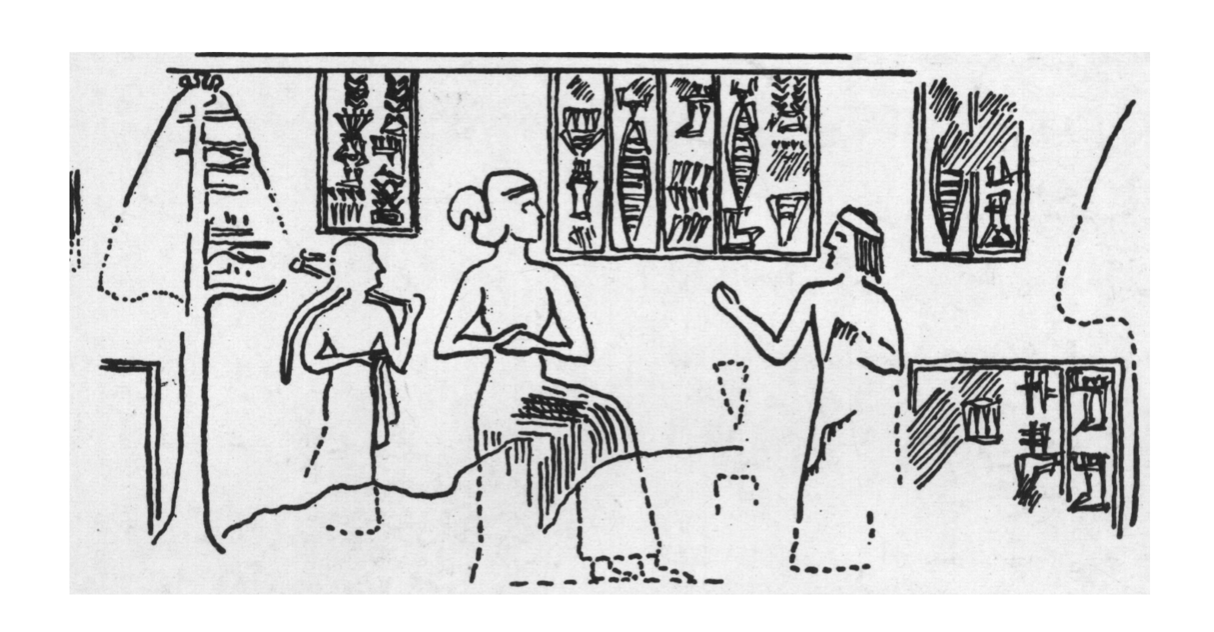
(شكل-10)

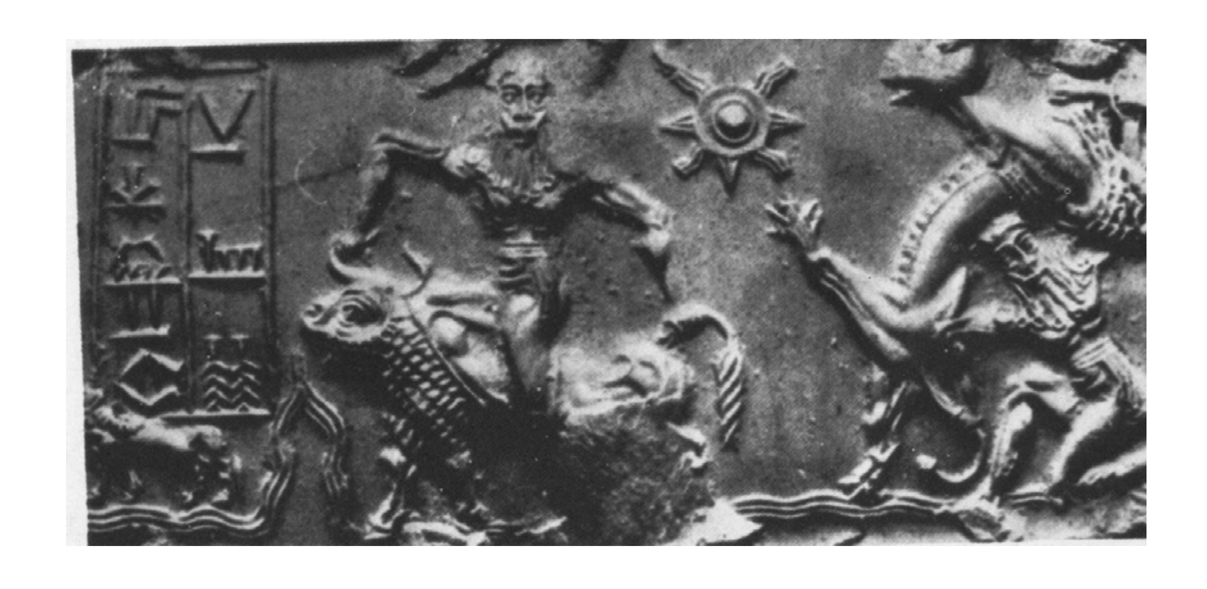
1 - مخططيوضح مدينة اور / الوركاء .وقصر اداد نيراري

2 - مخططيوضح أور في عهد اور نمو

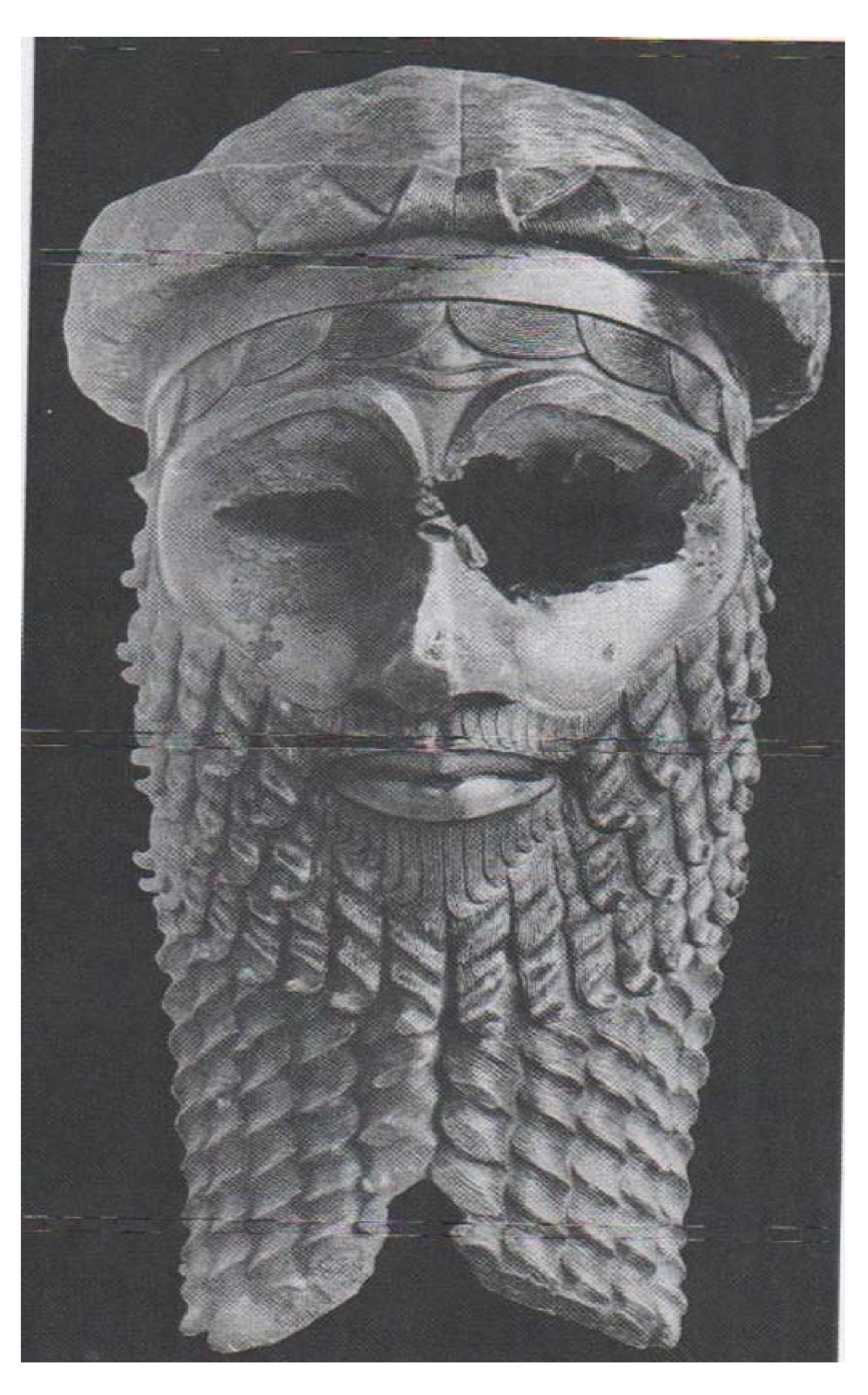


(شكل – 11)
تمثال غوديا المكرس لزوجة الهه الشخصي نينجيزيدا. ويشاهد وهو ممسك بآنية يتدفق منها سيلان مع اسماك (ربما كان يرمز بها الى الرافدين رمز الخصوبة والثراء) ويعد من اروع القطع التي عثر عليها دوسارزيك في تلو (حوالي عام 2130ق. م) متحف اللوفر

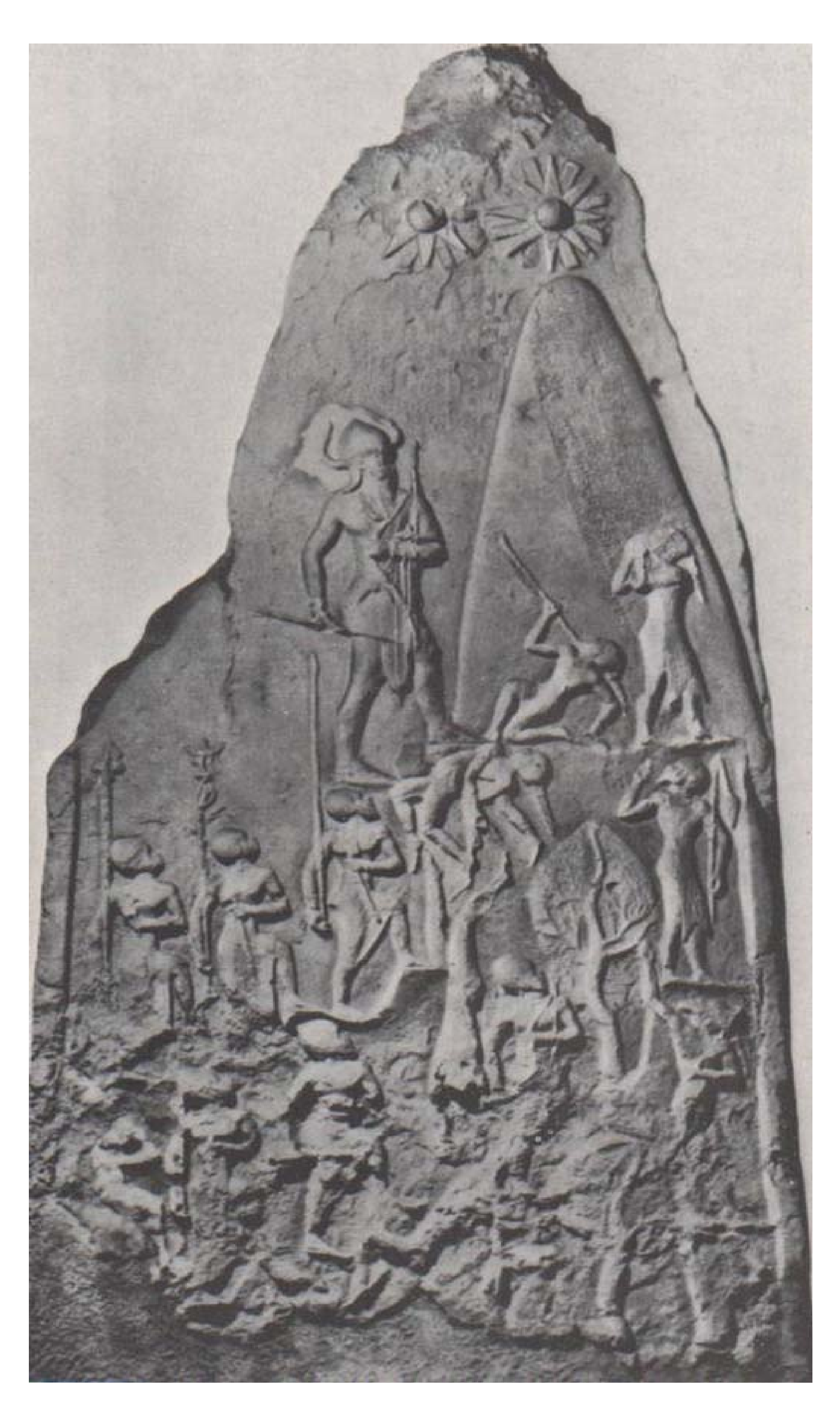




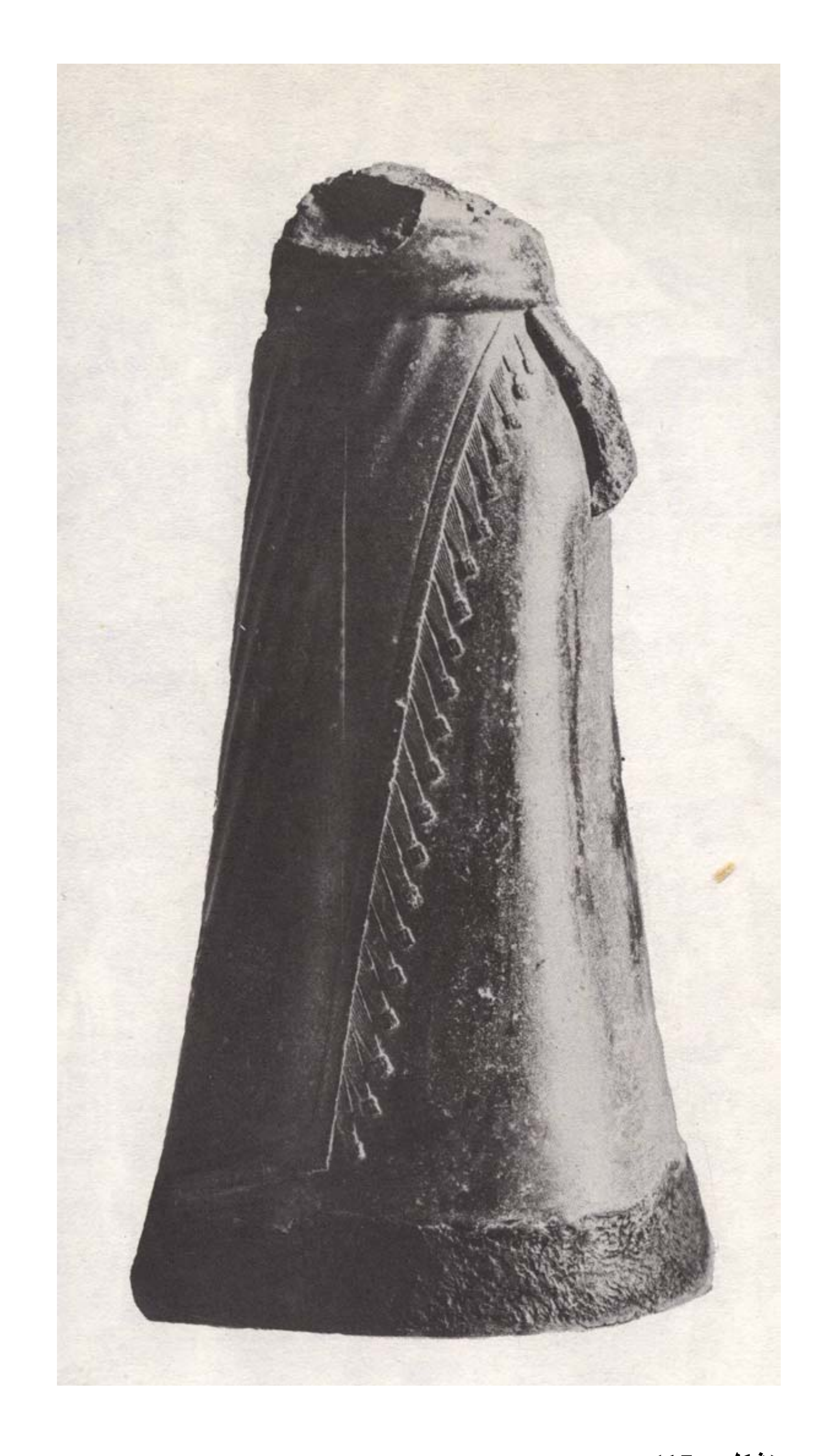
(شكل- 12)
أختام إسطوانية من العصرالأكدي



شكل – 13
رأس سرجون ، قناع يغطي وجهه ، الألف الثالثة ق . م مصنوع من البرونز ، عثر عليه في نينوى / المتحف العراقي . بغداد



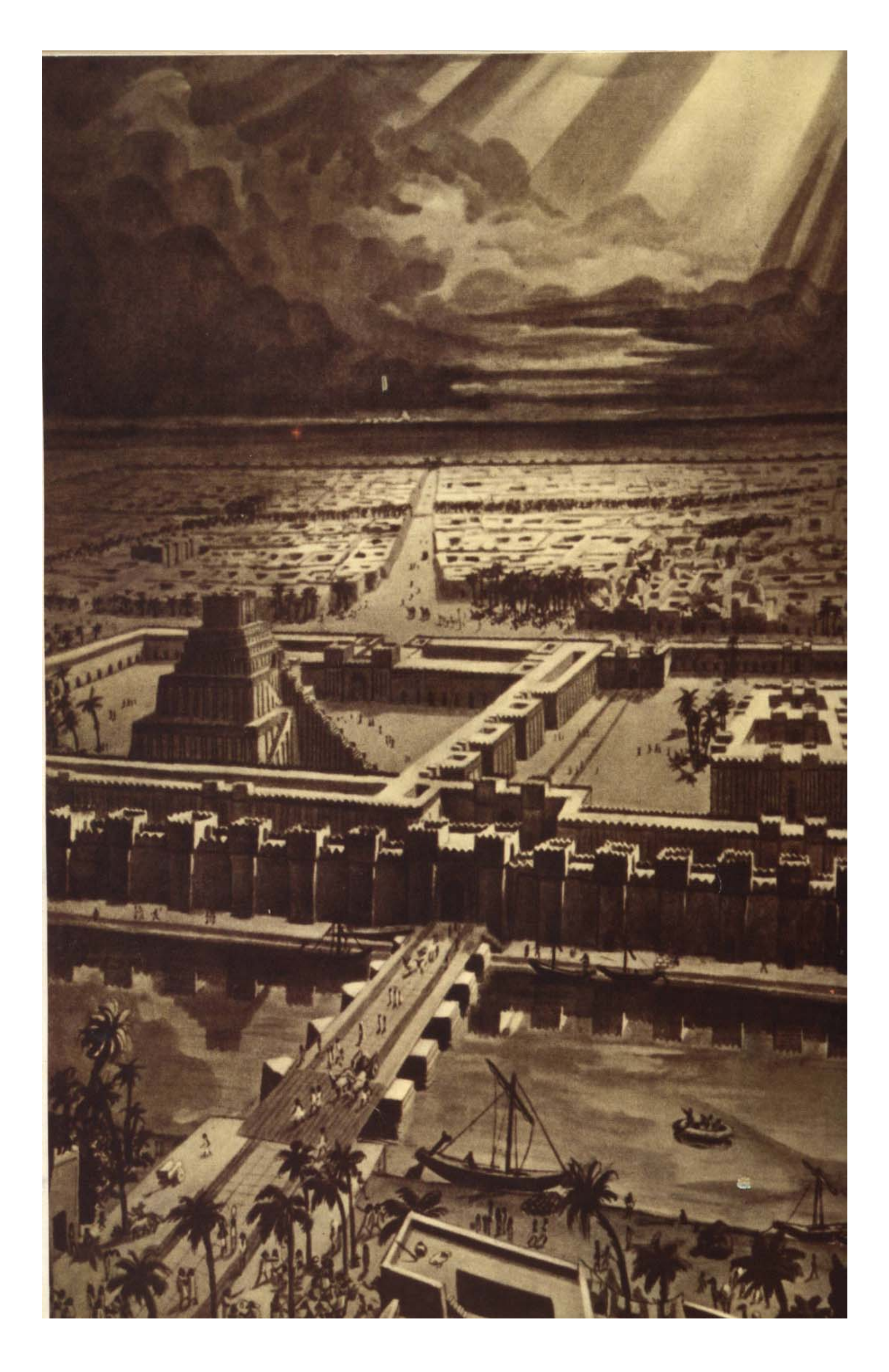
شكل – 14
مسلة النصر – نرام سن ، من حجر رملي ضارب الى الحمرة ، الإرتفاع 2 م
متحف اللوفر . باريس / المرجع ، إنطوان مورتكاد ، الفن في العراق القديم .



(شكل -15)

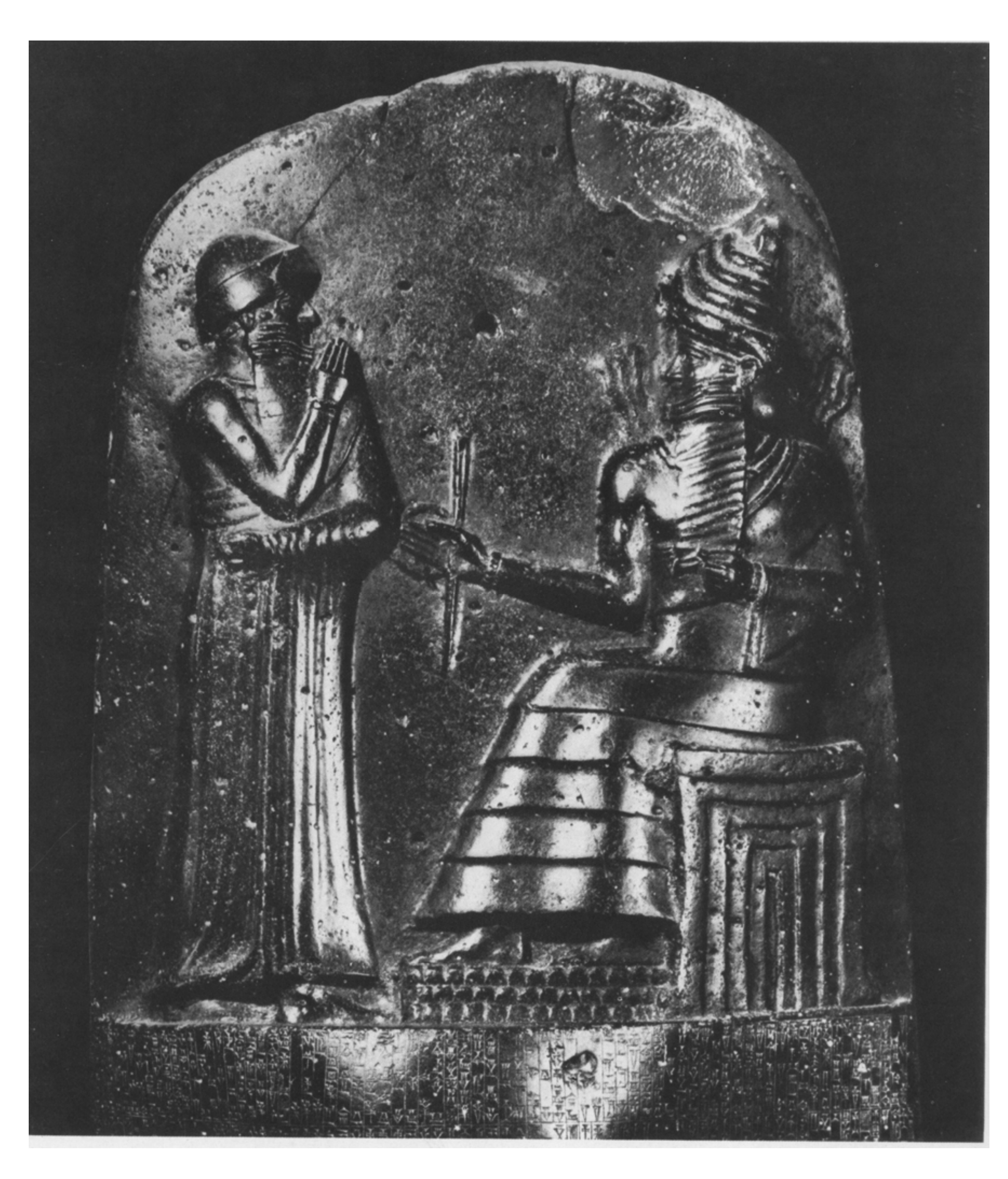
فن اكدي ثوب مانيشتوسو. وهو من حجر الديوريت . النصف الثاني من الألف الثالثة .ق.م
ويظهر علية الإتقان في الزخرفة واسلوب التموج والتدرج .متحف اللوفر

المصدر /كتاب الفن العراقي القديم . د. عفيف بهنسي . ص262 .

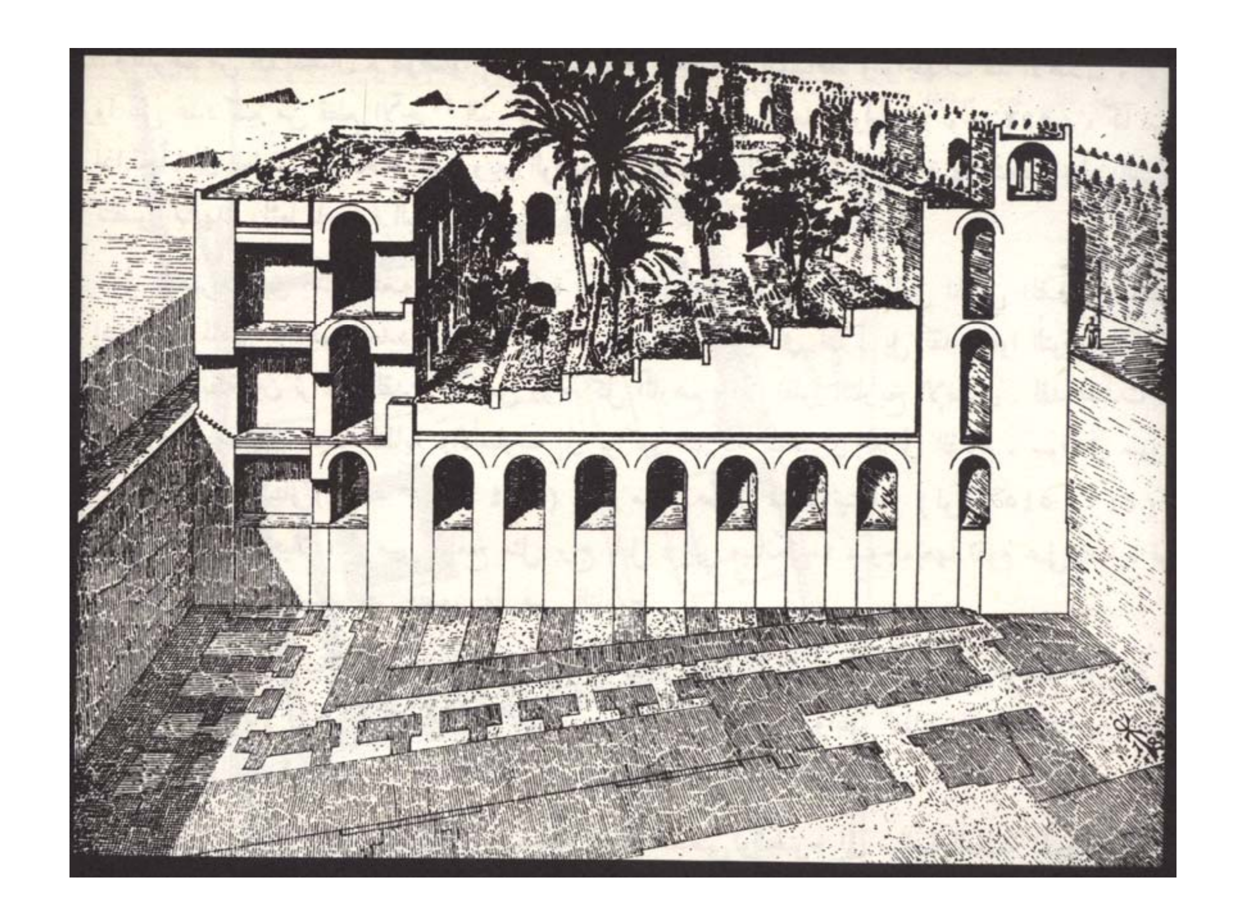


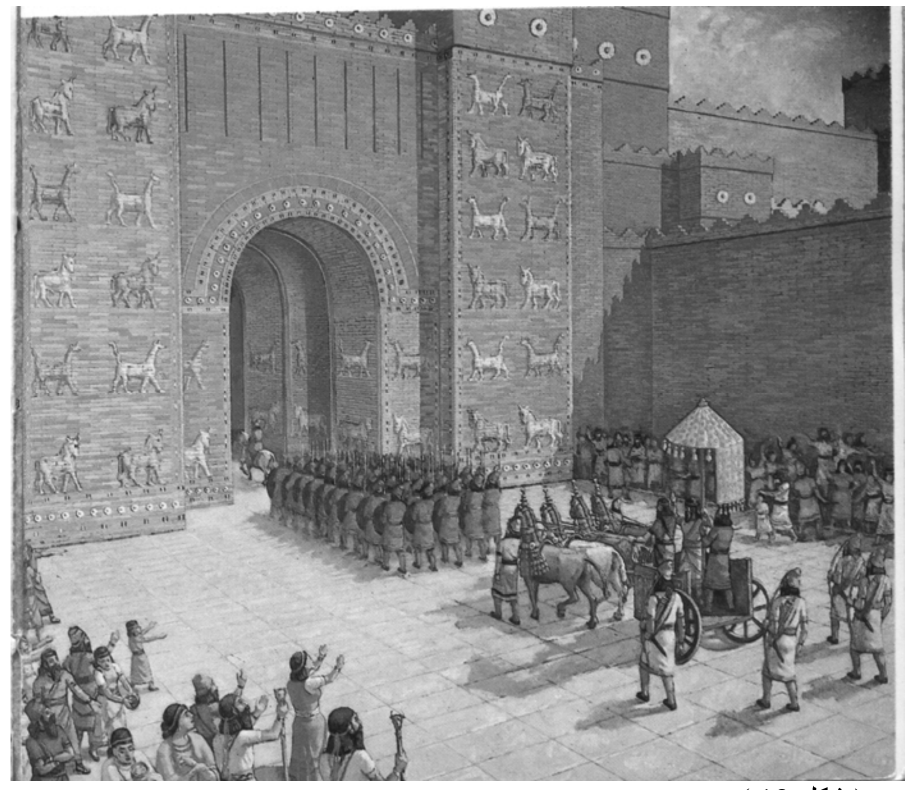
شكل - 16

. **صورة خيالية لمدينة بابل** / المرجع كتاب العراق اليوم



(شكل- 17)
الجزء العلوي من مسلة حمورابي منقوش عليها شريعته التي يستلمها من الإله شمس ، من حجر الديورايت من سوسة ، إرتفاع القسم المصور 65 سنتيمتراً . (متحف اللوفر)





(شكل-18)

صورة 1 . رسم تخيلي يبين الجنائن المعلقة في بابل
صورة 2 . باب وعشتار وشارع المواكب (لوحة من الخيال على ضوء شكل باب عشتار)



شكل - 19

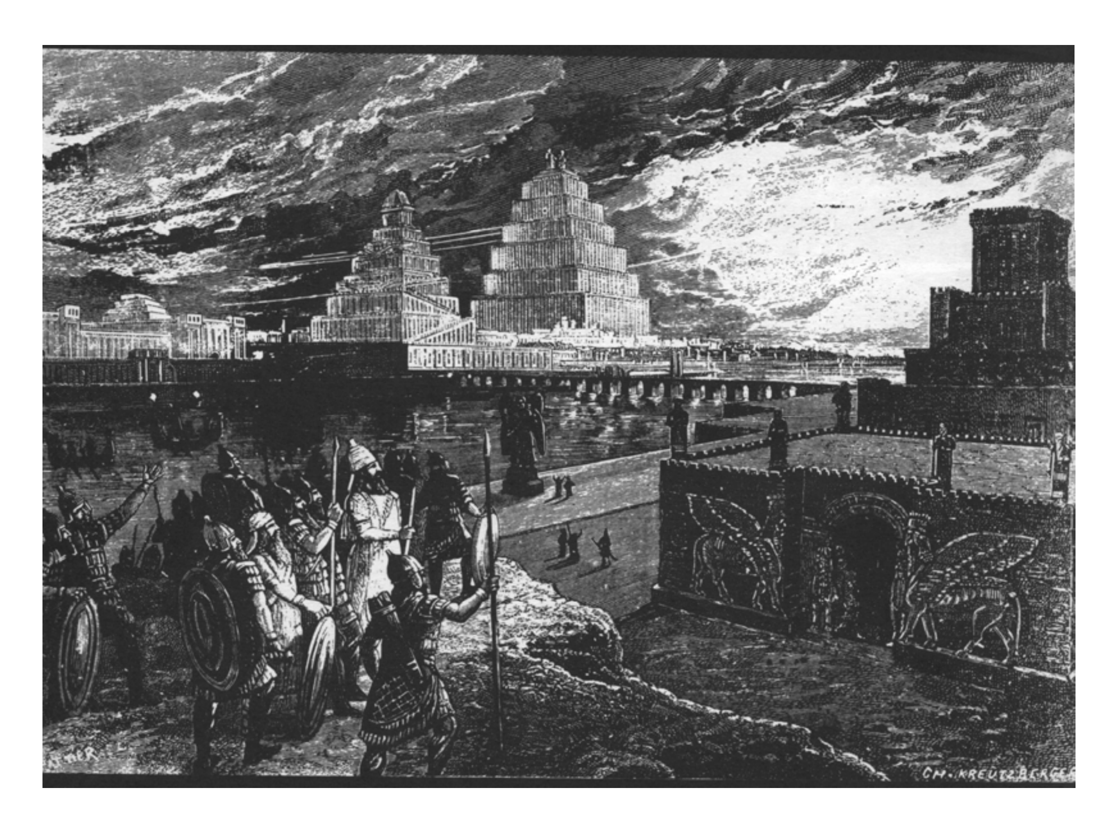
يمثل الثور المجنح الذي يكون عادة في مدخل البناء، راسه آدمي وجسمه على شكل ثور مجنح بخمسة أقدام ، وهو من الحجر الجبسي وإرتفاعه متران .وتختلف الآراء في وضعه بمدخل البناء لحراسته أو لطرد الأرواح الشريرة ، أو للترحيب بالضيوف .
عثر على هذا الأثر في النمرود .



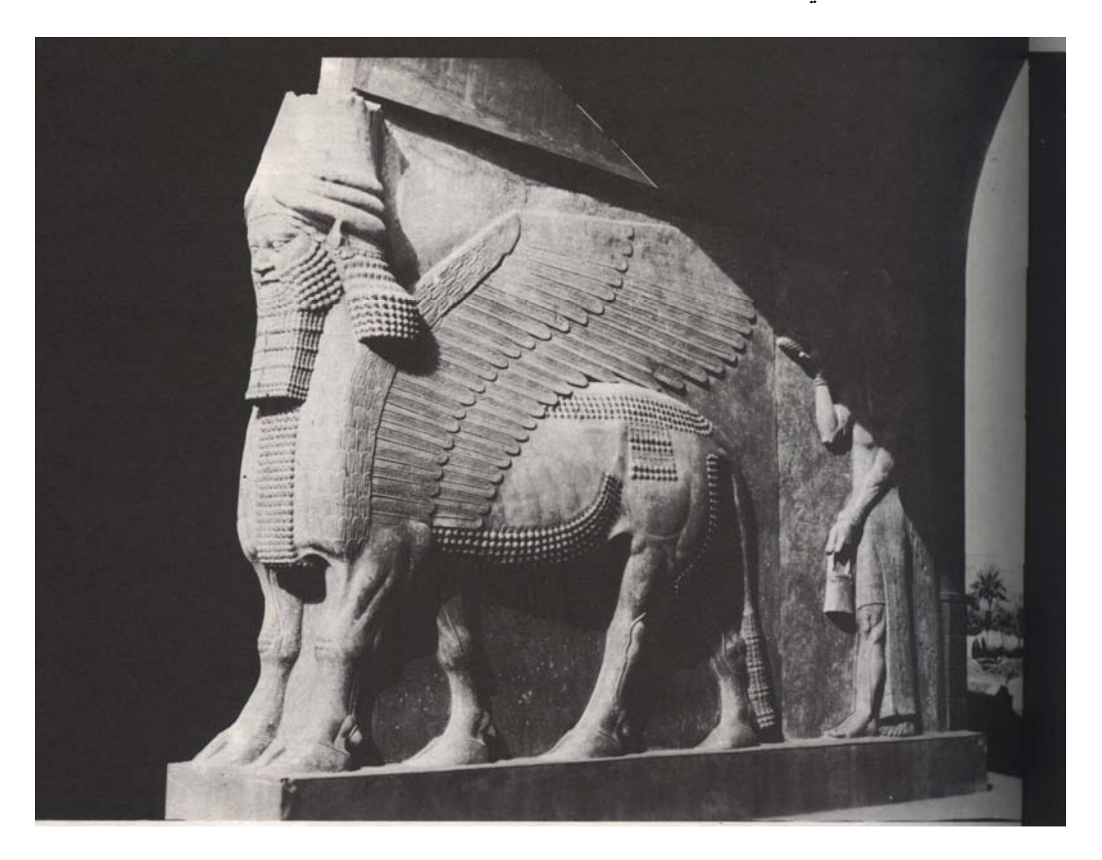
شكل - 20
لبوة تنقض على زنجيا .من العاج والذهب وعجينة ملونة وأحجار كريمة ملونة .القرن الثامن ق . م . نمرود .
المتحف العراقي .(المصدر /كتاب الفن العراقي القديم . د . ثروت عكاشة . ص 563



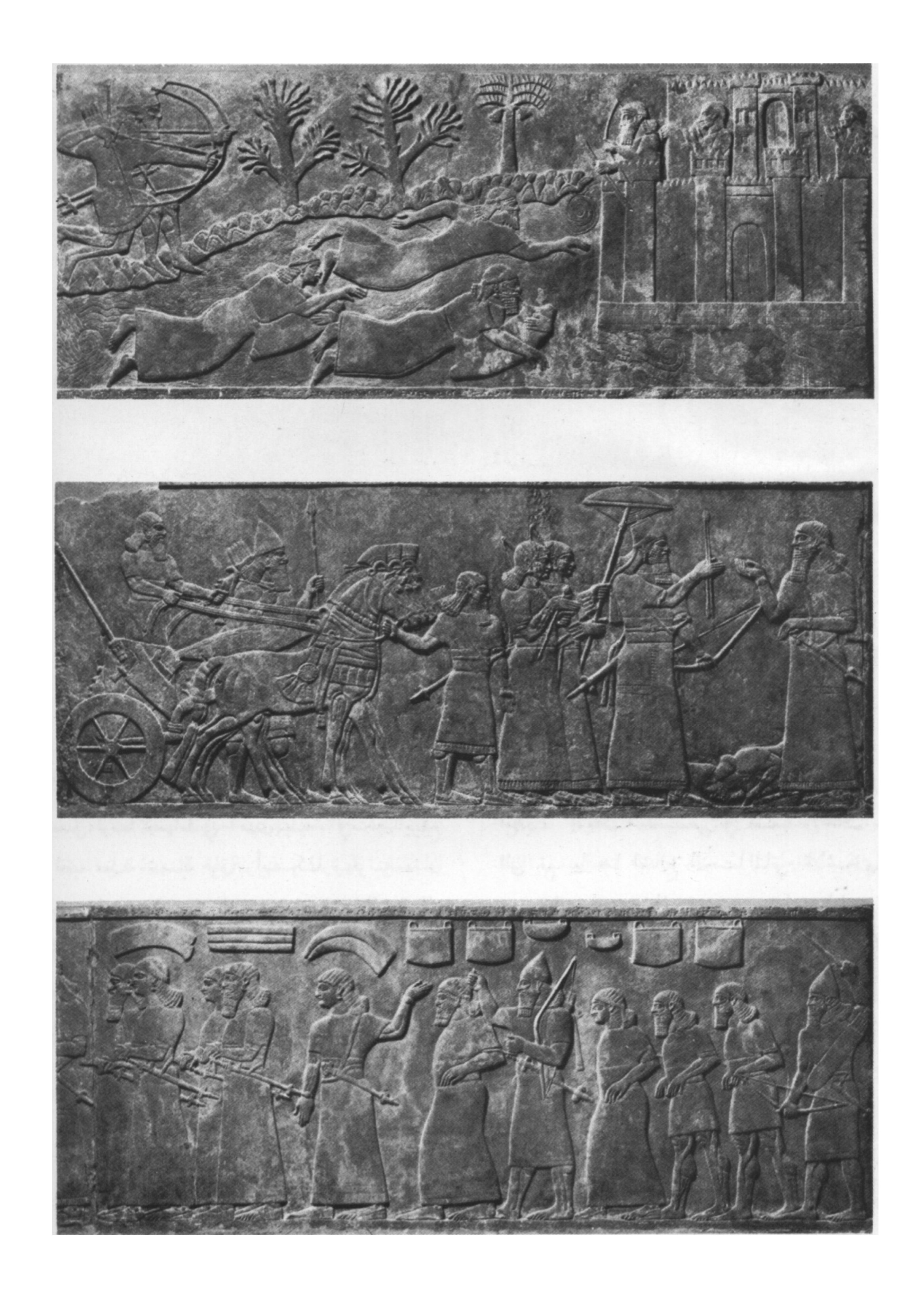
(شكل 21)
لوحة موت ساندربال للفنان الفرنسي أوجين دولاكروا. متحف اللوفر .باريس



شكل 22. 1- منظر تخيلي لمدينة نينوى عاصمة الدولة الآشورية



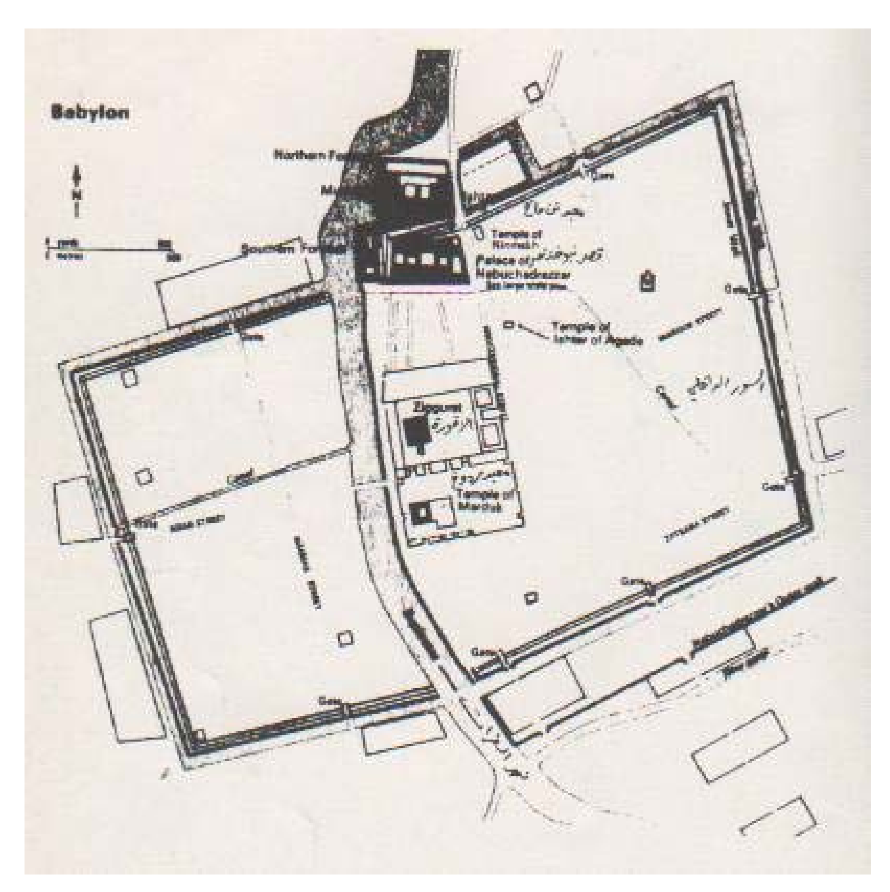
2- ثور مجنح ومن ورائه اله مجنح يمسك بالسطل الشعائري . على بوابة خرصباد (متحف بغداد)



شكل - 23

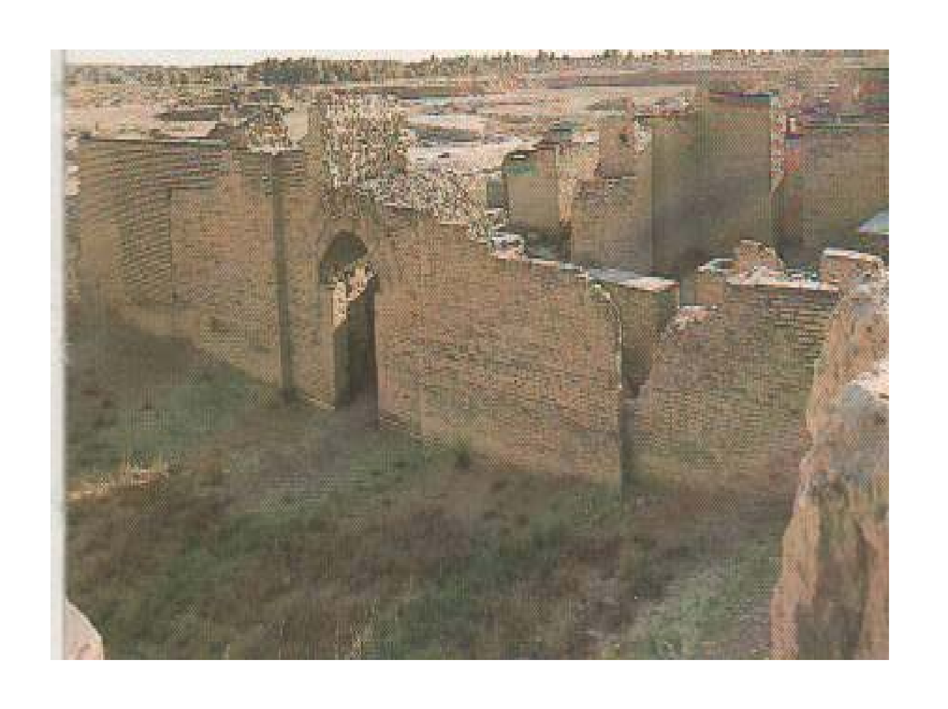
نحت جداري بارز آشوري من الرخام القصر الشمالي الغربي لآشور ناصر بال الثاني في نمرود الإرتفاع

98 سم المتحف البريطاني لندن

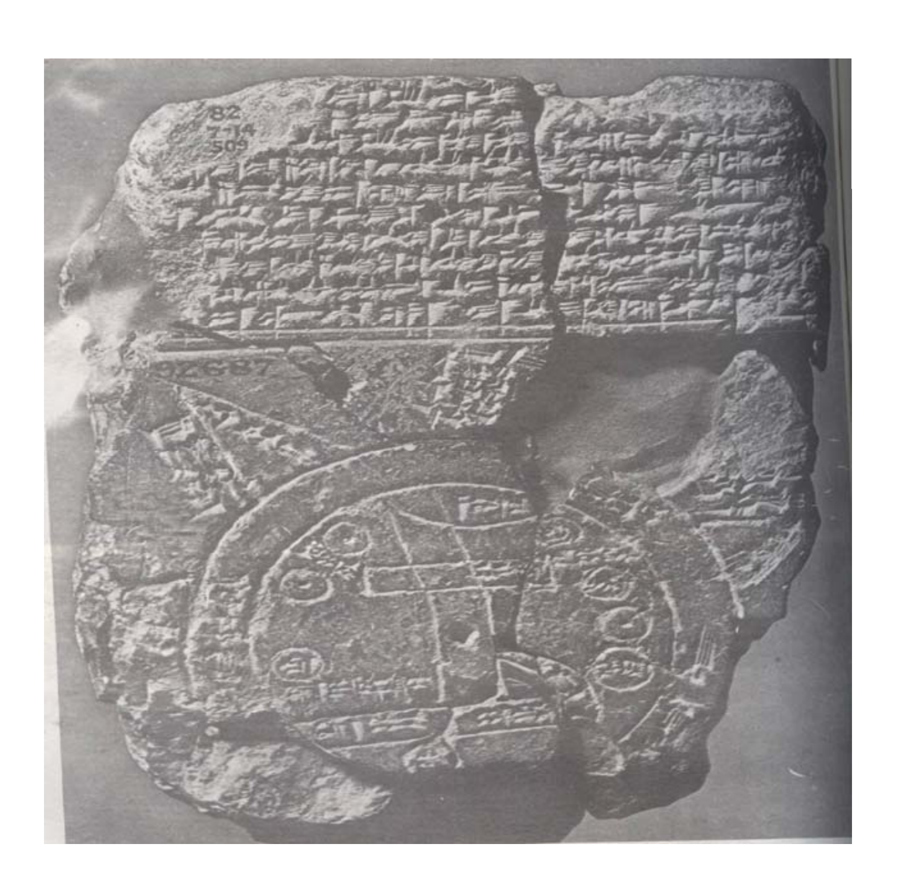


شكل 24

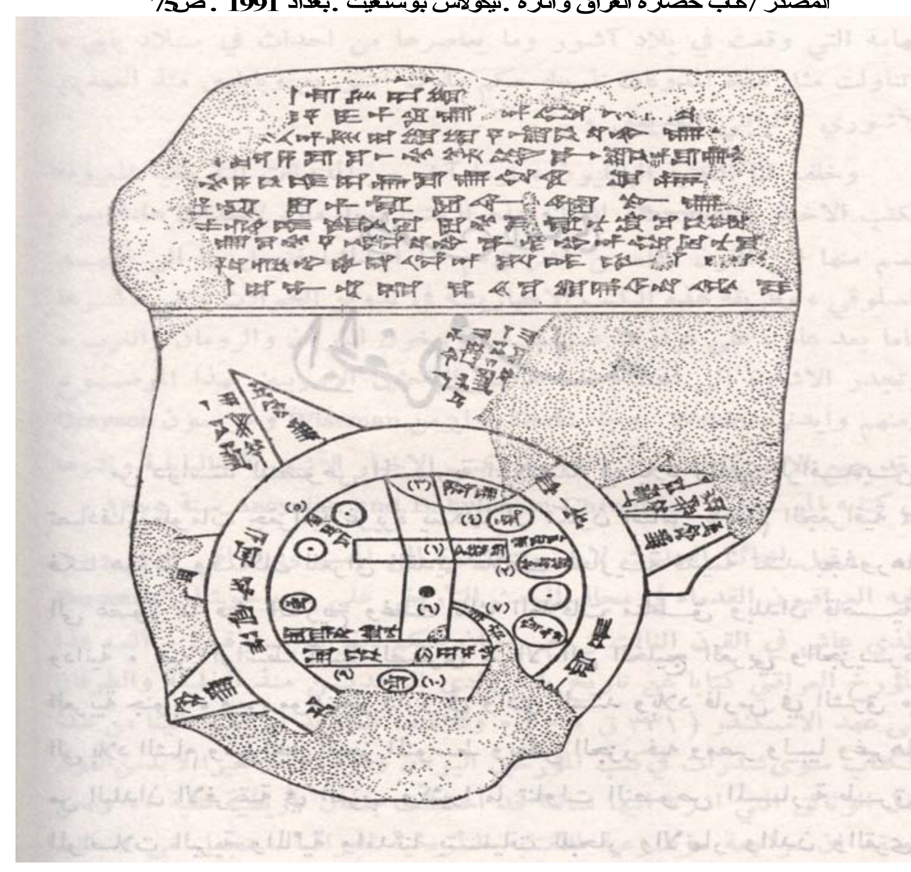
مخطط مدينة بابل



بقايا قصر نبوخذ نصر



(شكل- 25) ب
أصل الخريطة التي وجدت على لوح طيني ، بلكتابة المسمارية .
المصدر /كتاب حضارة العراق وآثارة .نيكولاس بوستغيت .بغداد 1991 . ص75



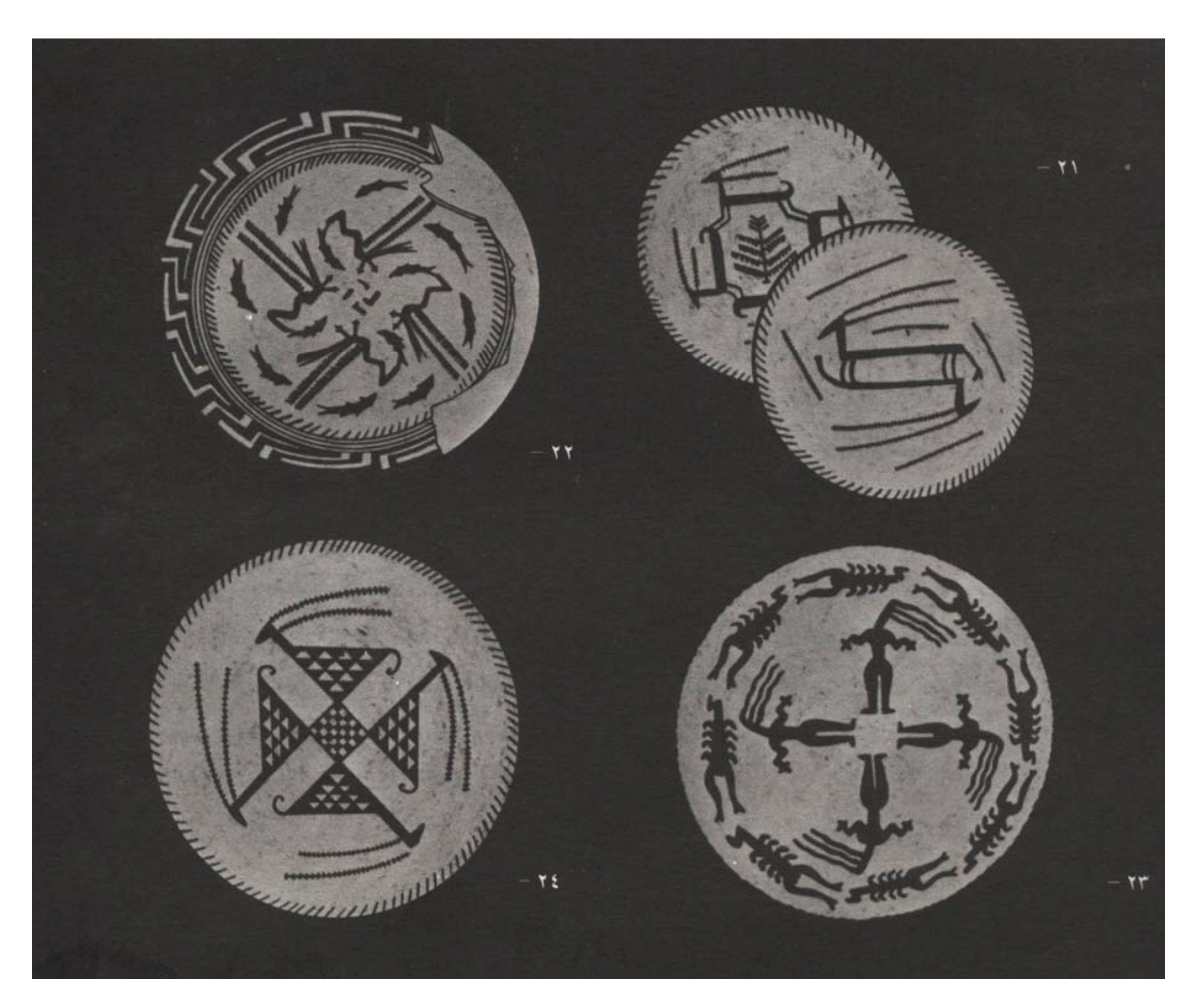
(شكل –25) أ
يوضح علاقة العراق التجارية قديما مع بلاد فارس والسند وطرق المواصلات البرية والمائية .وان الإمصار التي إتصل بها العراقيون في جميع الإتجاهات .وتبدو بابل في الوسط نظراً لتصورهم بان بابل مركز العالم .

تفاصيل الخريطة :
1-بابل 2- بلاد آشور 3-جبال .4-مدينة .5-بلاد .6-نهر الفرات .7 -فرع من الفرات .8-الهور الذي يصب فيه نهر الفرات .9-القناة التي تصب في البحر المحيط .10 -بلاد البحر

كتاب حضارة العراق ج2 . ص218



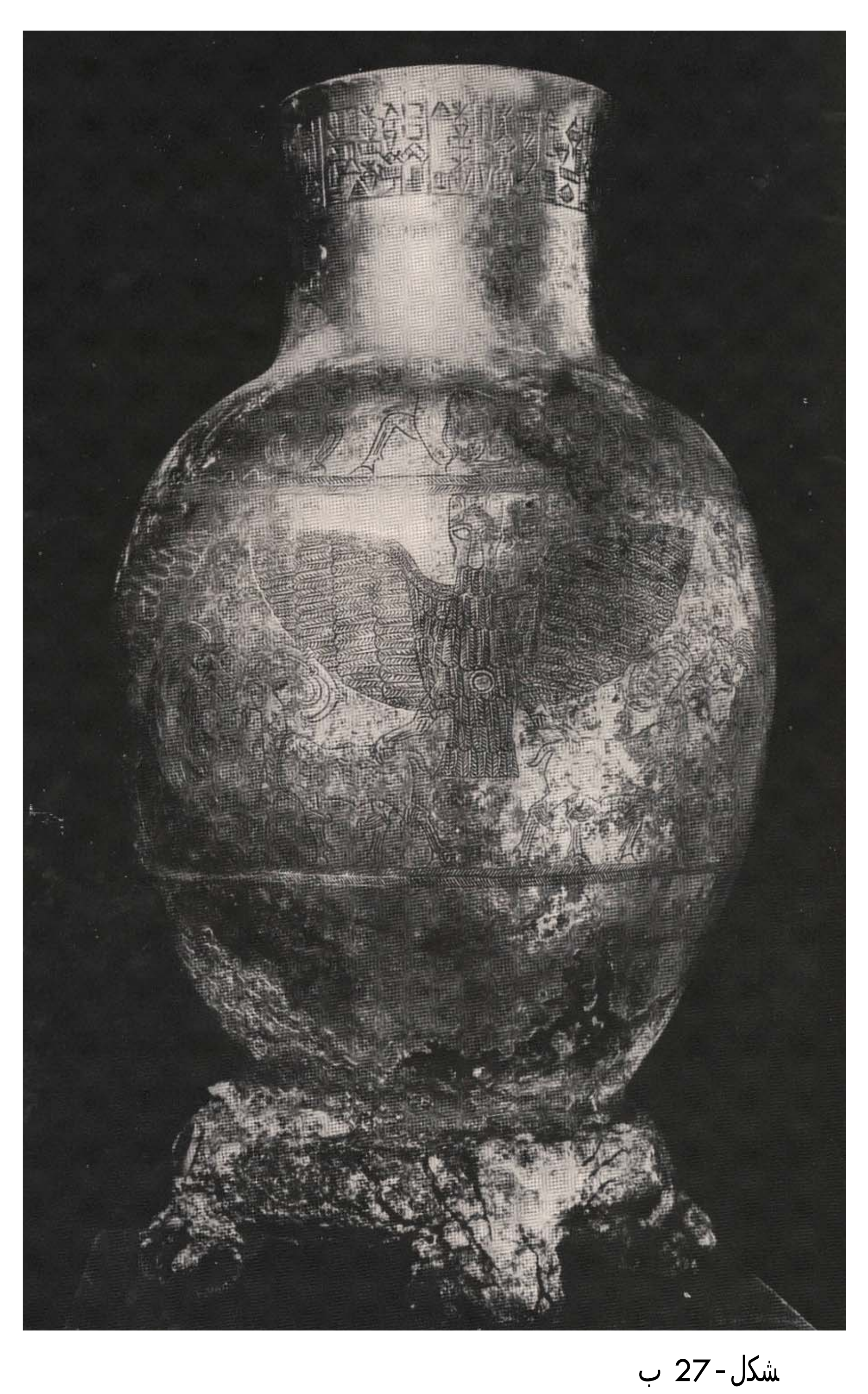
شكل ـ 26
لوح طيني يبدو في اعلاه مثلث مقسوم الى أربعة مثلثات ، وفي اسفل اللوح شرح العملية الرياضية التي تتشابه مع نظرية تطابق المثلثات للعالم الإغريقي فيثاغورس
المصدر / كتاب حضارة العراق ةاثاره. نيكولاس بوستغيت .ص 62



شكل – 27 أ

أواني فخارية سومرية .ويظهر فيه الإنتقال من تصوير الكائنات الحية الى التجريد أو التحوير.الألف الخامسة ق . م

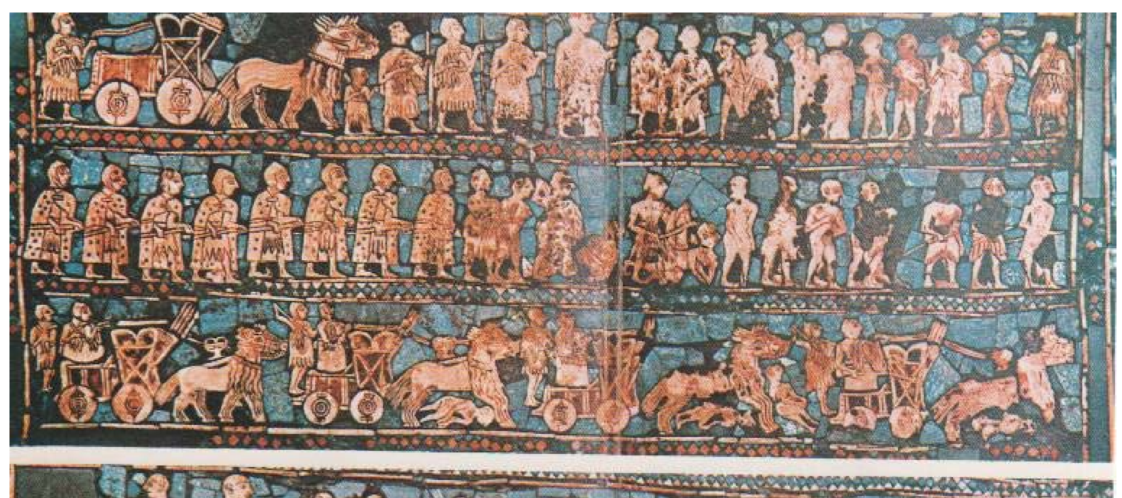
المصدر / كتاب الفن في العراق القديم . د . ثروت عكاشة



شكل-27 ب

إناء نذري من الفضة يعود لأنتيمنا حاكم لكش ، عثر عليه في تللو، طوله35 سم

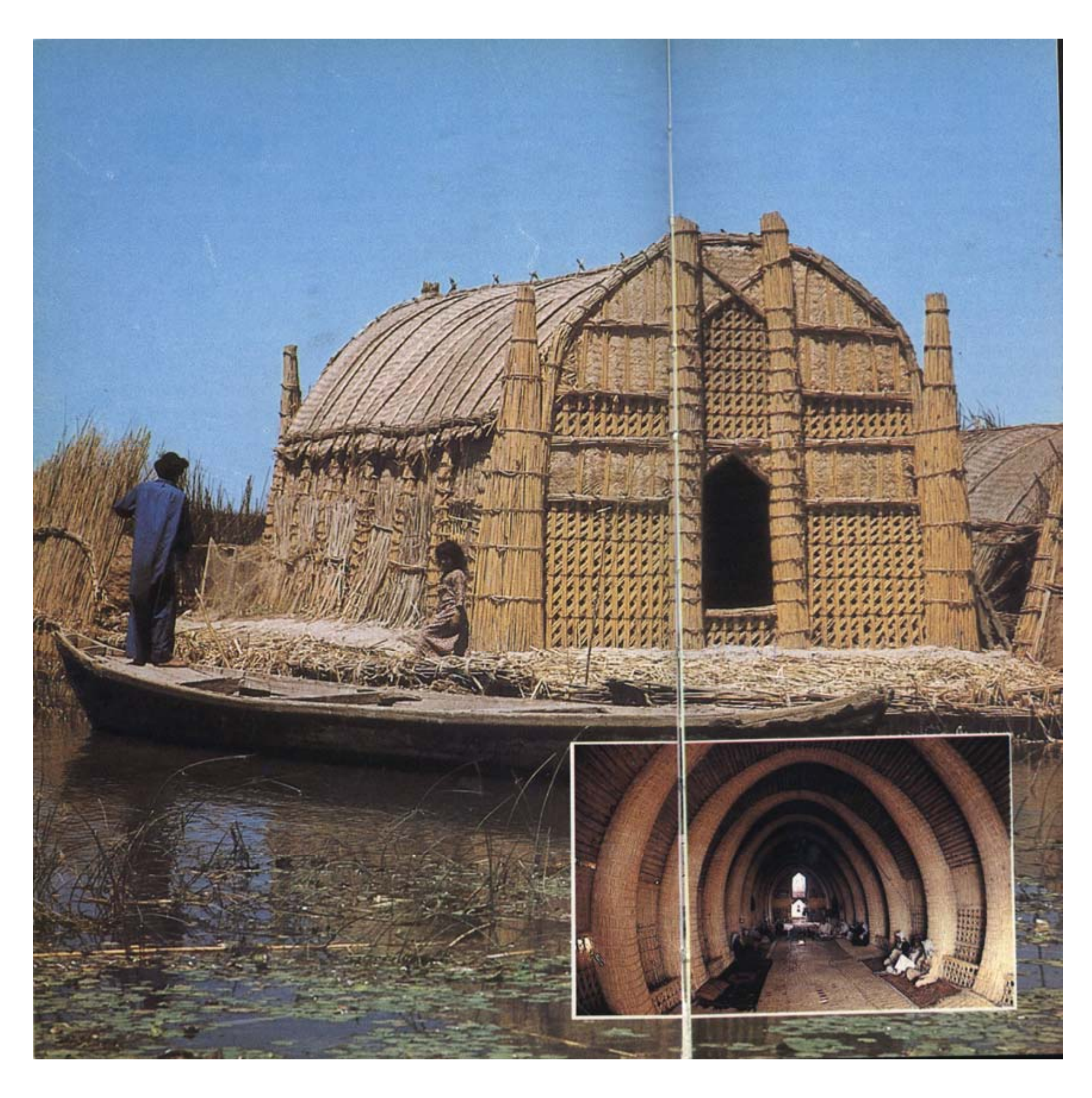
متحف اللوفر بباريس . المصدر/ د.عفيف بهنسي . الفن في العراق القديم





(شكل -28)
اسلوب التطعيم السومري المتميز ، ويشاهد فيه مشهد حلب الأبقار ، ويشاهد الى الأعلى مشهد معركة من العربات ذات العجلات غير الجوفاء التي تجرها ازواج من الحمر الوحشية ، الى صفوف مشاة يقودون الأسرى المجردين من الملابس والمقيدين بالحبال .نحو الملك نفسه الذي يقف امام عربته .ليعلنوا استسلامهم له ، وفي الجهة الأخرى (السفلى) مشهد احتفالات النصر يجلس الملك مرتديا تنورة مع اصحابه وموسيقييه يتناولون الشراب في حين تحمل مسيرة الجزية أو المؤن للمادبة .
(المتحف البريطاني) يرجع تاريخها الى العصر السومري الوسيط

المصدر / كتاب حضارة العراق واثاره . نيكولاس بوستغيت . ص52



(شكل29)
يمثل المساكن القصبية لسكان الأهوار اللذين يوجدون بالقرب من المناطق السومرية ، في أسفل الصورة يبدو البناء من الداخل ، وهو كبير نسبياً ويمثل مركز الإجتماعات او اللقاءآت التي تجمع سكان المنطقة .

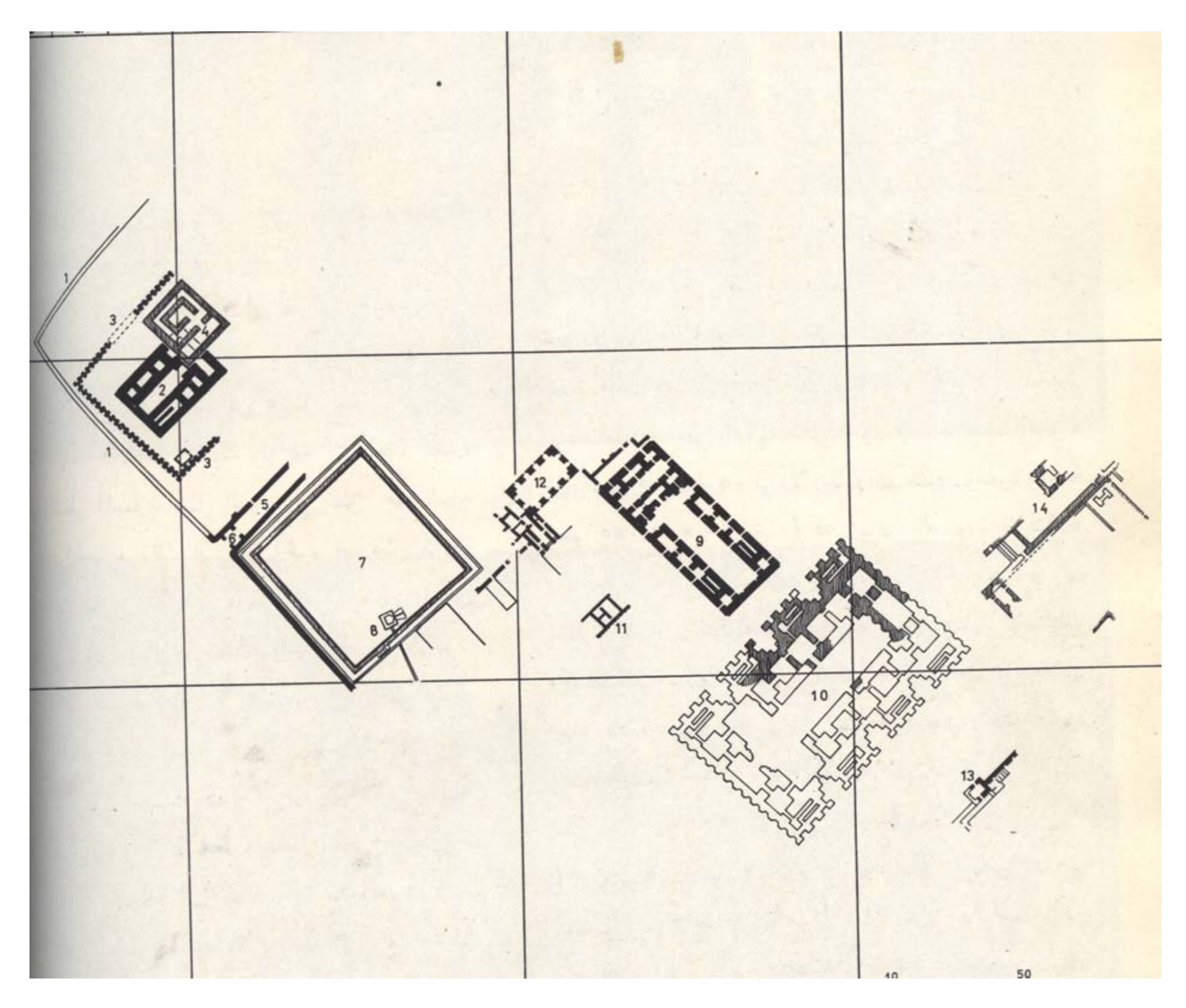


(شكل – 30)

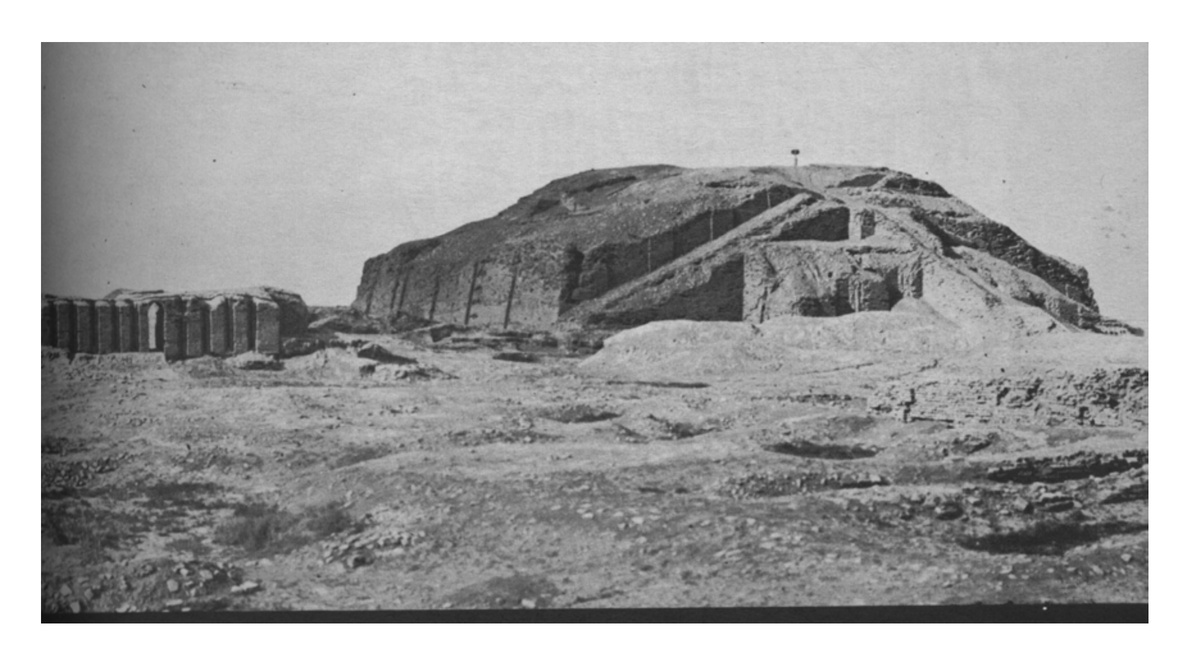
نقش بارز على جدران قصر سرجون يمثل جلجامش يسيطر على أسد .

القرن الثامن ق. م . خرسباد (متحف اللوفر)

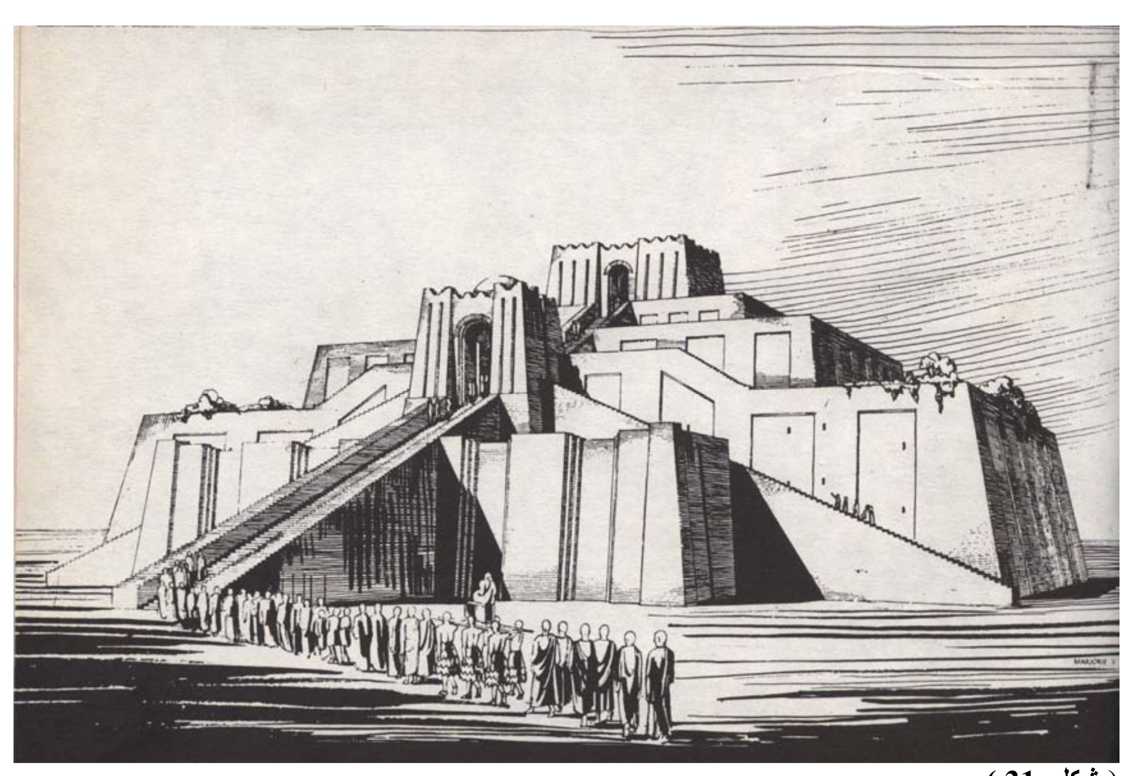
المصدر / كتاب الفن العراقي القديم . د. ثروت عكاشة .ص468



شكل – 31 أ
مخطط . حرم آنا في الوركاء . المصدر. انطوان مورتكاد / الفن في العراق القديم



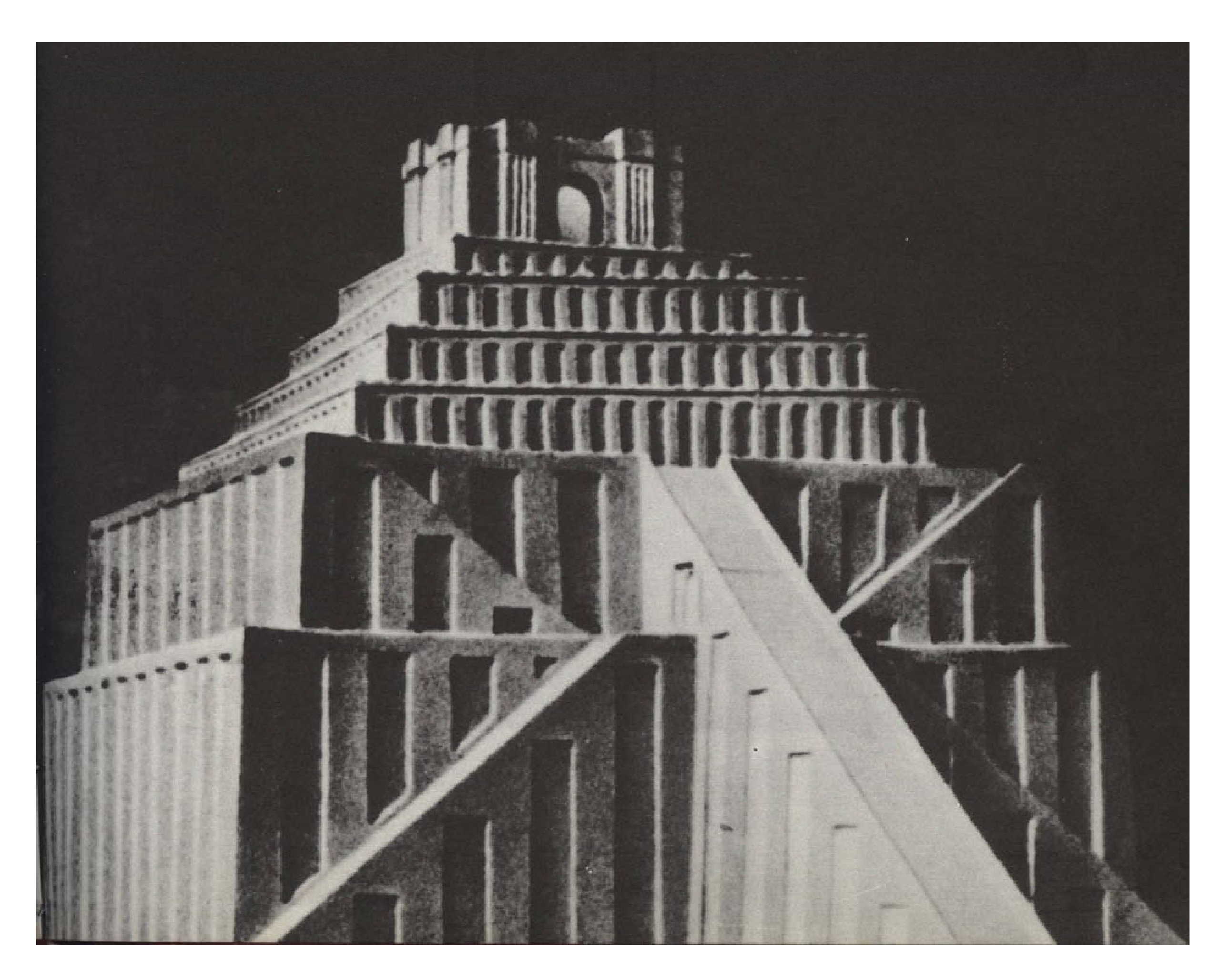
1- زقورة أور السومرية في الوركاء



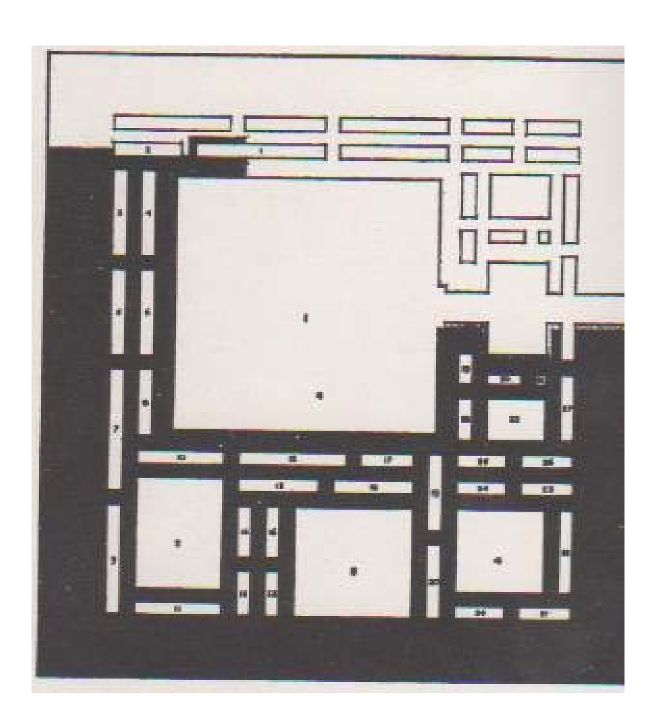
(شكل- 31) .ب

2 - منظر تخيلي تخطيطي لنفس الزقورة

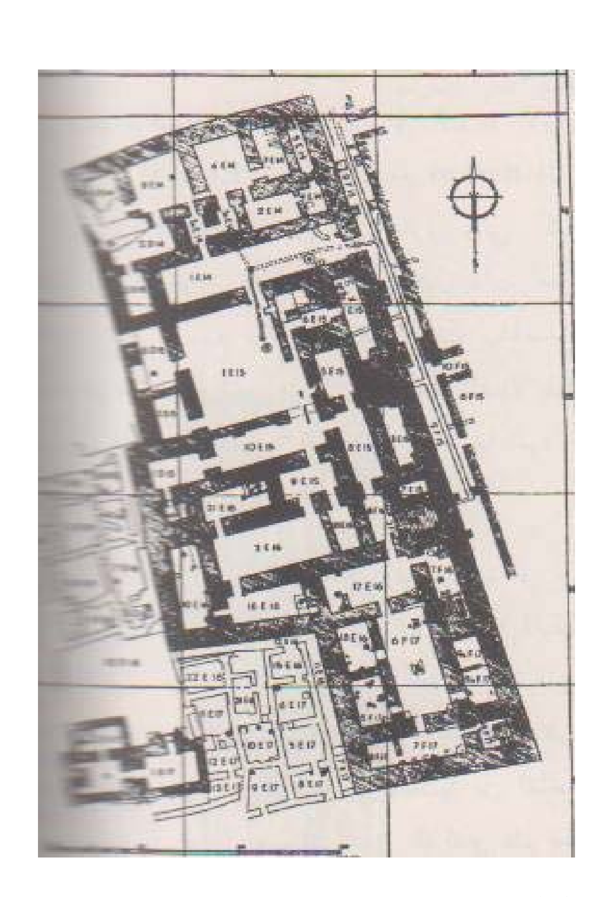
المصدر / كتاب الفن العراقي القديم . د ثروت عكاشة . ص122



(شكل – 32)
زقورة إتمنانكي . وهي من الطراز الآشوري . القرن السابع – السادس ق.م
المصدر / د. ثروت عكاشة . الفن العراقي القديم



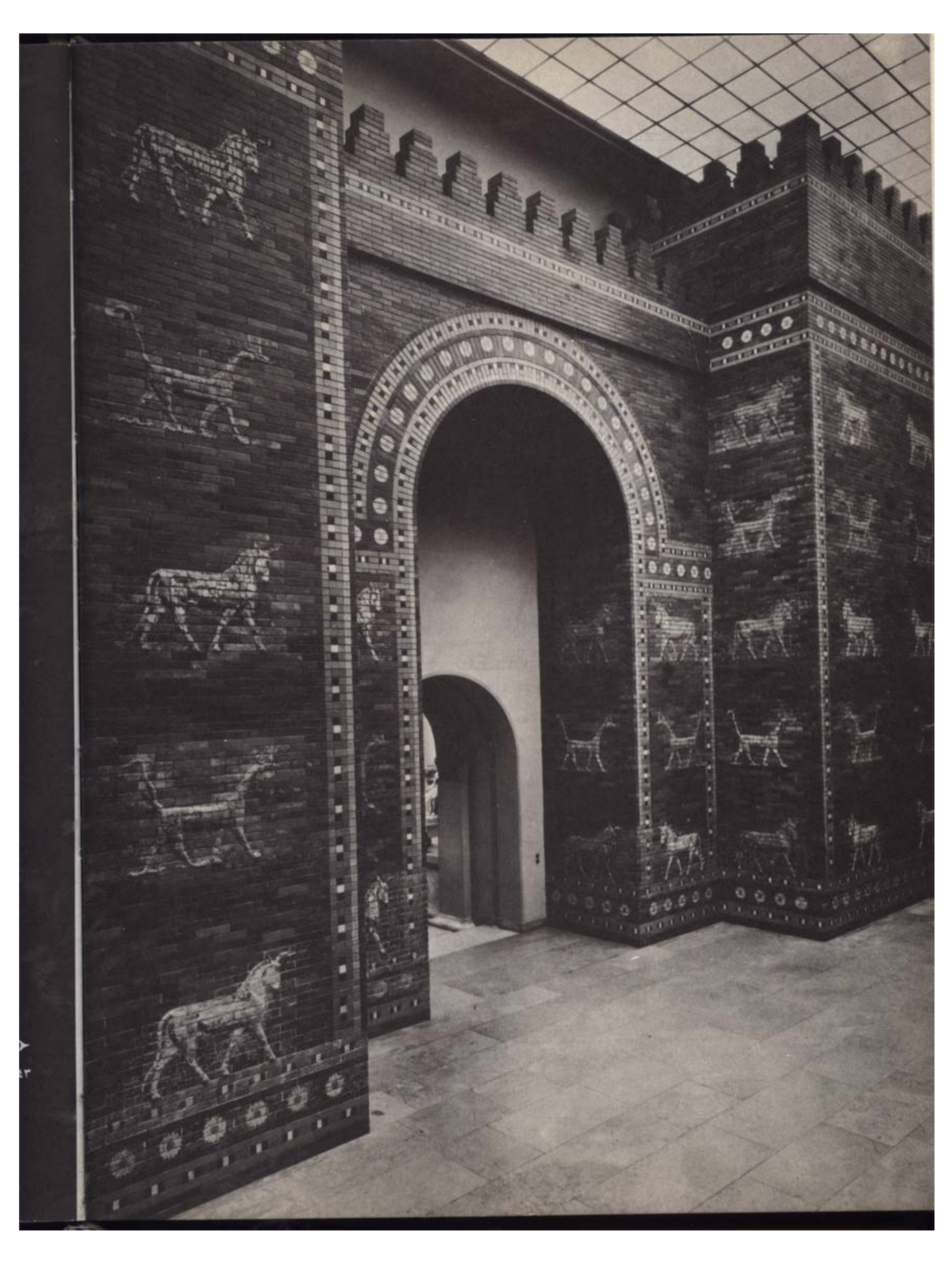
1- **قصر نرام سن الأكدي في تل براك**



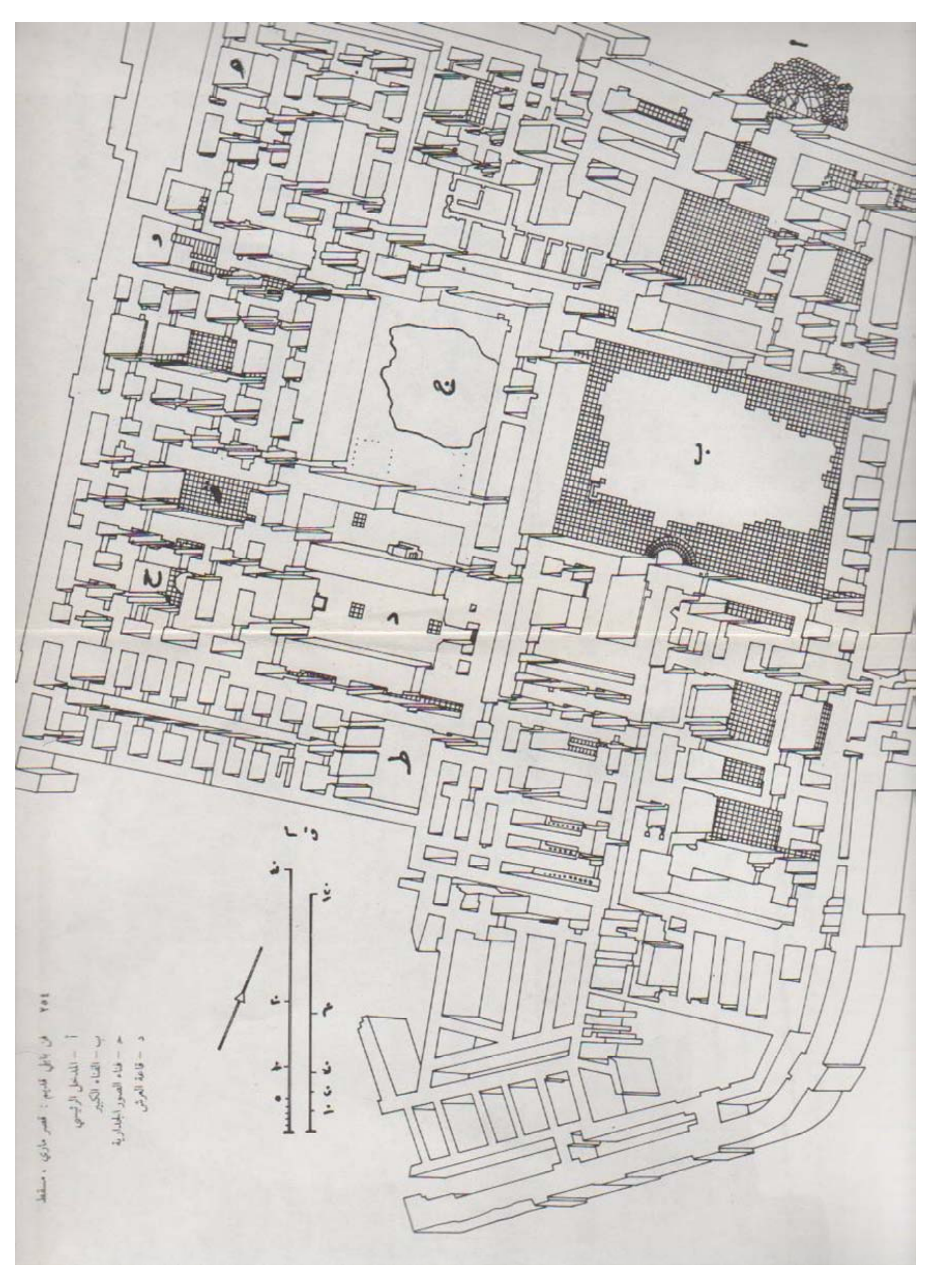
شكل -33

2- قصر اكدي في تل أسمر

المصدر/ كتاب الفن في العراق القديم . انطوان مورتكاد



(شكل- 34)
بوابة عشتار . بعد إعادة بنائها وتشكيلها. بعد ان هربت الى برلين حجرة حجرة ، وهناك تم اعادة تشكيلها
البناء مشيد من القرميد المطلي بالميناء . القرن السابع والساد س . ق. م
المصدر / كتاب الفن العراقي القديم . د ثروت عكاشة . ص543



شكل – 35 أ

مخطط قصر ماري ببابل . أ – المدخل الرئيسي . ب- الفناء الكبير . ج – فناء الصور الجدارية . د- قاعة العرش ه- غرفة الملك . و - مدرسة الكتبة . ز- حي الإدارة . ح – الفرن . ط – المخازن

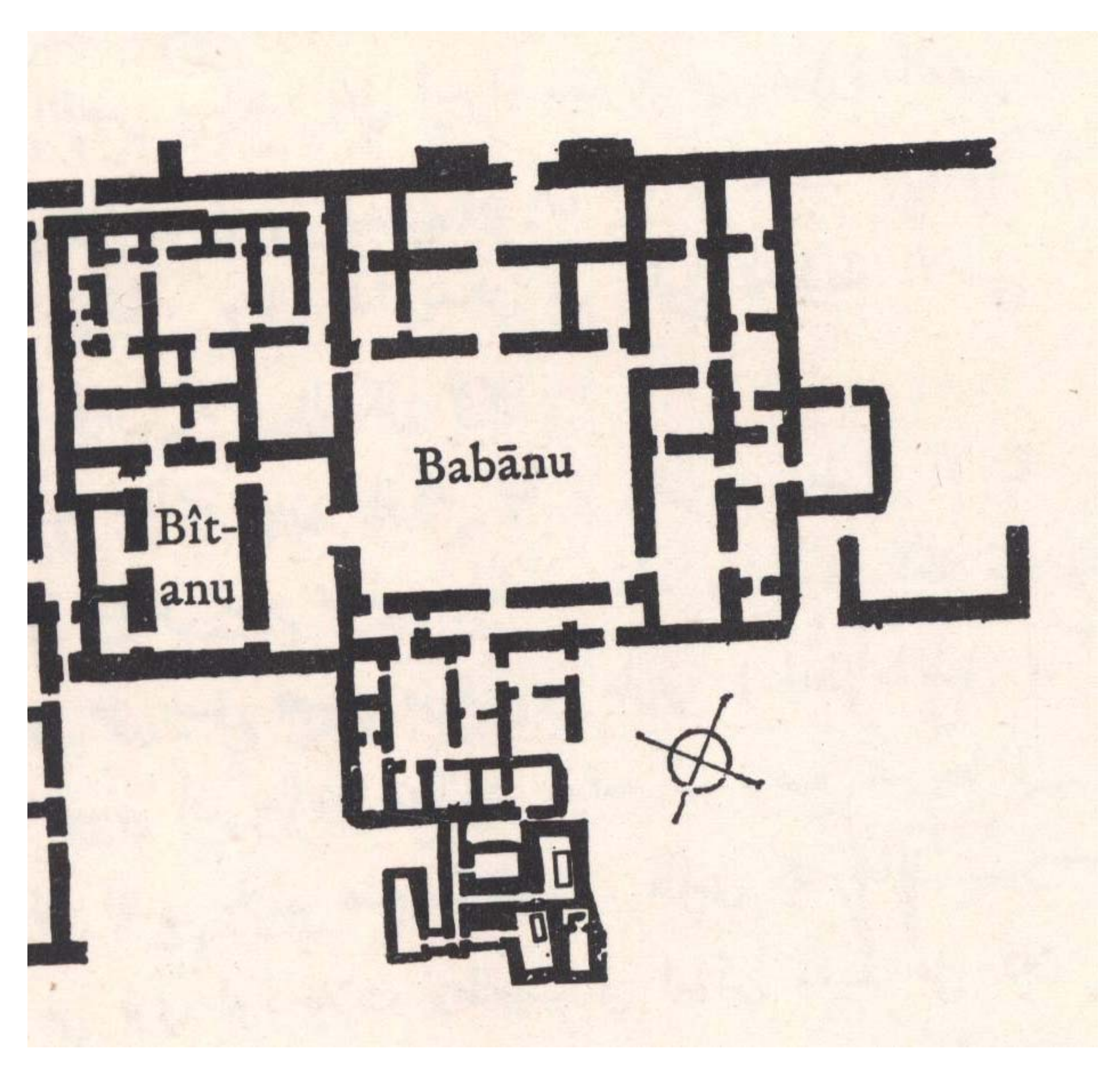
المرجع / د . ثروت عكاشة . الفن في العراق القديم . ص 255



شكل – 35 ب

رسوم جدارية ملونة بابلية .عثر عليها في قصر ماري وهي تمثل مشهد تنصيب الملك القرن . 18 ق. م (متحف اللوفر)

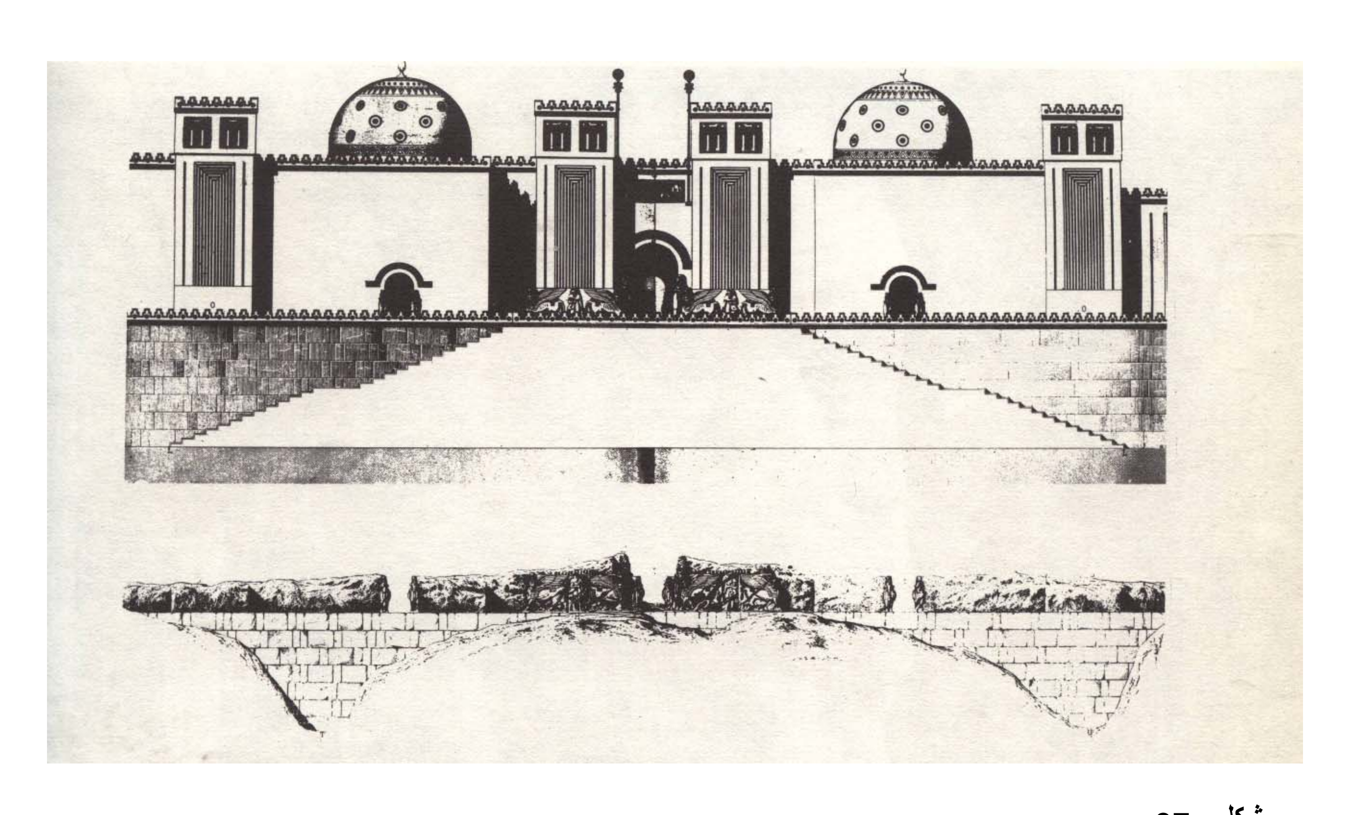
المصدر /كتاب الفن العراقي القديم .د . ثروت عكاشة. ص 267



(شكل – 36)

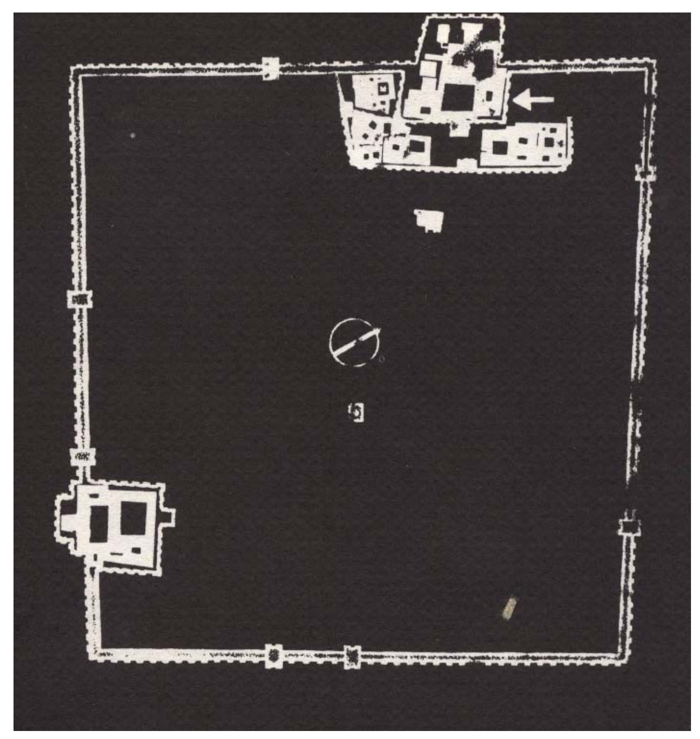
مخطط لقصر ادد – نيراري الأول في آشور . وهو يمثل احدى صفات الأبنية الآشورية الضخمة.

المصدر / كتاب الفن في العراق القديم . انطوان مورتكاد . ص319

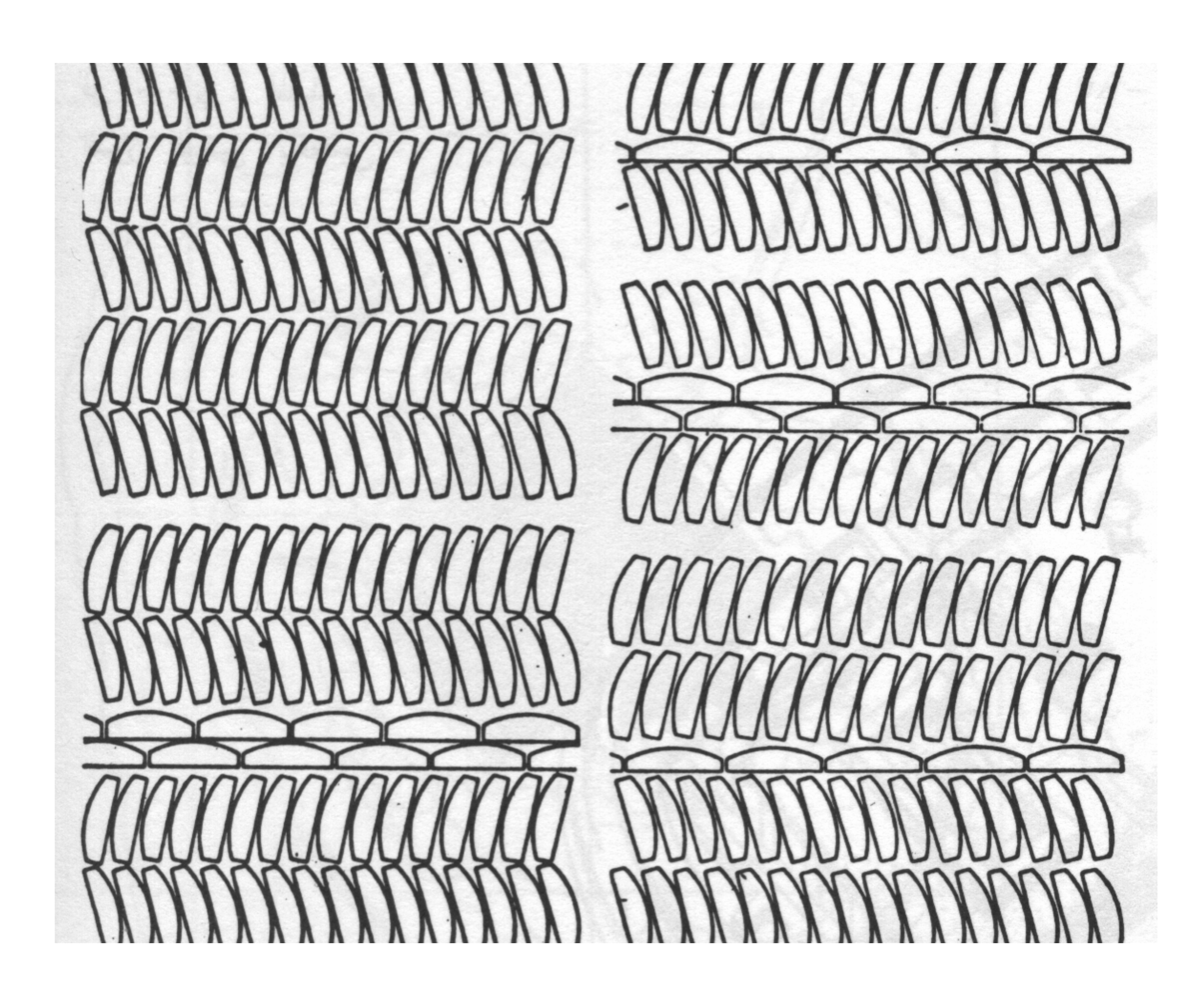


شكل– 37

1 - **منظر تخيلي لدور شاروكين:مدخل قصر سرجون في المستوى الأدنى مقطع للحفريات التي قام بها المنقبون الأوائل في مدينة خرصاباد ، وتظهر بقايا المدخل والجدران** المصدر كتاب الفن العراقي القديم د.ثروت عكاشة. ص 584



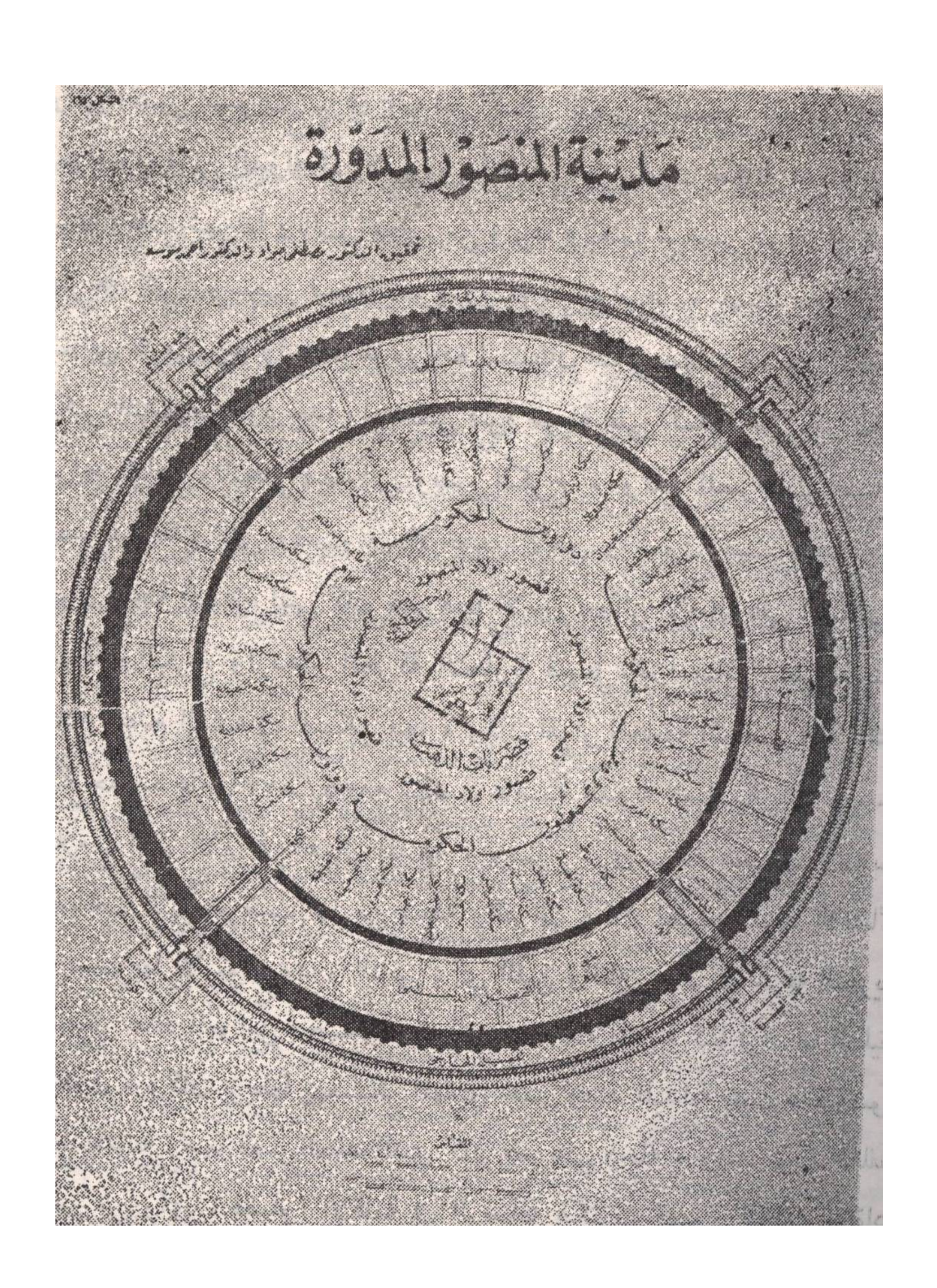
2 - مسقط أرضي ، تخطيط لموقع خرصاباد ويبدو السور والأبواب والقصر الملكي.







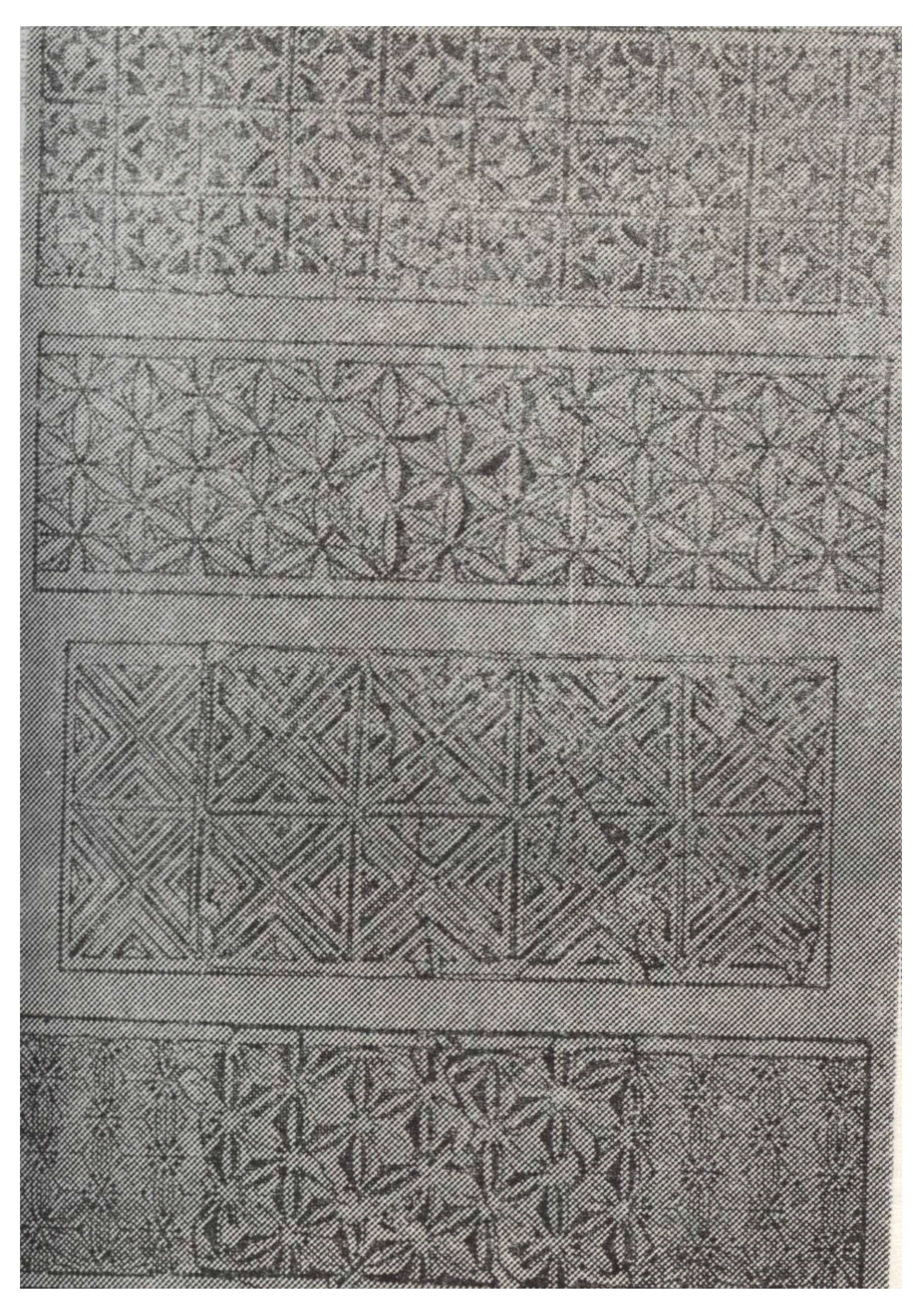
شكل 39
1 - رسم جداري مرمم في القصر الجديد الذي شيده ننورتا (تظهر الأجزاء الباقية بالألوان الأصلية)
2 - تصوير جداري آشوري يمثل مشهداً حربياً القرن الثامن ق .م



شكل - 40

مدينة بغداد المدورة التي بناها وخططها أبو جعفر المنصور .

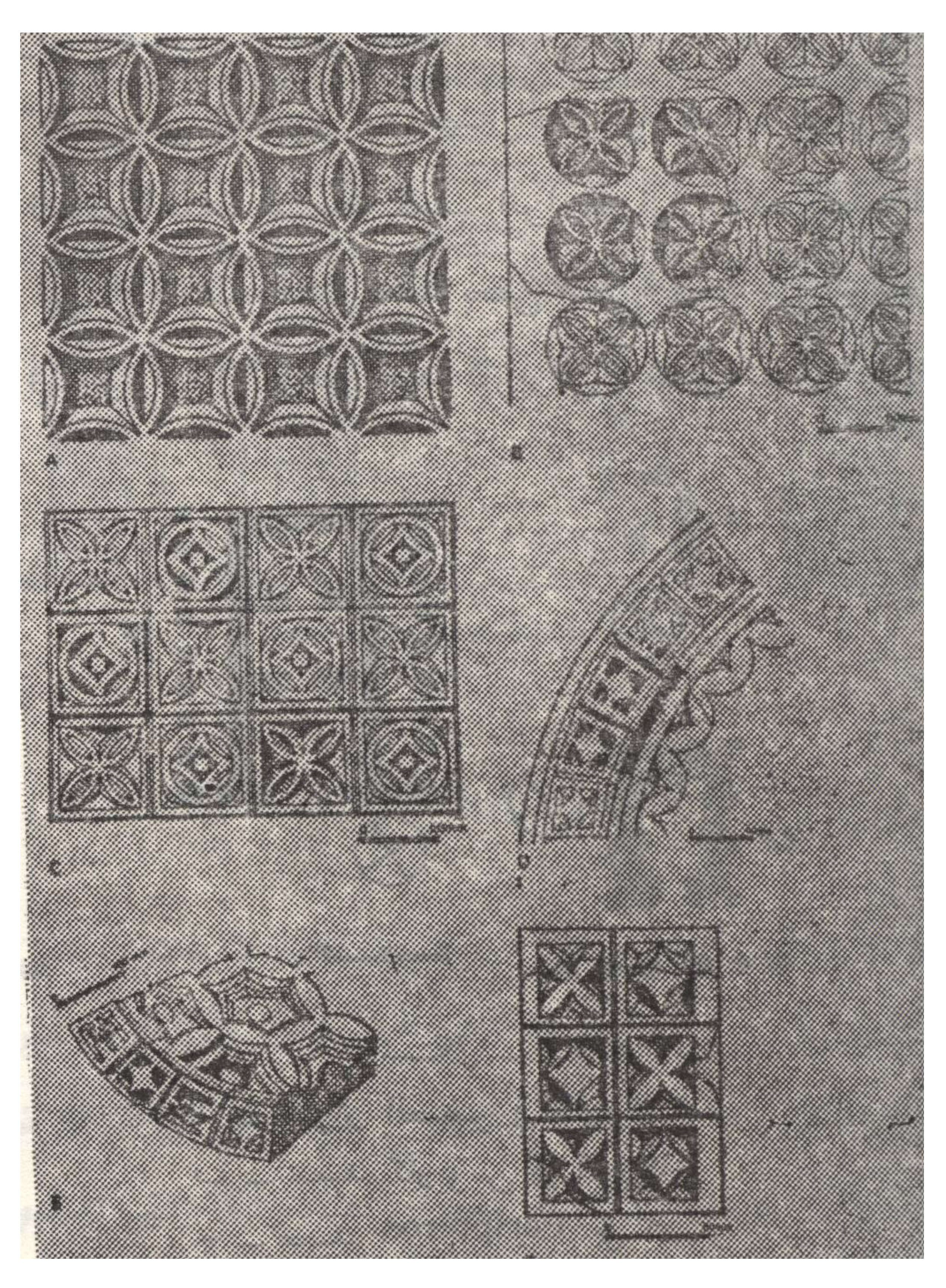
المصدر/ كتاب حضارة العراق .ج9 . ص35



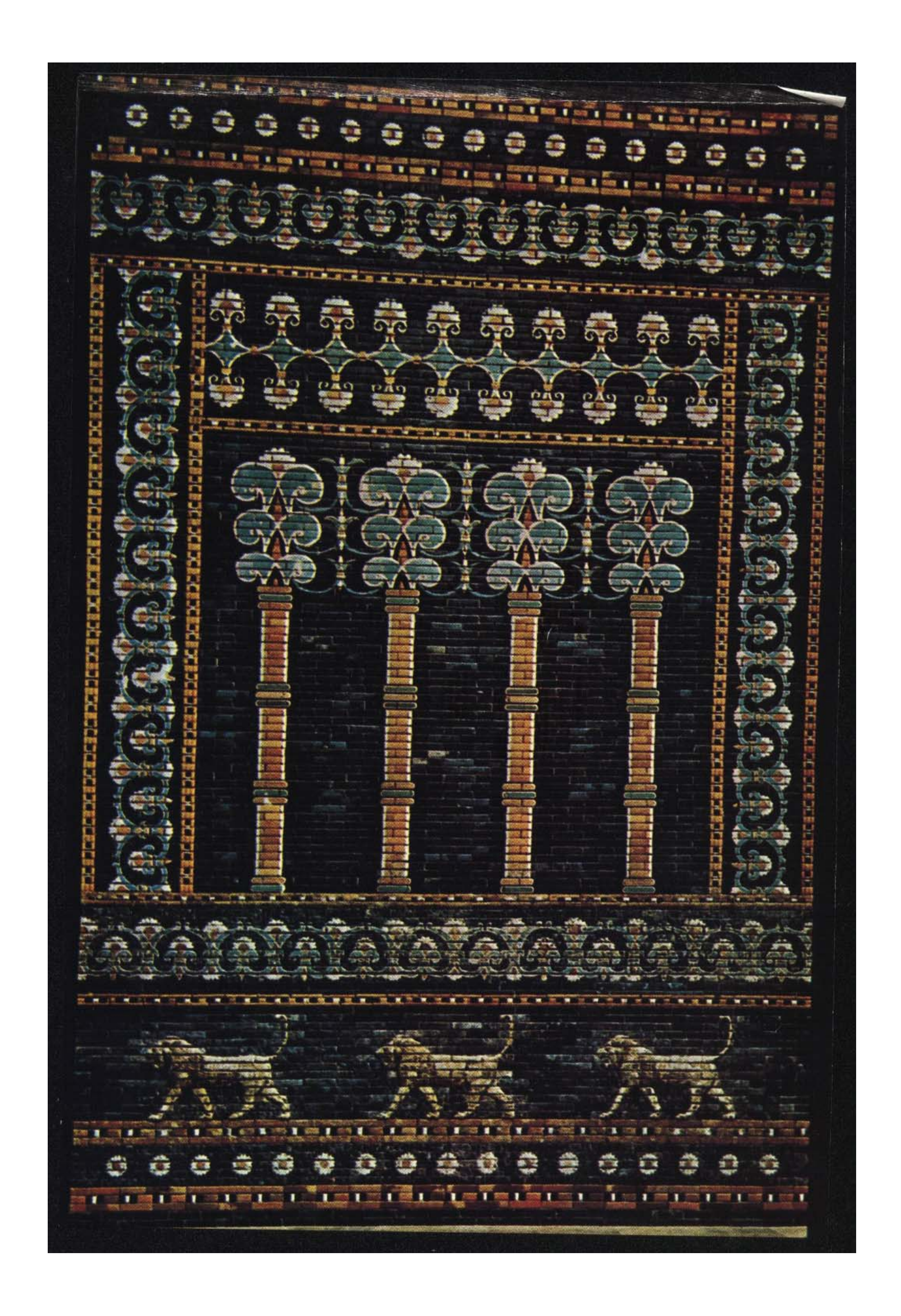
شكل -41 أ

1 - الزخارف الجصية في آشور

شكل - 41 ب
2 -الزخارف الجصية في سلوقيه

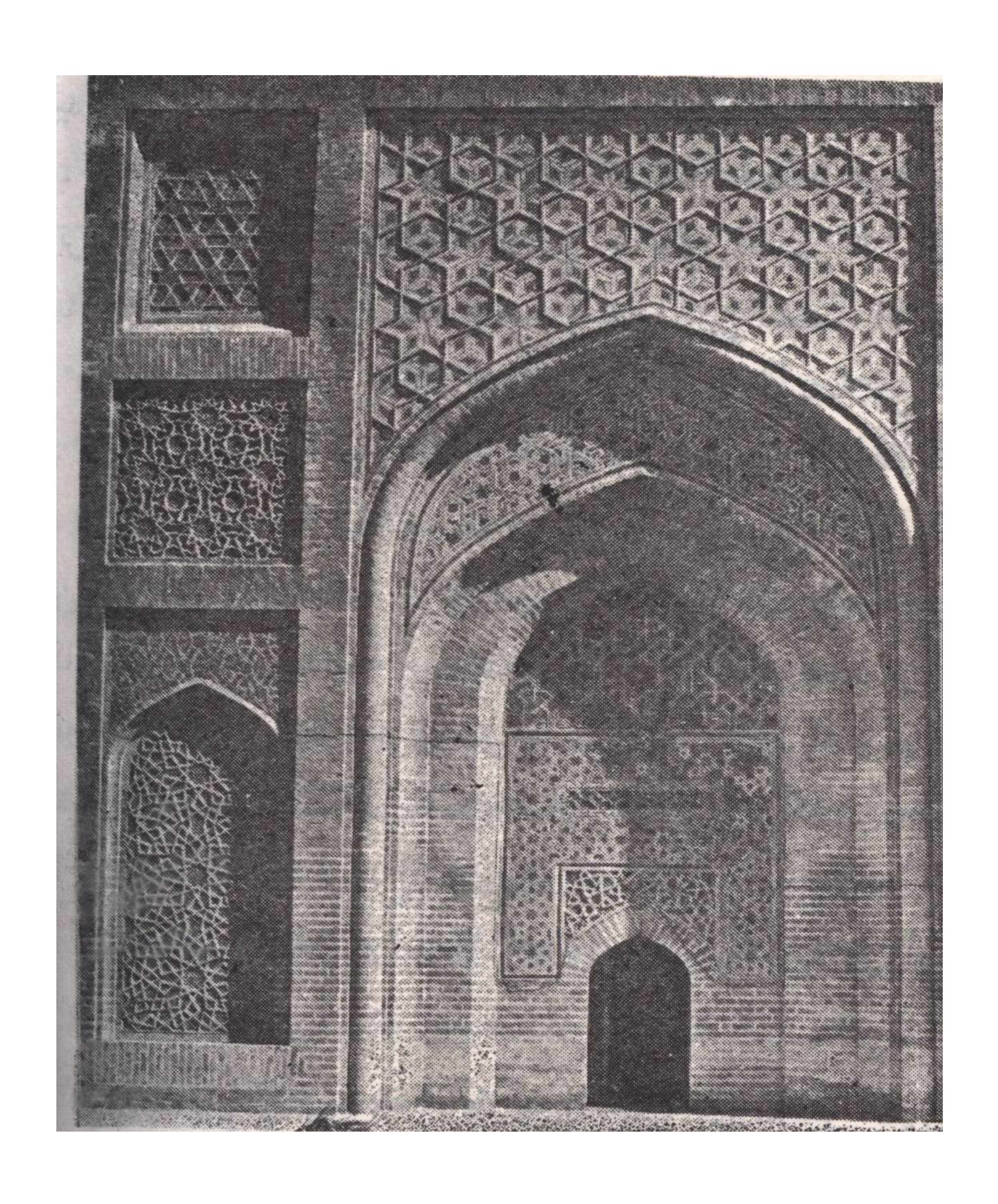


شكل - 41 ب
2 -الزخارف الجصية في سلوقيه



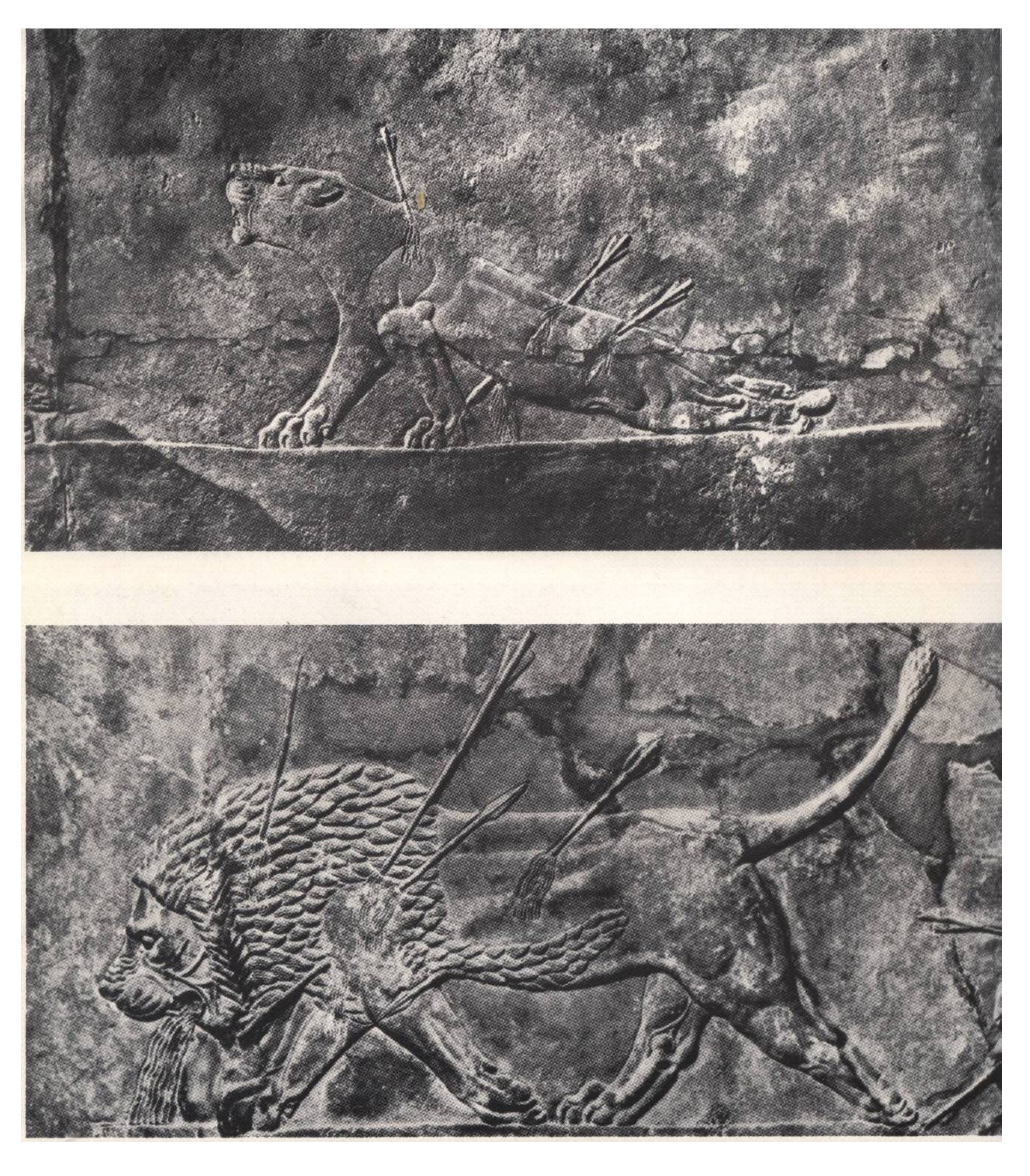
شكل- 42
فن بابلي: (زخارف قاعة العرش من الآجر المزجج .القرن السابع والسادس ق. م) متحف برلين
المصدر /- كتاب الفن العراقي القديم .د . ثروت عكاشة .

بوابة المدرسة المستنصرية التي شيدت في زمن الخليفة العباسي المستنصر بالله . ويبدو في اعلى المدخل الزخارف الاجرية.

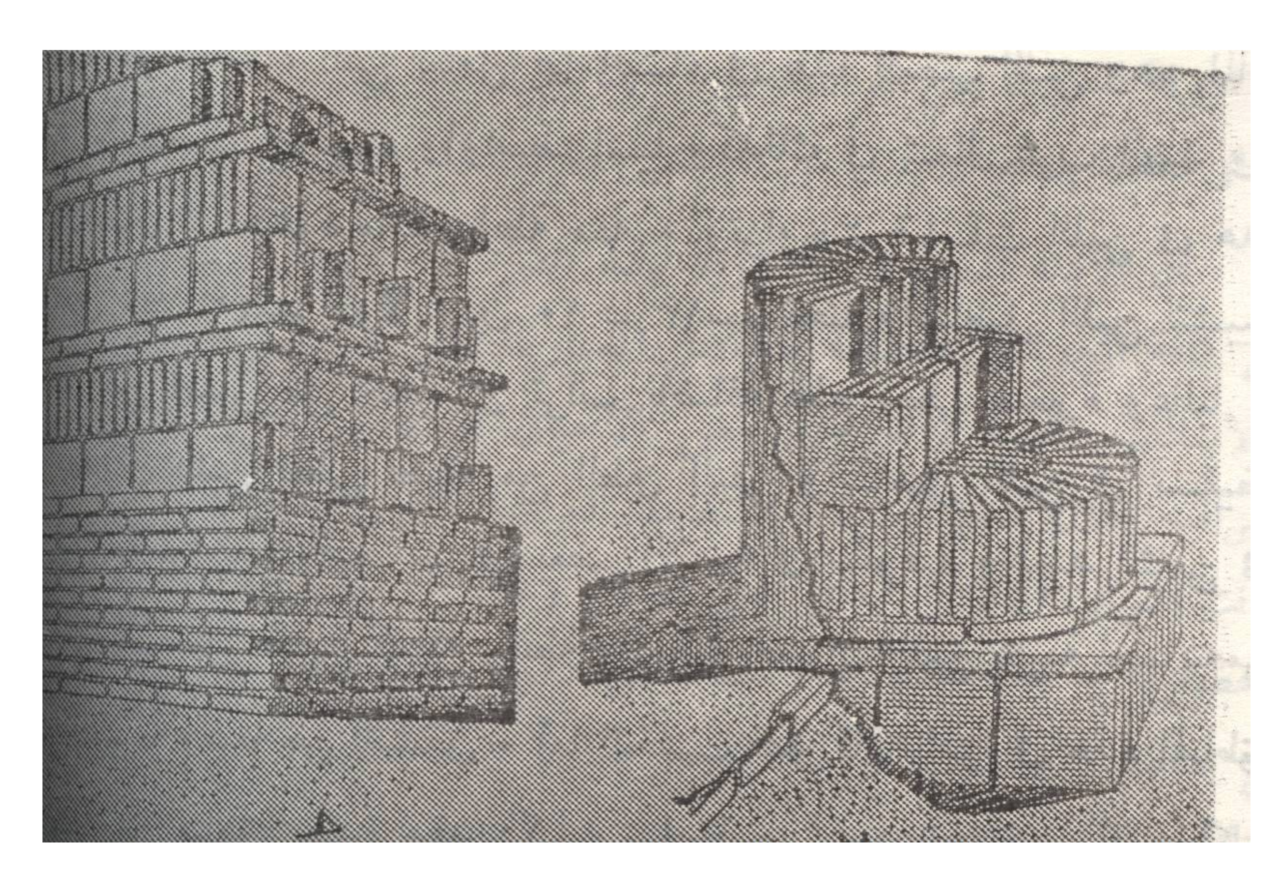


شكل ــ 43

بوابة المدرسة المستنصرية التي شيدت في زمن الخليفة العباسي المستنصر بالله . ويبدو في اعلى المدخل الزخارف الاجرية.

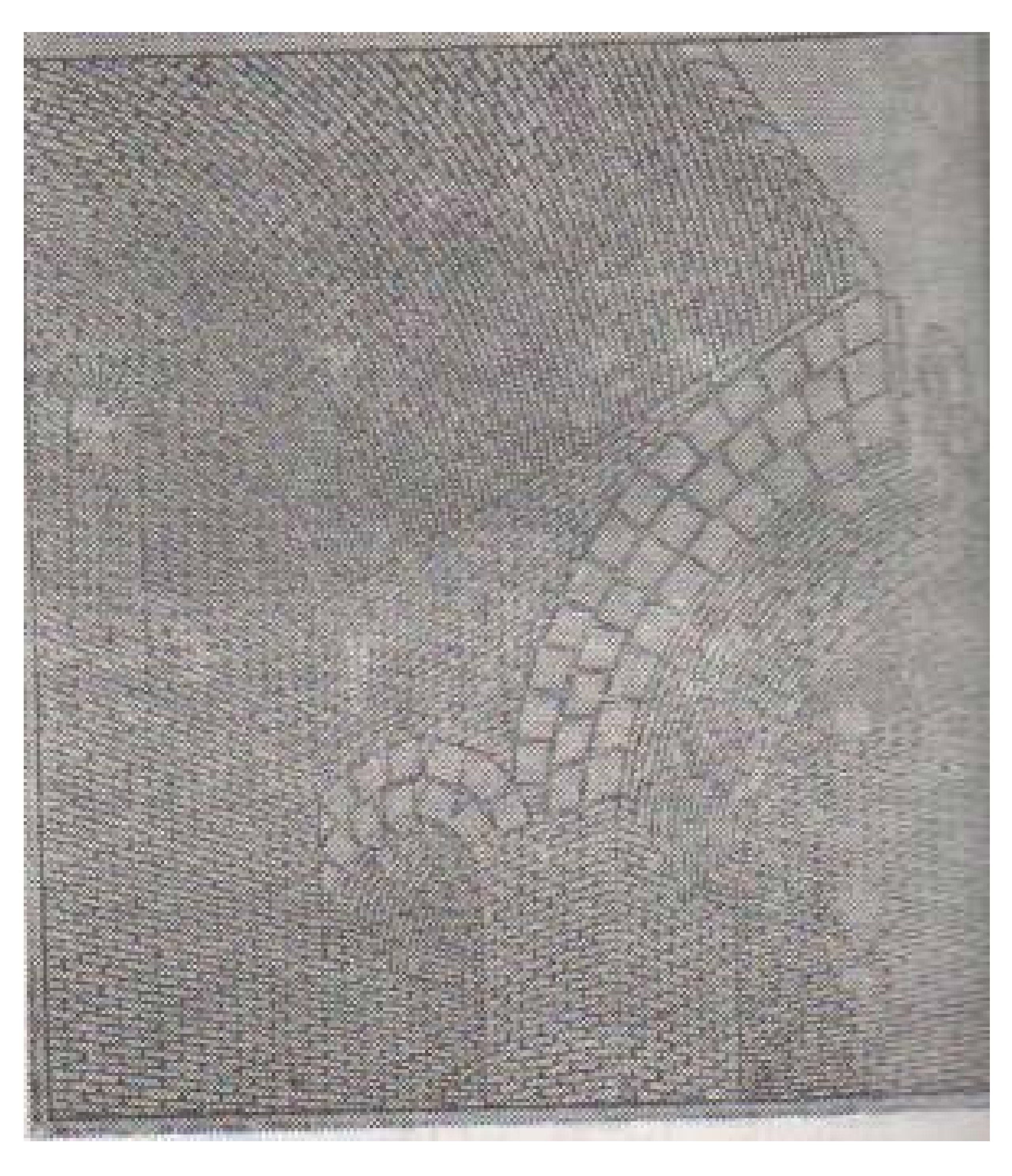


شكل **44**
تفصيلات لنحتين جدارين من الرخام في القصر الشمالي لآشور بانيبال في نينوى المتحف البريطاني في لندن



شكل_ 45
1 - طريقة تشييد العمود من الآجر في نفر وآشور
2 - طريقة إقامة بعض جدران القصر في آشور.

المصدر / كتاب حضارة العراق . ج3 . ص 2 00



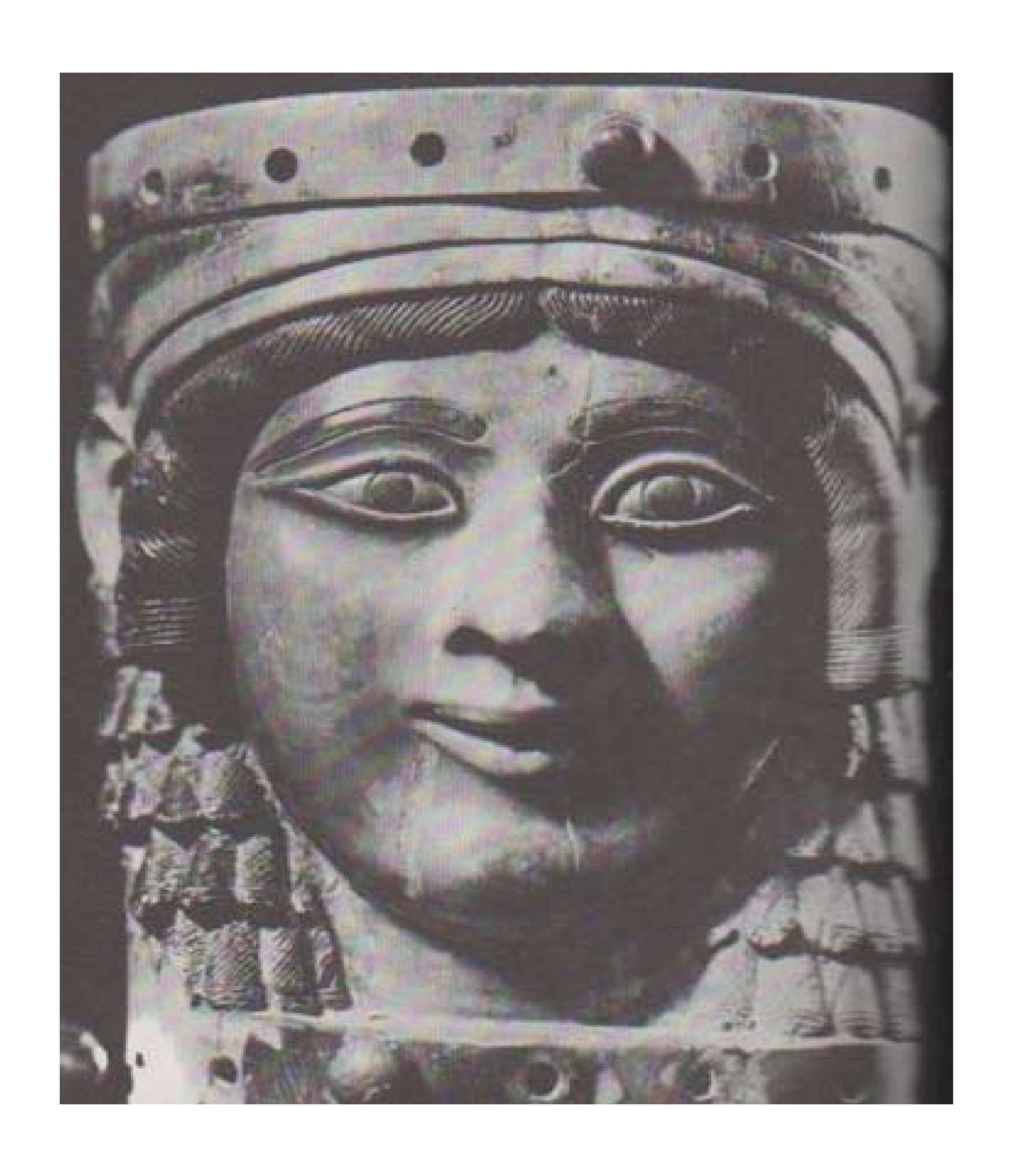
شكل - 46
طريقة تسقيف قبو من الآجر، قصر الأواوين في آشور
المصدر / كتاب حضارة العراق ج 2 ص 217



شكل – 47
مدخل الجامعة المستنصرية وهو من التصميمات الحديثة المستوحات من أشكال زقورات بلاد الرافدين



شكل – 48
السهام والحراب تصرع الإسود في مشهد صيد آشوري ، عصر آشور باني بال / القرن السابع ق. م نينوى / المرجع ، د. ثروت عكاشة ، الفن في العراق القديم



شكل – 49
السيدة الآشورية المبتسمة (الموناليزا الآشورية) مصنوعة من العاج ، القرن الثامن ق . م ،عثر عليها في نمرود , المرجع / د . ثروت عكاشة . الفن في العراق القديم

ملحق بالصور



التنقيب عن الآثار الآشورية في نينوى



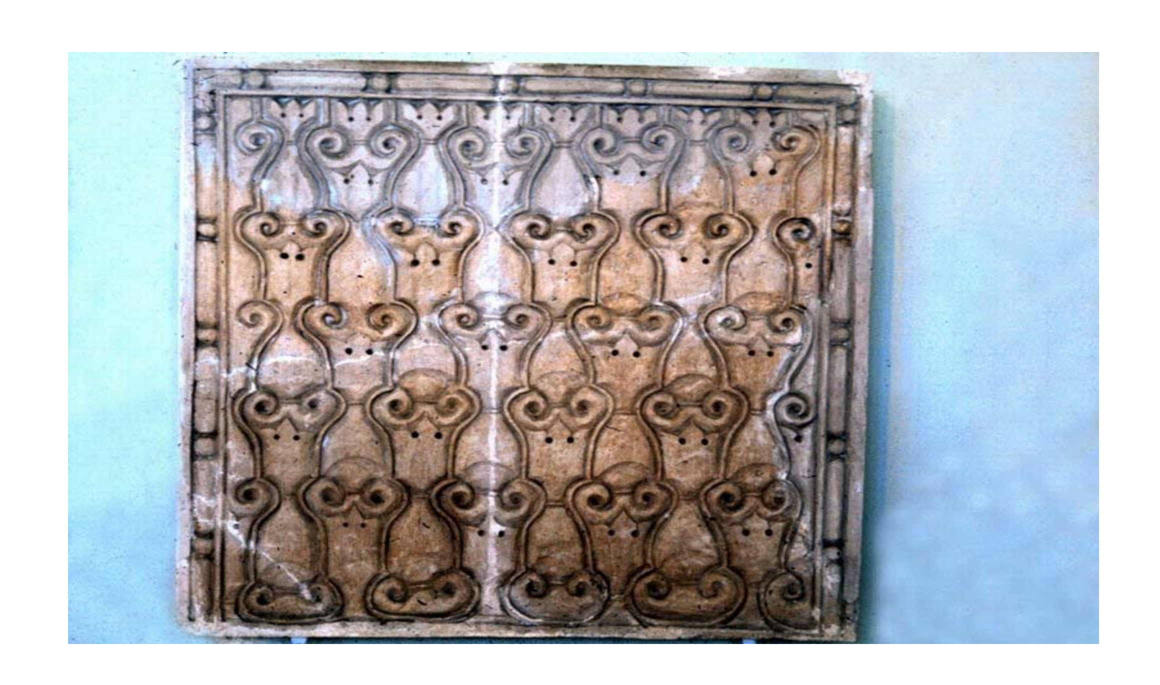
ـ زقورة عكركوف



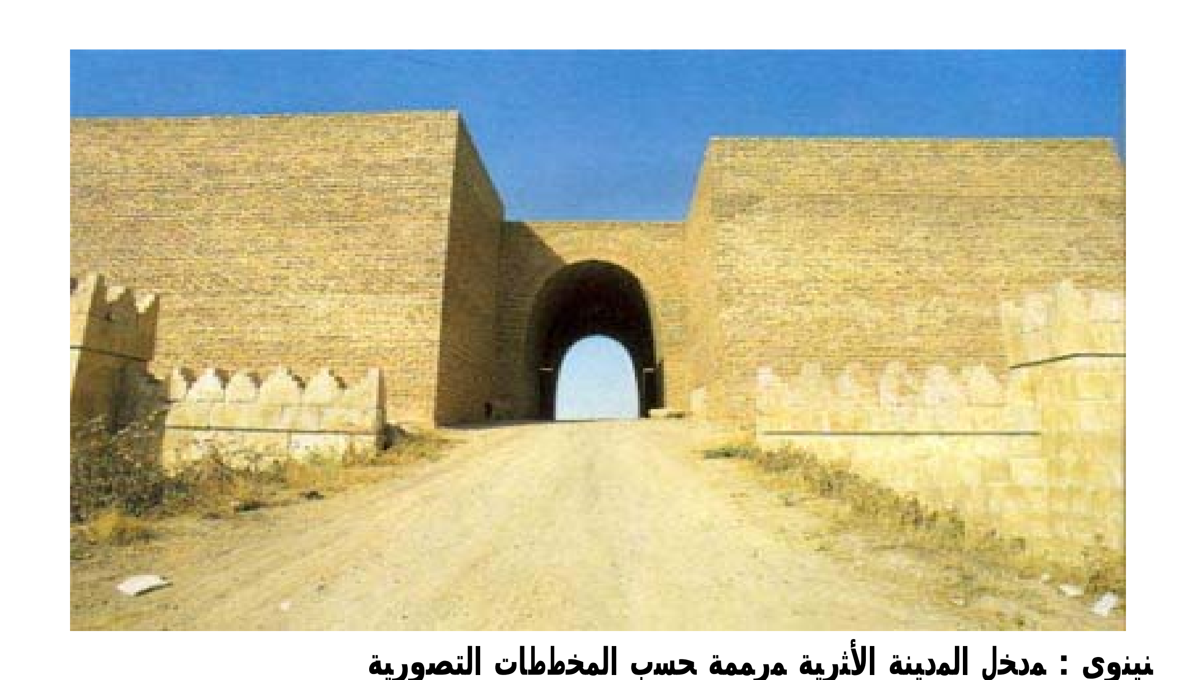
مدينة بابل



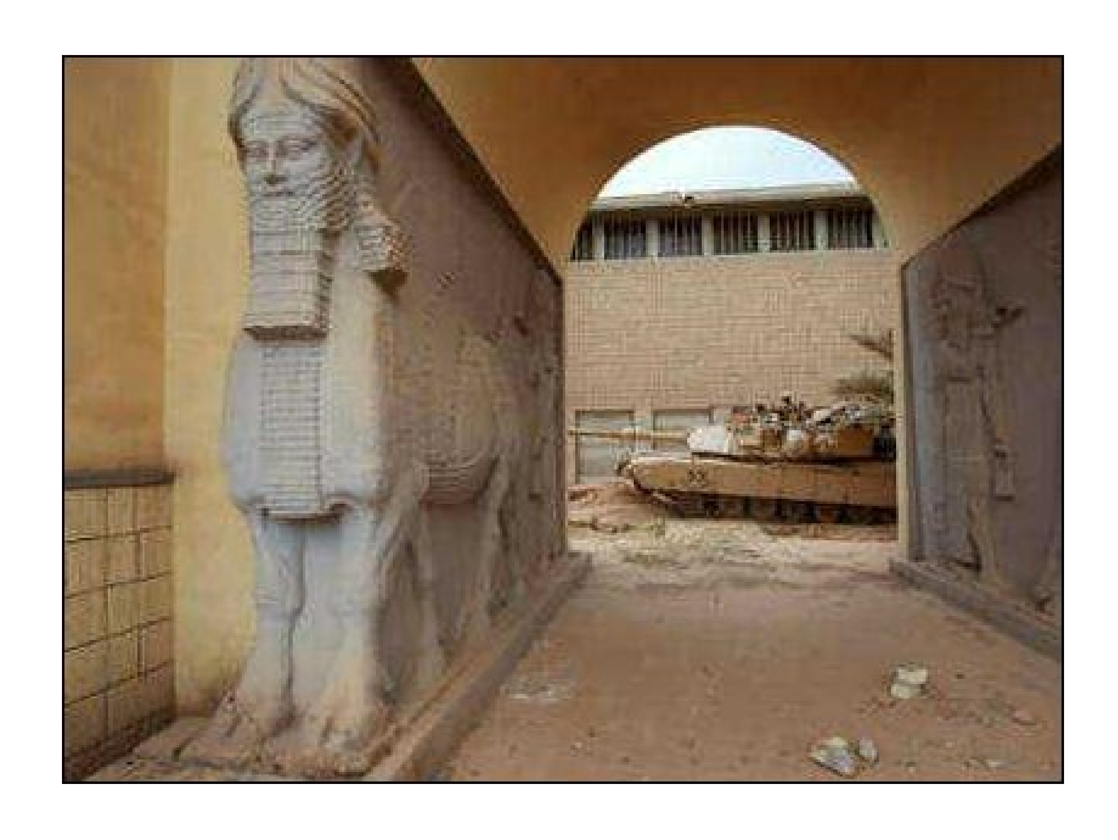
متحف مدينة نينوى ،ويظهر فيها الزوار والطلبة في أروقة المتحف المزينة بالمنحوتات الآشورية



متحف مدينة نينوى: زخرفة جصية آشورية



نينوى : مدخل المدينة الأثرية مرممة حسب المخططات التصورية



مدخل متحف مدينة نينوى: أثار آشورية تمثل الثور المجنح

خلال فترة الإحتلال الأمريكي ويظهر فيها آثار التدمير والآلة المدمر



مدخل المتحف العراقي .وتبدو عليه آثار التدمير والخراب .نتيجة الحرب



قبر السيدة زبيدة . زوجة هرون الرشيد . بغداد



زخارف آشورية ، وهي أصل الزخارف الجصية العباسية في مدينة سامراء

فهرس المواضيع